الجزء السادس عشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٢٨ هجريه

فهرست

الجزء السادس عشر

من تفسير الامام ابن جرير الطبرى

﴿ فهرست الجزء السادس عشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة	
٢	تأويل قوله تعالى أما السفينة وبيان ان كلمة وراء من حروف الاضداد والشاهد عليه
٥	بيان المراد بالكنز الذى كان تحت جدار اليتيمين وأن الكنز كان فى شريعتهم حلالا
٧	بيان خبر ذى القرنين ومسيره وما لقى من العجائب والخلاف فيه هل هو ملك أو آدمى
١٣	ذكر بناء السد وايراد الاخبار عن يأجوج ومأجوج
٢٣	تأويل قوله تعالى وتركنا بعضهم الآية وبيان حقيقة الصور وما فى القيامة من الأهوال
٣٦	بيان الأخسرين أعمالا من هم
٣٩	تأويل قوله ان الذين آمنوا الآية وبيان الخلاف فى معنى الفردوس
٣٢	بيان أن الرياء من جملة الاشراك بالله
٣٣	﴿ تفسير سورة مريم ﴾
٣٥	ذكر خبر زكريا ودعائه وسبب سؤاله ربه الولد
٤٣	تأويل قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب وبيان ما أوتيه يحيى عليه السلام من معالى الاحوال وذكر الشواهد على معنى الحنان
٤٥	ذكر قصة مريم عليها السلام والمكان الذى اتخذته وارسال الملك اليها والسبب الذى من أجله اتخذ النصارى المشرق قبلة
٤٩	ذكر ما جرى بين مريم ويوسف النجار
٥١	ذكر الذى نادى مريم من تحتها وبعض فوائد للتمر والعجوة
٥٦	تأويل قوله تعالى فكلى واشربى الآية وبيان ما دار بينها وبين قومها من المحاورة
٥٨	بيان وجه كون مريم أخت هرون
٦٢	بيان اختلاف الناس فى أمر عيسى عليه السلام
٦٦	تأويل قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة الآية وبيان ما يراه أهل الموقف من صورة الموت
٦٧	ذكر ابراهيم عليه السلام ومحاورته لأبيه
٧١	ذكر موسى عليه السلام وبيان المراد بتقريبه
٧٢	ذكر ادريس عليه السلام وما قيل فى رفعه
٧٤	بيان ما قيل فى معنى اضاعة الصلاة
٧٧	تأويل قوله تعالى وما نتنزل الا بأمر ربك الآية وذكر ما جرى بين رسول الله وجبريل
٨١	ذكر ما ورد فى ورود الناس جهنم
٩١	تأويل قوله تعالى أفرأيت الذى كفر بآياتنا الآية وذكر أسباب نزولها
٩٦	ذكر ما ورد فى ركوب بعض أهل الموقف النوق
١٠٠	تأويل قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وبيان أنه ما يقبل أحد على الله بقلبه الا أقبل الله بقلوب الناس اليه
١٠٢	﴿ تفسير سورة طه ﴾
١٠٥	بيان ما هو أخفى من السر
١٠٧	ذكر خروج موسى بأهله وما لاقاه من الشدة
١٠٩	ذكر السبب فى كون موسى أمر بخلع نعليه
١١٢	تأويل قوله تعالى وأنا اخترتك وبيان أن الصلاة ذكر لله
١١٧	بيان فوائد عصا موسى
١١٩	بيان لون موسى وذكر بعض حلاه
١٢٤	ذكر امتناع موسى عليه السلام من المراضع وما تم لأمه معه
١٣١	ذكر ما حصل بين موسى وفرعون من المحاورة
١٣٤	بيان يوم الزينة
١٣٩	بيان ما حصل بين موسى والسحرة
١٤١	بيان ما حصل بين السحرة وفرعون

صحيفة	
١٤٦	بيان فتنة السامري لبني اسرائيل
١٥٠	بيان مافعله موسى بأخيه هرون واعتذار هرون له
١٥١	بيان مارآه السامري من أثر جبريل
١٥٣	بيان مافعله موسى بالسامري وعجله
١٥٥	بيان مايفعل بالجبال عند قيام الساعة

صحيفة	
١٦٠	بيان العهد الذي عهد الى آدم عليه السلام
١٦٣	بيان معيشة الضنك التي تكون للكافر
١٦٧	تأويل قوله تعالى ولولا كلمة سبقت الآية وبيان معنى الأجل والالزام
١٦٩	بيان ما أمر به صلى الله عليه وسلم من اعراضه عن الدنيا وزهرتها

﴿ تمت ﴾

﴿ فهرست الجزء السادس عشر من تفسير الامام النيسابوري الموضوع بالهامش ﴾

صحيفة	
٤	بيان أن موسى صاحب الخضر هو موسى بن عمران لا موسى بن ميشا كما يزعمه اليهود
٥	بيان المراد بالبحرين
٦	بيان أن سبب نسيان الفتى لأمر الحوت هو إلقاء المعجزات
٨	بيان أنواع الأدب التي راعاها موسى مع الخضر
١٤	تأويل تلك الآيات
١٧	تفسير قوله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٨	ذكر خبر ذي القرنين
٢٠	بيان أن الأرض كروية وأن السماء محيطة بها وصغر الأرض عن الشمس
٢١	بيان موضع السدين
٢٢	بيان خبر يأجوج ومأجوج
٢٥	بيان ماذهب اليه الأشاعرة من أن كلام الله واحد والاعتراض عليهم والجواب عنه
٢٦	تأويل تلك الآيات
٢٨	﴿ تفسير سورة مريم ﴾
٢٩	بيان ما في قوله رب اني وهن العظم مني الآية من اللطائف

صحيفة	
٣٣	بيان معنى السمي المنفي عن يحيى عليه السلام
٣٥	تأويل تلك الآيات
٣٦	تفسير قوله تعالى واذكر في الكتاب مريم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٤٠	بيان سن مريم عند حملها ومدة الحمل
٤٣	بيان أن نذر عدم الكلام يجوز في شرعنا أولا
٤٦	بيان أن اليهود والنصارى أنكروا تكلم عيسى في المهد والرد عليهم
٤٧	بيان ما احتج به بعض الاشاعرة على قدم كلام الله
٤٩	تأويل تلك الآيات
٥١	تفسير قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٥٣	حاصل دليل منع العبادة لغير الله تعالى
٥٦	بيان صدق الوعد الذي خص به اسمعيل عليه السلام
٦٠	ذكر سؤال قريش اليهود عن صفة رسول الله وتعليم اليهود لهم بعض أسئلة سألوه عنها
٦١	تأويل تلك الآيات
٦٢	تفسير قوله تعالى ويقول الانسان الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

صحيفة	
٦٦	ذكر فائدة ايراد المؤمنين النار مع كونهم لم يعذبوا بها
٦٧	بيان ما أجمعت عليه المعتزلة من أن العقاب واجب على الله وغير ذلك مما ذهبوا اليه
٧٠	بيان قصة العاصي بن وائل مع خباب بن الأرت
٧١	بيان ما استدل به الاشاعرة على أنه تعالى مريد لجميع الكائنات
٧٣	بيان الدليل على استحالة الولد على الله
٧٥	تأويل تلك الآيات
٧٦	﴿ تفسير سورة طه ﴾
٧٩	بيان ما هو أخفى من السر
٨٠	بيان مراتب التوحيد
٨٠	بيان أن الموجودات على ثلاثة أقسام
٨٢	بيان أن النار على أربعة أقسام
٨٣	بيان ما قالته الاشاعرة في تكليم الله لموسى وما قالته المعتزلة
٨٤	بيان ما قيل في الطواف والصلاة بالنعل
٨٥	بيان حكم من فاتته صلوات وأراد قضاءها
٨٧	﴿ أسئلة ﴾

صحيفة	
٨٩	ذكر فوائد عصا موسى
٩٢	بيان ما قاله الله لموسى حين أمره بالذهاب الى فرعون
١٠٣	تأويل تلك الآيات
١٠٤	تفسير قوله تعالى ولقد منناعليك مرة أخرى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١١٠	بيان مقدار عمر فرعون
١١٢	بيان أن العلماء اختلفوا في أن فرعون كفر عنادا أو جهلا
١٢١	بيان مارزقته السحرة من كمال الايمان
١٢٢	تفسير قوله تعالى ولقد أوحينا الى موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٢٥	بيان أن التوبة من الكفر يجب تقديمها على الايمان
١٢٨	بيان ما قاله هرون للسامري وهو يصنع عجلا
١٣٠	بيان ما رآه السامري
١٣٨	تأويل تلك الآيات
١٣٩	تفسير قوله ولقد عهدنا الى آدم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
١٤٧	بيان ان أهل البلاء هم أهل الغفلة

﴿ تم فهرست الجزء السادس عشر من النيسابوري ﴾

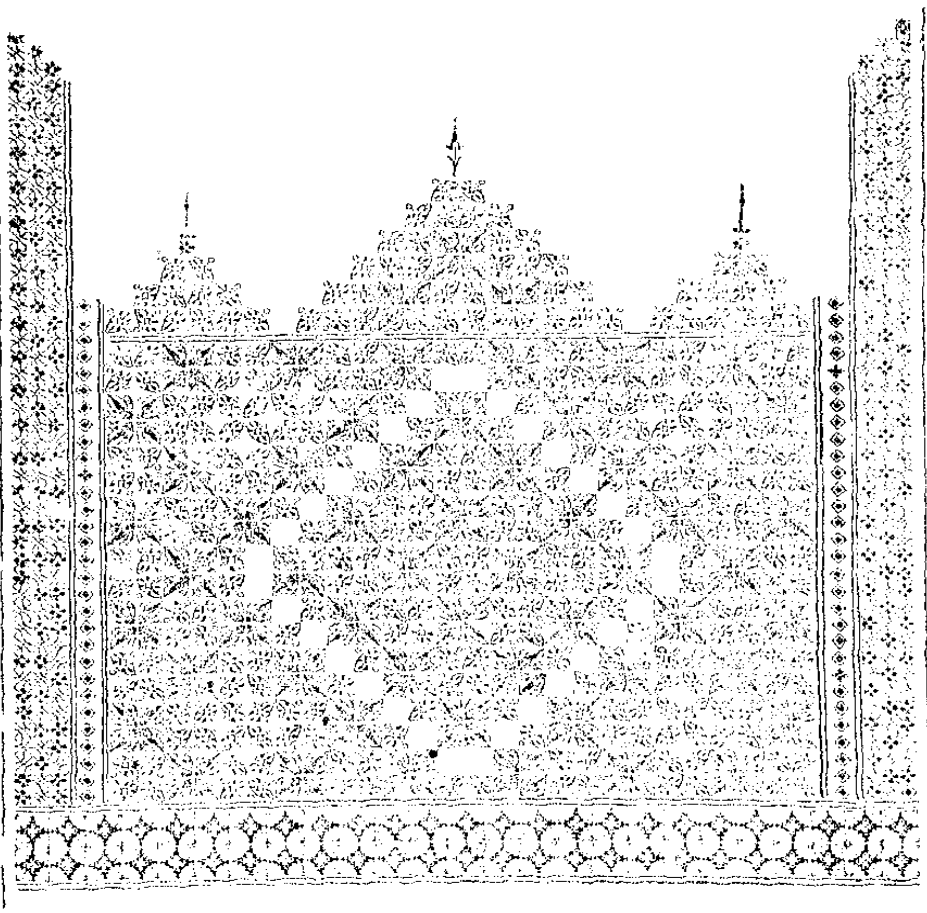

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ﴾ يقول أما ما فعلت بالسفينة فلأنها كانت لقوم مساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها بالخرق الذى خرقتها كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل فأردت أن أعيبها قال أخرقها حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان أمامهم وقدامهم ملك كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكان وراءهم ملك قال قتادة أمامهم ألا ترى أنه يقول من ورائهم جهنم وهى بين أيديهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان فى القراءة وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا وقد ذكر عن ابن عيينة عن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأ ذلك وكان أمامهم ملك « قال أبو جعفر » وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب وراء من حروف الاضداد وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعى وطاعتى * وقومى تميم والفلاة ورائيا

وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما واتخذ سبيله فى البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدنى إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا ترهقنى من أمرى عسرا فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا قال إن سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم

ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة
وأقرب رحما وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴿ القراآت أنسانيه بضم الهاء حفص والمفضل وقرأ علي
بالامالة مع كسر الهاء نبغي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق (م) أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وعلي في الوصل الباقون

بمعنى أمامي وقد أغفل وجه الصواب في ذلك وانما قيل لما بين يديه هو ورائي لأنك من ورائه
فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك فصار اذا كان ملاقيك كأنه من ورائك وأنت أمامه وكان بعض
أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك هو ورائي ولا اذا كان وراءك
أن يقال هو أمامي وتمثل انما يجوز ذلك في المواقيت من الايام والازمنة كقول القائل وراءك
يوم شديد وبين يديك يوم شديد لانك أنت وراءه فجائز لانه شيء يأتي فكأنه اذا لحقك صار من ورائك
وكأنك اذا بلغته صار بين يديك قال فلذلك جاز الوجهان وقوله يأخذ كل سفينة غصبا فيقول القائل
فما أغنى خرق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها اذ كان من من أجل خرقها يأخذ السفن كلها
صحيحها وغير صحيحها وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها لأن وراءهم ملكا يأخذ كل سفينة
غصبا قيل ان معنى ذلك أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا ويدع منها كل معيبة لأنه كان يأخذ
صحاحا وغير صحاحها فان قال وما الدليل على أن ذلك كذلك قيل قوله فأردت أن أعيبها فأبان
بذلك أنه انما عابها لان المعيبة منها لا يعرض لها فاكتفى بذلك من أن يقال وكان وراءهم ملك
يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا على أن ذلك في بعض القراءة كذلك حدثنا الحسن بن يحيى
قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال هي في حرف ابن مسعود وكان وراءهم
ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني
الحسن بن دينار عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال في قراءة أبي وكان
وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وانما عمتها الأردة بها حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فاذا خلقوه
أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها قال ابن جريج أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم
الرجل الذي كان يأخذ كل سفينة غصبا هدد بن بدد ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأما
الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه
زكاة وأقرب رحما ﴾ يقول تعالى ذكره وأما الغلام فانه كان كافرا وكان أبواه مؤمنين فعلمنا أنه
يرهقهما يقول يغشيهما طغيانا وهو الاستكبار على الله وكفرا به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال
أهل التأويل وقد ذكر ذلك في بعض الحروف وأما الغلام فكان كافرا ذكر من قال ذلك حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأما الغلام فكان كافرا
في حرف أبي وكان أبواه مؤمنين فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين وكان كافرا
في بعض القراءة قوله فخشينا وهي في مصحف عبد الله فخاف ربك أن يرهقهما طغيانا وكفرا
حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا عبد الجبار بن عباس الهمداني عن أبي اسحق
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغلام

بحذف الياء في الحالين اتباعا لخط المصحف ورشدا بفتحتين أبو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معي بفتح الياء حفص ستجدني إن بفتح الياء أبو جعفر ونافع فلا تسألني بنون الثانية كثير الثقيلة واثبات الياء أبو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والأحسن اثباتها لانه شاذ عن أهل الشام الآخرون بنون الوقاية وحذف الياء ليغرق أهلها بياء الغيبة وفتحها مع فتح الراء ورفع الاهل حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاغراق ونصب الاهل زاكية على فاعلة أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الآخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان أبو جعفر ونافع غيرا سمعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد فلا تحبني من المحبة روح وزيد الآخرون من المصاحبة من لدني خفيفا أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد والمفضل بضيفوهما من الاضافة المفضل اتخذت من التخذ مدغما أبو عمرو وسهل ويعقوب وقرأ ابن كثير بالاظهار الباقون لاتخذت من الاتخاذ وقرأ حفص والمفضل والأعشى

والبرجمي مظهرا يبدلهما من التبديل وكذلك في سورة التحريم ونون والقلم أبو جعفر ونافع وأبو عمرو الآخرون من الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب الباقون بسكون الحاء ﴿ الوقوف حقبا ○ سربا ○ غداءنا ز لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نصبا ○ الحوت ز لتمام استفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو حالا أن أذكره ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال في البحر وقفة قيل عليه ثم كلام يوشع ثم ابتدأ موسى فقال عجبا أي أعجب لذلك عجبا والوصل أجوز أي سبيلا عجبا أو اتخاذا عجبا ○ نبغ قف

قد قيل لتمام قول أحدهما وابتداء فعلهما والوجه الوصل لعطف اللفظ وسرعة الرجوع على الفور قصصا ○ لا لاتصال النظم واتحاد
نحا علما ○ رشدا ○ صبرا ○ خبرا ○ أمرا ○ ذكرا ○ فانطلقا وقفة لأن حتى اذا للابتداء خرقها ط أهلها ج لانقطاع
النظم واتحاد القائل إمرا ○ صبرا ○ عسرا ○ فانطلقا وقفة لما مر فقتله لا لأن قال جواب اذا بغير نفس ط للفصل بين الاستخبار
والاستخبار نكرا ○ صبرا ○ فلا تصاحبني (٤) ج لاختلاف الجملتين عذرا ○ فانطلقا وقفة فاقامه ط أجرا ○ وبينك
ج صبرا ○ غصبا ○ وكفرا ○
ج للعطف مع الآية رحما ○ صالحا
ج لما قلنا من ربك ج عن أمري
ط صبرا ○ لانقطاع القصة

﴿ التفسير هذه قصة أوردها الله تعالى لتعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة في الافادة أما نفعها في قصة أصحاب الكهف فهو أن اليهود قالوا ان أخبركم محمد عنها فهو نبي والا فلا فذكر الله تعالى قصة موسى والخضر تنبيها على أن النبي لا يلزم أن يكون عالما بجميع القصص والأخبار وأما نفعها في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الأموال والانصار فهو أن موسى عليه السلام مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجمام موجبات الشرف التام في حقه ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل طلب العلم فدل ذلك على أن التواضع خير من التكبر وأكثر العلماء على أن موسى المذكور في الآية هو موسى بن عمران صاحب التوراة والمعجزات وعن سعيد بن جبير أنه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن ميشا بن يعقوب وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واجتمع الأكثرون على صحة قولهم بأن موسى حيث أطلق في القرآن أريد به موسى بن عمران فلو كان المراد ههنا شخصا آخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور وأقرب صحة الأقلين والبه ذهب جمهور اليهود أن موسى بن عمران بعد أن خصه الله تعالى بالمعجزات الظاهرة التي لم يتفق لمن قبله مثلها بعد أن يؤمر بالتعلم والاستفادة وأجيب بأن العالم الكامل في أكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل فيحتاج في تعلمها الى من يختص بعلمها أما فتى موسى فالأكثرون على أنه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل سوى أنه يوشع وكان مصاحبا لموسى في السفر وعن الحسن انه أراد عبده ويؤيده ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال لنقل أحدكم فتاي وفتاتي

الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا والخشية والخوف توجههما العرب الى معنى الظن وتوجه هذه الحروف الى معنى العلم بالشيء الذي يدرك من غير جهة الحس والعيان وقد بيناه غير مرة بشواهده في غير هذا الموضع مما أغنى عن اعادته وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول معنى قوله خشينا في هذا الموضع كرهنا لان الله لا يخشى وقال في بعض القراآت نخاف ربك قال وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا وهو لا يخاف من ذلك أكثر من انه يكرههما وقوله فأردنا أن يبدلهما ربهما اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصريين فأردنا أن يبدلهما ربهما وكان بعضهم يعتل لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشددا في عامة القرآن كقول الله عز وجل فبدل الذين ظلموا وقوله واذا بدلنا آية مكان آية فالحق قوله فأردنا أن يبدلهما به وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فأردنا أن يبدلهما بتخفيف الدال وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول أبدل يبدل بالتخفيف وبدل يبدل بالتشديد بمعنى واحد ○ والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقيل ان الله عز وجل أبدل أبوي الغلام الذي قتله صاحب موسى منه جارية ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هاشم ابن القاسم قال ثنا المبارك بن سعيد قال ثنا عمرو بن قيس في قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال بلغني أنها جارية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني سليمان بن أمية أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول أبدلا مكان الغلام جارية ○ قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم أنه سمع سعيد بن جبير يقول أبدلا مكان الغلام جارية ○ وقال آخرون أبدلهما ربهما بغلام مسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال كانت أمه حبلى يومئذ بغلام مسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضر فقال قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وقوله خيرا منه زكاة يقول خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة قال الاسلام وقوله وأقرب رحما اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وأقرب رحمة بوالديه وأبر بهما من المقتول ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وأقرب رحما أبر بوالديه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأقرب رحما أي أقرب خيرا ○ وقال آخرون بل معنى ذلك وأقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج

ولا يصل عبدي وأمتي قال أهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله فقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال أنا فعتب الله حين لم يرد العلم الى الله فأوحى الله اليه بل أعلم منك عبدي بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر عليه السلام في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى أيام موسى ويروى أن موسى سأل ربه أي (٥) عبادك أحب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فأي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو أعلم مني فادلني عليه قال أعلم منك الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تأخذ حوتا في مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى عليه السلام فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى عليه السلام فقال وأنى بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي أصلا * ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله

وأقرب رحما أرحم به منهما بالذي قتل الخضر وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك وأقرب أن يرحماه والرحم مصدر رحمت يقال رحمته رحمة ورحما وكان بعض البصريين يقول من الرحم والقرابة وقد يقال رحم ورحم مثل عسر وعسر وهلك وهلك واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج

* ولم تعوج رحم من تعوجا *

ولا وجه للرحم في هذا الموضع لان المقتول كان والذي أبدل الله منه والديه ولدا لأبوي المقتول فقرابتهما من والديه وغيرهما منه في الرحم سواء وانما معنى ذلك وأقرب مني المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة وقد يتوجه الكلام الى أن يكون معناه وأقرب أن يرحماه غير أنه لا قائل من أهل التأويل تأوله كذلك فاذا لم يكن فيه قائل فالصواب فيه ما قلنا لما بينا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى وأما الحائط الذي أقمته وانه كان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما واختلف أهل التأويل في ذلك الكنز فقال بعضهم كان صحفا فيها علم مدفونة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وكان تحته كنز لهما قال كان تحته كنز علم حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال كان كنز علم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال علم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبي حصين عن سعيد بن جبير وكان تحته كنز لهما قال علم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وكان تحته كنز لهما قال صحف لغلامين فيها علم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال صحف علم حدثني أحمد بن حازم الغفاري قال ثنا هناد ابنة مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عز وجل وكان تحته كنز لهما قال سطران ونصف لم يتم الثالث عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب وعجبت للموقن بالحساب كيف يغضب وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح وقد قال وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين قالت وذكر أنهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساجا حدثني يعقوب قال ثنا الحسن ابن حبيب بن ذبيه قال ثنا سلمة بن محمد عن نعيم العنبري وكان من جلساء الحسن قال سمعت الحسن يقول في قوله وكان تحته كنز لهما قال لوح من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا

(لا أبرح) يعني لا أزال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله (حتى أبلغ) غاية مضروبة فلا بد لها من ذي غاية فالمعنى لا أزال أسير الى أن أبلغ ويجوز أن يكون المعنى لا برح سيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر حذف المضاف وهو السير وأقيم المضاف اليه وهو ياء المتكلم مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم ويجوز أيضا أن يكون لا أبرح بمعنى لا أزول من برح المكان والمعنى لا أبرح ما أنا عليه أي لا أترك السير والطلب حتى أبلغ (مجمع البحرين) يعني ملتقى بحري فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقيل أراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير أن البحرين موسى والخضر

لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا لان أحد البحرين اذا كان هو موسى عليه السلام فكيف يصح أن يقول حتى أبلغ مجمع البحرين اذ يؤول حاصل المعنى الى قولنا حتى أبلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم أحدهما أنا (أو أمضي حقبا) أسير زمانا طويلا قال جار الله الحقب بالضم ثمانون سنة ويقال أكثر من ذلك وقيل انه تعالى أعلم موسى حال هذا العالم وما أعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا أزال أمضي حتى يجتمع البحران فيصير البحر واحدا أو أمضي (٦) دهرا طويلا حتى أجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى عليه السلام بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى أن يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وأن طالب العلم حقيق له أن يسافر ويتحمل المتاعب في الطلب من غير ملال وكلال (فلما بلغا مجمع بينهما) قال جمهور المفسرين الضمير للبحرين أي تحقق ما قال موسى وبلغ المكان الذي وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقي وسط ما امتد من البحرين طولا والاضافة بمعنى في أي مجمعا في وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى أولى منه بكلام موسى أو البين بمعنى الافتراق أي البحران المفترقان يجتمعان هنالك ويحتمل على هذا أن يعود الضمير الى موسى والخضر أي وصلا الى الموضع الذي بعد اجتماع شملهما هنالك أو البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيفيد بمزيد التأكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه عما لم أجدها في التفاسير فان كن صوابا فمن الله والافمني ومن الشيطان (نسيا حوتهما) لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر فلما ان التقى كان يغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضأ في ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجرت هنالك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر ونسيان الافعال الحوت للذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب في هذا الذهول مع أن هذه الحالة كانت أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها هو أن يوشع كان قد تعود مشاهدة المعجزات الباهرة فلم يبق لحياة السمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى عليه السلام لما استعظم علم نفسه أزال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذي يشبه الضروري

وتقلبها بأعلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال نبي ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يقول ما كان الكنز الا علما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن حميد عن مجاهد في قوله وكان تحته كنز لهما قال صحف من علم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عبد الله بن عياش عن عمر مولى غفرة قال ان الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف الموت ثم ضحك عجب لمن أيقن بالقدر ثم نصب عجب لمن أيقن بالموت ثم أمن أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله * وقال آخرون بل كان مالا مكنوزا ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة وكان تحته كنزهما قال كنز مال **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن عكرمة مثله **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود عن شعبة قال أخبرني أبو حصين عن عكرمة مثله قال شعبة ولم نسمعه منه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة وكان تحته كنزهما قال مال لهما قال قتادة أحل الكنز لمن كان قبلنا وحرم علينا فان الله يحل من أمره ما يشاء ويحرم وهي السنن والفرائض ويحل لأمة ويحرم على أخرى ولكن الله لا يقبل من أحد مضى الا الاخلاص والتوحيد له * وأولى التأويلين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة لان المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من مال وأن كل ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز فان التأويل مصروف الى الاغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه الى غير ذلك لعلل قد بينا فاسدا في غير موضع وقوله أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما يقول فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدتهما ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقامه رحمة من ربك بهما يقول فعلت فعلي هذا بالجدار رحمة من ربك لليتيمين وكان ابن عباس يقول في ذلك **حدثني** موسى ابن عبد الرحمن قال ثنا أبو أسامة عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس في قوله وكان أبوهما صالحا قال حفظا بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاح **حدثنا** أبو كريب قال ثنا سفيان عن مسعر عن عبد الملك بن ميسرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بمثله وقوله وما فعلته عن أمري يقول وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأي ومن تلقاء نفسي وانما فعلته عن أمر الله اياي به كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما فعلته عن أمري كان عبدا مأمورا فمضى لامر الله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما فعلته عن أمري ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسي وقوله ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا يقول هذا الذي ذكرت لك من الاسباب التي من أجلها فعلت

تنبيها لموسى عليه السلام على أن العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على قلوب عباده وانتصاب قوله (سربا) على أنه مفعول ثان لاتخذ أى اتخذ سبيله سبيلا سربا وهو بيت في الارض وذلك أن الله تعالى أمسك اجراء الماء عن الحوت وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى عليه السلام وللخضر وقيل السرب هو الذهاب والتقدير سرب في البحر سربا الا أنه أقيم قوله واتخذ سبيله مقام سرب (فلما جاوزا) أى موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا) وهو ما يؤكل (٧) بالغداة (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعبا وجوعا

الافعال التي استنكرتها مني تأويل يقول ما تؤول اليه وترجع الافعال التي لم تستطع على ترك مسئلتك اياى عنها وانكارك لها صبرا وهذه القصص التي أخبر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه تأديب منه له وتقدم اليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذبوه واستهزؤا به وبكتابه واعلام منه له أن أفعاله بهم وان جرت فيما يرى الاعين مما قد يجرى مثله أحيانا لأوليائه فان تأويله صائر بهم الى أحوال أعدائه فيها كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الحكمة في الظاهر عند موسى اذ لم يكن عالما بعواقبها وهي ماضية على الحكمة في الحقيقة وآئلة الى الصواب في العاقبة ينبئ عن صحة ذلك قوله وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه يعلمه فيه أن تركه جل جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين بغير نظر منه لهم وان كان ذلك فيما يحسب من لا علم له بما الله مدبر فيهم نظرا منه لهم لان تأويل ذلك صائر الى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخزي الدائم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه وما كانت قصته فقل لهم سأتلو عليكم من خبره ذكرا يقول سأقص عليكم منه خبرا وقد قيل ان الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذي القرنين كانوا قوما من أهل الكتاب فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركي قومه فقد ذكرناه قبل وأما الخبر بأن الذين سألوه كانوا قوما من أهل الكتاب فحدثنا به أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة قال ثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن شيخين من تجيب قال أحدهما صاحبه انطلق بنا الى عقبة بن عامر نتحدث قالا فأتياه فقالا جئنا نتحدثنا فقال كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت من عنده فلقيني قوم من أهل الكتاب فقالوا نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن لنا عليه فدخلت عليه فأخبرته فقال مالي ولهم مالي علم الا ما علمني الله ثم قال اسكب لي ماء فتوضأ ثم صلى قال فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه ثم قال أدخلهم علي ومن رأيت من أصحابي فدخلوا فقاموا بين يديه فقال ان شئتم سألتم فأخبرتكم مما تجدونه في كتابكم مكتوبا وان شئتم أخبرتكم قالوا بل أخبرنا قال جئتم تسألوني عن ذي القرنين وما تجدونه في كتابكم كان شابا من الروم فجاء فبنى مدينة مصر الاسكندرية فلما فرغ جاءه ملك فعلابه في السماء فقال له ما ترى فقال أرى مدينتي ومدائن ثم علابه فقال ما ترى فقال أرى مدينتي ثم علابه فقال ما ترى قال أرى الارض قال فهذا اليم محيط بالدنيا ان الله بعثني اليك تعلم الجاهل وتثبت العالم فأتى به السد وهو جبلان ليس بينهما شئ ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج ثم مضى به الى أمة أخرى وجوههم وجوه

قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا (أرأيت) ومفعوله محذوف لدلالة قوله فاني نسيت الحوت عليه كأنه قال أرأيت ما دهاني ووقع لي (اذ أوينا الى الصخرة) قيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت (فاني نسيت الحوت) عليها ثم ذكر ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال (وما أنسانيه الا الشيطان) و(أن أذكره) بدل الاشتمال من الهاء في أنسانيه أى وما أنساني ذكره قال الكعبي لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى أولى من اسناده الى الشيطان اذ ليس له في وجوده سعي ولا أثر وقال القاضي المراد بانساء الشيطان أن يشتغل قلب الانسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك لا يصلح أن يكون الا من قبل الله تعالى قال أهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله في البحر عقيب النسيان ذكر أولا فاتخذ بالفاء ولما حيل بينهما ثانيا بجملة معترضة هي قوله وما أنسانيه زال معنى التعقيب وبقي العطف المجرد فقال (واتخذ سبيله) بالواو وانتصاب (عجبا) كما مر في سربا قال صلى الله عليه وسلم كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا (قال) موسى

(ذلك) يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر (ما كنا نبغ) أى انه الذي كنا نطلبه لانه أمارة الظفر بالمطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا على طريقهما المسلوك (قصصا) مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر أى يتبعان آثارهما اتباعا أو هو مصدر في موضع الحال أى رجعا على الطريق الذي جاءا منه مقتصين (فوجدا عبدا من عبادنا) الأكثرون على أن ذلك العبد كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله (آتيناه رحمة من عندنا) والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله أهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع أن كل رحمة نبوة

قالوا وصفه بقوله (وعلمناه من لدنا علما) والعلم المختص به تعالى هو الوحى والاخبار بالغيوب وأيضا قال فى آخر القصة وما فعلته عن أمرى أى عرفته وفعلته بأمر الله وذلك مستلزم الوحى وروى أن موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبى بنى اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذى بعثك الى والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق فيه اذا ضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة (٨) قويت القوة العقلية وأشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل ويفيض عليه من عالم الارواح أنوار يستعد بسببها للاحاطة أسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون أيضا على أن ذلك العبد هو الخضر سمى بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا أخضر ذلك الموقف وقال الجبائى روى أن الخضر انما بعث بعد موسى عليه السلام من بنى اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه أظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وأن موسى أظهر التواضع له حين قال ولا أعصى لك أمرا مع أنه كان مبعوثا الى كافة بنى اسرائيل والامة لا تكون أعلى حالا من النبى وان لم تكن الرواية صحيحة بأن الخضر لا يكون من بنى اسرائيل لم يجز أن يكون الخضر أفضل من موسى عليه السلام لانه تعالى قال لبنى اسرائيل وأنى فضلتكم على العالمين وأجيب بأنه يجوز أن يكون غير النبى فوق النبى فى علوم لا تتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى رأى مع الخضر فى قوله (هل اتبعك) أنواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه أن المتعلم يجب عليه الخدمة وتسليم النفس والاتيان بمثل أفعال الاستاذ وأقواله على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هى الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا سمينا متبعين لليهود فى قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل أنهم قالوها بل لقيام الدليل على قولها ولكنا متابعون فى الصلوات الخمس النبى صلى الله عليه وسلم لانا نأتى بها لاجل أنه أتى بها ومنها أنه استأذن فى اثبات هذه التبعية ومنها أنه قال على أن تعلمنى مما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه أنه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه أن يجعله مساويا له فى العلم كما يطلب الفقير من الغنى أن يدفع اليه جزأ من أجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بأن ذلك العلم علمه الله

الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى حتى قطع به هؤلاء الى أمة أخرى قدسماهم واختلف أهل العلم فى المعنى الذى من أجله قيل لذى القرنين ذو القرنين فقال بعضهم قيل له ذلك من أجل أنه ضرب على قرنه فهلك ثم أحيى فضرب على القرن الآخر فهلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عبيد المكتب عن أبى الطفيل قال سأل ابن الكوا عليا عن ذى القرنين فقال هو عبد أحب الله فأحبه وناصح الله فنصحه فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قرنه فقتلوه ثم بعثه الله فضربوه على قرنه فمات حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن أبى الطفيل قال سئل على رضوان الله عليه عن ذى القرنين فقال كان عبدا ناصح الله فناصحه فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فأحياه الله فدعا قومه الى الله فضربوه على قرنه فمات فسمى ذا القرنين حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل قال سمعت عليا وسألوه عن ذى القرنين أنبيا كان قال كان عبدا ناصح الله فأحب الله فأحبه وناصح الله فنصحه فبعثه الله الى قومه فضربوه ضربتين فى رأسه فسمى ذا القرنين وفيكم اليوم مثله * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به محمد ابن سهل البخارى قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل قال قال وهب بن منبه كان ذو القرنين ملكا فقيل له فلم سمى ذا القرنين قال اختلف فيه أهل الكتاب فقال بعضهم ملك الروم وفارس وقال بعضهم كان فى رأسه شبه القرنين * وقال آخرون انما سمى ذلك لان صفحتى رأسه كانتا من نحاس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال ثنى من لا أتهم عن وهب بن منبه اليمانى قال انما سمى ذا القرنين أن صفحتى رأسه كانتا من نحاس وقوله انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا يقول انا وطأنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا يقول وآتيناه من كل شئ يعنى ما يتسبب اليه وهو العلم به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وآتيناه من كل شئ سببا يقول علما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناه من كل شئ سببا أى علما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآتيناه من كل شئ سببا قال من كل شئ علما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وآتيناه من كل شئ سببا قال علم كل شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وآتيناه من كل شئ سببا علما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وآتيناه من كل شئ سببا يقول علما

تعالى والاسمى فاعلم وفيه اشعار بأن انعامه عليه فى هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه فيه ومن هنا قيل أنا عبد من علمنى حرفا وسنبا أن الخضر عرف أنه نبى صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وانما طلب التعليم فقال على أن تعلمنى فدل ذلك على أنه لا كمال فوق كمال العلم وأنه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه أن كل من كانت احاطته بالعلوم أكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر فكان حرصه على زيادتها أوفر ومنها أنه قال (٩) رشدا وهو يصلح أن يكون مفعولا لتعلمنى واضلت

أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى وفيه تعظيم لما سيعلمه فان الارشاد هو الأمر الذى لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر أنه قال لن تستطيع معى صبرا نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد لعلمه بأنه يتولى أمورا هى فى الظاهر منكرة والرجل الصالح لا سيما النبى الذى يحكم بظواهر الامور شرعا فلما تمالك أن يصبر عليها و (خبرا) تمييز أى لم يحط به خبرك أو هو مصدر لكونه فى معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالآية على أن الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر ينفى الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام فى معنى الانكار أى لا تصبر البتة أجاب الجبائى بأنه أراد بنفى الاستطاعة أنه يثقل عليه الصبر لا أنه لا يستطيعه يقال فى العرف ان فلانا لا يستطيع أن يرى فلانا وان يحادثه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا (قال) له موسى (ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى) أى ستجدنى غير عاص لك أمرا) ويجوز أن يكون قوله ولا أعصى جملة مستأنفة معطوفة على مثلها أى ستجدنى ولا أعصى قال أهل السنة فى قوله ان شاء الله بعد تيقن الشك والصبر مأمور به دليل على أنه تعالى قد لا يريد من العبد

وقوله (أتبع سببا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة فاتبع بوصل الألف وتشديد التاء بمعنى سلك وسار من قول القائل اتبعت أثر فلان اذا قفوته وسرت وراءه وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة فأتبع بهمز الألف وتخفيف التاء بمعنى لحق * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه فاتبع بوصل الألف وتشديد التاء لان ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذى القرنين فى الأرض التى مكن له فيها لا عن لحاقه السبب وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فاتبع سببا يعنى بالسبب المنزل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله سببا قال منزلا وطريقا ما بين المشرق والمغرب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد فاتبع سببا قال طريقا فى الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاتبع سببا اتبع منازل الارض ومعالمها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاتبع سببا قال (١) هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات قال طرق السموات حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فاتبع سببا قال منازل الارض حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فاتبع سببا قال المنازل

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا بلغ ذو القرنين مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة فاختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة فى عين حمئة بمعنى أنها تغرب فى عين ماء ذات حمأة وقرأته جماعة من قراء المدينة وعامة قراء الكوفة فى عين حامية يعنى أنها تغرب فى عين ماء حارة واختلف أهل التأويل فى تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القراء فى قراءته ذكر من قال تغرب فى عين حمئة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وجدها تغرب فى عين حمئة قال فى طين أسود حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ فى عين حمئة قال ذات حمأة حدثنا الحسين بن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن علية عن عثمان بن حاضر قال سمعت عبد الله بن عباس يقول قرأ معاوية هذه الآية فقال عين حامية فقال ابن عباس انها عين حمئة قال فجعلا كعبا بينهما

(١) عبارة الدر هذه الآن الطرق ثم قال والشئ يكون اسمه واحدا وهو متفرق فى المعنى فتأمل مصححه

(٣ - ابن جرير سادس عشر) ما أوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب وأجيب بأن هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فأى أدب فى ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون فى قوله ولا أعصى لك أمرا دليل على أن ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص بهذه الآية والعاصى يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون فى قول الخضر تغليظ وتجهيل وفى قول موسى تحمل وتواضع فدل ذلك على أن المعلم ان رأى التغليظ على المتعلم فيما يعتقده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم أن يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال (فان اتبعتنى فلا تسألنى) شرط على موسى عليه السلام فى اتباعه

أن لا يسأل عما خفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدئ بتعليمه اياه وباخباره عن وجه الحكمة فيه (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركباها روي أن أهلها قالوا هما من اللصوص وأمروهما بالخروج فمنعهم صاحب السفينة وقال أرى وجوه الانبياء وقيما عرفوا الخضر فحملوهم بلا أجرة فلما حصلوا في اللجة أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء وقيل خرق جدار السفينة ليعيبها ولا يتسارع الغرق (١٠) الى أهلها فعمل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول (أخرقتها لتغرق أهلها لقد

جئت شيأ إمرا) أتيت شيأ عظيما يقال أمر الامر اذا عظم ويقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه انه أمر إمر احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بأن موسى عليه السلام اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب وأجيب بأنه لم يقبل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه أحب أن يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة أو أنه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا (قال لا تؤاخذني بما نسيت) ولا مؤاخذة على الناسي وما موصولة أو موصوفة أو مصدرية أي بالذي نسيته أو بشيء نسيته وبنسياني وجوز في الكشاف أن لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه أوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت أنه قد نسي ليبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتوصل بها الى التخلص مع التوصل الى الغرض وجوز أيضا أن يكون النسيان بمعنى الترك أي بما تركت من وصيتك أول مرة (ولا ترهقني) ولا تغشني (من أمري عسرا) وأراد بأمره أمر المتابعة أي يسر علي متابعتك بالاغضاء وترك المناقشة وانما قال في هذه القصة نسيت وفي قصة الغلام فعل فقتله من جملة الشرط معطوفا عليه بفاء التعقيب لان القتل يعقب لقاء الغلام ولفظ الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه قولهم رأى الشيخ خيرا من شهد حسنا

الغلام أصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القرآن أنهما كيف لقياه وهل كان بالغا مع جمع من الغلمان أو كان منفردا وهل كان ... ا أو كان كافرا وهل كان بالغا أو كان صغيرا واسم الغلام بالصغير أليق الا أن (بغير نفس) بالبالغ أليق لان الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس أن نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من

قال فارسلا الى كعب الاحبار فسألاه فقال كعب أما الشمس فانها تغيب في ثأط فكانت على ما قال ابن عباس والثأط الطين حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني نافع بن أبي نعيم قال سمعت عبد الرحمن الاعرج يقول كان ابن عباس يقول في عين حمئة ثم فسرها ذات حمأة قال نافع وسئل عنها كعب فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تغيب في طينة سوداء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حمئة قال هي الحمأة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في عين حمئة قال ثأط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله عز ذكره تغرب في عين حمئة قال ثأطة * قال وأخبرني عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قرأت في عين حامية وقرأ عمرو بن العاص في عين حامية فأرسلنا الى كعب فقال انها تغرب في حمأة طينة سوداء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة تغرب في عين حمئة والحمئة الحمأة السوداء حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا مروان بن معاوية عن ورقاء قال سمعت سعيد ابن جبير قال كان ابن عباس يقرأ هذا الحرف في عين حمئة ويقول حمأة سوداء تغرب فيها الشمس * وقال آخرون بل هي تغيب في عين حارة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يقول في عين حارة حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في عين حامية قال حارة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله في عين حامية قال حارة وكذلك قرأها الحسن * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار والكل واحد منهما وجه صحيح ومعنى مفهوم وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين فيكون القارئ في عين حامية واصفها بصفتها التي هي لها وهي الحرارة ويكون القارئ في عين حمئة واصفها بصفتها التي هي بها وهي أنها ذات حمأة وطين وقد روي بكلا صيغتيها اللتين قلت انهما من صفتها أخبار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا العوام قال ثني مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غابت فقال في نار الله الحامية في نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الارض حدثني الفضل بن داود الواسطي قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأه حمئة وقوله ووجد عندها قوما ذكر أن أولئك القوم يقال لهم ناسك وقوله قلنا يا ذا القرنين اما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا لم يخلوا في الاقرار بتوحيد الله وبذعنوا لك بما تدعوهم اليه من طاعة ربهم واما أن تتخذ فيهم

حال الولدان ما عمله عالم موسى فلك أن تقتل قال الكسائى الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة وقال أبو عمرو الزاكية التى لم تذنب والزكية التى أذنبت ثم تابت ويجوز أن يكون وصفها بالزكاء لانه لم يرها أذنبت فهى طاهرة عنده قيل النكر أقل من الامر لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل النكر أشد لأن ذلك كان خرقا يمكنه تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وأيضا الامر العجيب والعجب يستعمل فى الخير والشر والنكر ما تنكره العقول فهو شر وظاهر الآية يدل على أن موسى استبعد أن تقتل النفس الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل بسائر الاسباب ولعله اعتبر السبب الأغلب الأقوى واختلفوا فى كيفية قتله فقيل قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير أضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر أنه ما زاد على أن أذكره ما عاهد عليه فقال (ألم أقل لك) وانما زاد ههنا لك لان الانكار أكثر وموجب العتاب أقوى وقيل أكد التقرير الثانى بقوله لك كما تقول ان تو نصحته لك أقول وابلك أعنى وقيل بين فى الثانى المقول له لما لم يبين فى الاول فعند هذا (قال) موسى (ان سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه المرة أو المسئلة (فلا تصاحبنى) نهاه عن المصاحبة حينئذ مع حرصه على التعلم لظهور عذره كما قال (قد بلغت من لدنى عذرا) وهذا كلام نادم شديد الندامة جره المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى موسى استحيا فقال ذلك (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) هى أنطاكية وقيل الايلة وهى أبعد أرض الله من السماء (استطعما أهلها) وكان حق الايجاز أن يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتأكيد كقوله

لبئس الغراب غداة ينعب بينا * كان الغراب مقطع الأوداج

وأيضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين فى مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستطالة (فأبوا أن يضيفوهما) يقال أضافه وضيفه اذا أنزله وجعله ضيفه والتركيب يدور على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا أهل قرية لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام وكيف أقدما عليه وأيضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى أن يغضب عليهم حتى ترك عهد صاحبه وقال (لو شئت لاتخذت عليه

حسنا يقول وأما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا﴾ يقول جل ثناؤه قال أما من ظلم فسوف نعذبه يقول أما من كفر فسوف نقتله كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أما من ظلم فسوف نعذبه قال هو القتل وقوله ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا يقول ثم يرجع الى الله تعالى بعد قتله فيعذبه عذابا عظيما وهو النكر وذلك عذاب جهنم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا﴾ يقول وأما من صدق الله منهم ووحده وعمل بطاعته فله عند الله الحسنى وهى الجنة جزاء يعنى ثوابا على ايمانه وطاعته ربه وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة فله جزاء الحسنى برفع الجزاء واضافته الى الحسنى واذا قرئ ذلك كذلك فله وجهان من التأويل أحدهما أن يجعل الحسنى مرادا بها ايمانه وأعماله الصالحة فيكون معنى الكلام اذا أريد بها ذلك وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها يعنى جزاء هذه الأفعال الحسنة والوجه الثانى أن يكون معنيا بالحسنى الجنة وأضيف الجزاء اليها كما قيل ولدار الآخرة خير والدار هى الآخرة وكما قال وذلك دين القيمة والدين هو القيم وقرأ آخرون فله جزاء الحسنى بمعنى فله الجنة جزاء فيكون الجزاء منصوبا على المصدر بمعنى يجازيه جزاء الجنة ﴿ وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأه فله جزاء الحسنى بنصب الجزاء وتنوينه على المعنى الذى وصفت من أن لهم الجنة جزاء فيكون الجزاء نصبا على التفسير وقوله وسنقول له من أمرنا يسرا يقول وسنعلمه نحن فى الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يقربه الى الله ويلين له من القول وكان مجاهد يقول نحوا مما قلنا فى ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقا جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من أمرنا يسرا قال معروفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا﴾ يقول تعالى ذكره ثم سار وسلك ذو القرنين طرقا ومنازل كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أتبع سببا يعنى منزلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أتبع سببا منازل الارض ومعالمها حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا يقول تعالى ذكره ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ولا تحتمل بناء فيسكنوا البيوت وانما يغورون فى المياه أو يسربون فى الأسراب

أجرا) وأجيب بأن الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة أو أشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجبت اجابته ولقائل أن يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار ولمجيب أن يقول انه أقام الجدار معجزة فقد روى أنه مسحه بيده فقام واستوى وقيل أقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وروى أنه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال أهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى أن أهل تلك (١٣) القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما حدثني ابراهيم بن المستمر قال ثنا سليمان بن داود أبو داود قال ثنا سهل بن أبي الصلت السراج عن الحسن تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال كانت أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت عليهم الشمس تغور وا في الماء فاذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال ثم قال الحسن هذا حديث سمرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ذكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه البناء وانما يكونون في أسراب لهم حتى اذا زالت عنهم الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم قال كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عليهم فيها بناء قط وكانوا اذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل وجاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها فقالوا لا نبرح حتى تطلع الشمس ما هذه العظام قالوا هذه جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فماتوا قال فذهبوا هاربين في الارض حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال بلغنا أنهم كانوا في مكان لا يثبت عليهم بناء فكانوا يدخلون في أسراب لهم اذا طلعت الشمس حتى تزول عنهم ثم يخرجون الى معايشهم * وقال آخرون هم الزنج ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قال يقال هم الزنج وأما قوله كذلك فان معناه ثم أتبع سببا كذلك حتى اذا بلغ مطلع الشمس وكذلك من صلة أتبع وانما معنى الكلام ثم أتبع سببا حتى بلغ مطلع الشمس كما أتبع سببا حتى بلغ مغربها وقوله وقد أحطنا بما لديه خبرا يقول وقد أحطنا علما عند مطلع الشمس علما لا يخفى علينا مما هنالك من الخلق وأحوالهم وأسبابهم ولا من غيرهم شئ * وبالذي قلنا في معنى الخبر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله خبرا قال علما حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا قال علما * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا﴾ يقول تعالى ذكره ثم سار طرقا ومنازل وسلك سببا حتى اذا بلغ بين السدين واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين حتى اذا بلغ بين السدين بضم

يحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب أن تجعل الباء تاء أي فأتوا أن يضيفوهما فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله (يريد أن ينقض) معناه يسرع سقوطه من انقض الطائر اذا هوى في طيرانه يقال قضضته فانقض ويحتمل أن يكون افعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون تكون أصلية واحدى الضادين مكررة زائدة عكس الأول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة تشبيها للجماد بالأحياء نظيره ولما سكت عن موسى الغضب قلنا أتينا طائعين ولما أقام الخضر الجدار ورأى موسى من الحرمان ومس الحاجة (قال) لصاحبه (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) لطلبت على عملك جعلا حتى نستدفع به الضرورة واتخذ افتعل من أخذ كاتبع من تبع وليس من الأخذ على الأصح (قال) الخضر مشيرا الى الفراق المتصور في قوله فلا تصاحبني أو مشيرا الى السؤال والاعتراض (هذا فراق بيني) الاضافة بمعنى في أي فراق أو سبب فراق في بيني (وبينك) وحكى القفال أن البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تقرير الحكم التي تضمنتها أفعاله وذلك الحكم تشترك في أصل واحد هو أنه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى فقال (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة (يعملون في البحر) وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على أن الفقير أسوأ حالا من المسكين (وكان وراءهم ملك) وهو ملك يسمى جلندى والوراء ههنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل أراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كان عندهم خبره (يأخذ كل سفينة) أي غير معيبة (غصبا) ولا يخفى أن الضرر الحاصل من التغريق أهون من فوات السفينة بالكلية والتخريق وان كان تصرفا في ملك الغير الا أنه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به

بأس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة أو لعله كان من مخصوصات النبي صلى الله عليه وسلم قال جار الله قوله فأردت أن أعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه أن يتأخر عن السبب ولكنه قدم للعناية أي تتعجب من هذا وهو مرادي وأنا مأمور به وأيضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كون السفينة لمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظن بين المبتدا والخبر في قولك زيد ظني مقيم في أنه يتعلق بالطرفين (وأما الغلام) فقد قيل انه كان (١٣) بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة

بضم السين وكذلك جميع ما في القرآن من ذلك بضم السين وكان بعض قراء المكيين يقرؤه بفتح ذلك كله وكان أبو عمرو بن العلاء يفتح السين في هذه السورة ويضم السين في يس ويقول السد بالفتح هو الحاجز بينك وبين الشئ والسد بالضم ما كان من غشاوة في العين وأما الكوفيون فان قراءة عامتهم في جميع القرآن بفتح السين غير قوله حتى اذا بلغ بين السدين فانهم ضموا السين في ذلك خاصة وروى عن عكرمة في ذلك ما حدثنا به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن أيوب عن عكرمة قال ما كان من صنعة بني آدم فهو السد يعني بالفتح وما كان من صنع الله فهو السد وكان الكسائي يقول هما لغتان بمعنى واحد * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفتة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء وعكرمة بين السد والسد ولا نالم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك على ما حكي عنهما ومما يبين ذلك أن جميع أهل التأويل الذين روي لنا عنهم في ذلك قول لم يجعل لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه ولو كانا مختلفي المعنى لنقل الفصل مع التأويل ان شاء الله ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك وأما ما ذكر عن عكرمة في ذلك فان الذي نقل ذلك عن أيوب هرون وفي نقله نظر ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه والسد والسد جميعا الحاجز بين الشيئين وهما ههنا فيما ذكر جبلان سدا بينهما فردم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم ليقطع مادة غوائلهم وعيثهم عنهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس حتى اذا بلغ بين السدين قال الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج أمتين من وراء ردم ذي القرنين قال الجبلان أرمينية وأذربيجان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا بلغ بين السدين وهما جبلان حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله بين السدين يعني بين جبلين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله بين السدين قال هما جبلان وقوله وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا يقول عز ذكره وجد من دون السدين قوما لا يكادون يفقهون قول قائل سوى كلامهم وقد اختلفت القراء في قراءة قوله يفقهون فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة يفقهون قولا بفتح القاف والياء من فقه الرجل يفقه فقها وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يفقهون قولا بضم الياء وكسر القاف من أفقهت فلانا كذا أفقهه إفقاها اذا فهمته ذلك * والصواب عندي من القول في ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار غير دافعة احداهما الاخرى وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولا لغيرهم عنهم فيكون صوابا القراءة

وكان أبواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يقعان في الفسق لذلك واحتمل أن يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد كما قال (فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) يقال رهقته أي غشيته وأرهقته اياه وقيل انه كان صبيا الا أن الله تعالى علم من حاله أنه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد فأعلم الخضر بحاله وأمره بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه ومثل هذا لا يجوز الا اذا تأكد الظن بالوحي وقيل أردنا خشينا أن يغشى الوالدين طغيانا علمناه وكفرا بنعمتهما بعقوقه أو خشينا أن يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوزوا أن يكون قوله نخشى من كلام الله تعالى أي كرهنا كراهة من خاف سوء عاقبة أمر فغيره والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب وكأنه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف بمعنى الاشفاق على الابوين يروى أنهما ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الامم ويروى أنها ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول الحيسون وفي نسخة الحسين (وأما الجدار فكان لغلامين) قيل اسمهما أصرم وصريم وقوله (في المدينة) بعد قوله أتيا أهل قرية فيه دلالة على أن القرية لا تسمى المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما أما الكنز فقيل هو المال لقوله (ويستخرجا) ولان المفهوم منه عند اطلاقه هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان أبوهما صالحا ودفن المال لا يليق بأهل الصلاح وعورض بقول قتادة أحل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل

وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي قوله وكان أبوهما صالحا دلالة على أن صلاح الآباء يفيد العناية بأحوال الابناء عن جعفر بن محمد رضي الله عنه كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وذكر من صلاح أبيهما أن الناس كانوا يضعون الودائع عنده فيردها اليهم سالمة قالت العلماء الأشبه أن اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به الا أنه غائب وانما أشرف الجدار على السقوط و(رحمة ١٤) من ربك) مصدر منصوب بأراد لانه في معنى رحمهما أو مفعول له (وما فعلته عن أمري)

أي اجتهادي ورأيي وانما فعلته بأمر الله * سؤال لم قال في الاول فأردت أن أعيبها وفي الثاني فأردنا وفي الثالث فأراد ربك الجواب لان الاول اسناد في الظاهر فأسنده الى نفسه وفي الثالث انعام محض فاسنده الى الله سبحانه وفي الثاني افساد من حيث القتل وانعام من حيث التبديل فجمع بين الأمرين ويمكن أن يقال ان القتل كان منه ولكن ازهاق الروح كان من الله ويحتمل أن يقال الوحدة في الاول على الأصل والجمع في الثاني تنبيه على أن من الاولياء المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله بالآخرة اشارة الى أنه لا ارادة الا ارادة الله وما تشاؤن الا أن يشاء الله (ذلك) الذي ذكر من أسرار تلك الوقائع (تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي يرجع المقصود من تلك الافاعيل الى ما قررتموه أصلا تستطع كما في قوله سأنبئك بتأويل ما لم تستطع الا أن التاء حذفت لأجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ في الاستعمال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى لولبث مع صاحبه لأبصر أعجب الاعاجيب * التأويل واذ قال موسى لفتاه فيه أن المسافر لا بد له في الطريق من الرفيق وفيه أن من شرطهما أن يكون أحدهما أميرا والآخر مأمورا وأن يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وأن لا ييأس من متاعب السفر حتى يظفر بمقصوده عرض

بذلك وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل اما بألسنتهم واما بمنطقهم فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا وقوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض اختلفت القراء في قراءة قوله ان يأجوج ومأجوج فقرأت القراء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم ان ياجوج وماجوج بغير همز على فاعول من يججت ومججت رجعوا الالفين فيهما زائدتين غير عاصم بن أبي النجود والاعرج فانه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعا وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام وكأنهما جعلا يأجوج يفعول من أججت ومأجوج مفعول والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا أن ياجوج وماجوج بألف بغير همز لاجماع الحجة من القراء عليه وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ومنه قول رؤبة بن العجاج

لو أن ياجوج وماجوج معا * وعاد عاد واستجاشوا تبعا

وهم أمتان من وراء السد وقوله مفسدون في الارض اختلف أهل التأويل في معنى الافساد الذي وصف الله به هاتين الأمتين فقال بعضهم كانوا يأكلون الناس ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن الوليد الرملي قال ثنا ابراهيم بن أيوب الحوراني قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض قال كانوا يأكلون الناس * وقال آخرون بل معنى ذلك ان يأجوج ومأجوج سيفسدون في الارض لأنهم كانوا يومئذ يفسدون ذكر من قال ذلك وذكر صفة اتباع ذي القرنين الأسباب التي ذكرها الله في هذه الآية وذكر سبب بنائه الردم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني بعض من يسوق أحاديث الاعاجم من أهل الكتاب ممن قد أسلم مما توارثوا من علم ذي القرنين ان ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبا بن مرزبة اليوناني من ولد يونن بن يافث بن نوح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي وكان خالد رجلا قد أدرك الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول ياذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسموا بأسماء الملائكة فان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فالحق ما قال والباطل ما خالفه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق قال فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني وكان له علم بالاحاديث الاول أنه كان يقول ذو القرنين رجل من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر وانما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس فلما بلغ وكان عبدا صالحا قال الله عز وجل له ياذا القرنين اني باعثك الى أمم الارض وهي أمم مختلفة ألسنتهم وهم جميع أهل الارض ومنهم أمتان بينهما ما طول الارض كله ومنهم أمتان بينهما

الشيخ فهيهات فانه ظن فاسد ومتاع كاسد الان أدركته العناية الأزلية ورد اليه صدق الارادة فقبل الرفيق التوفيق آتنا غداءنا وهو همة الشيخ وبركة صحبته لقد لقينا في سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا فقال رفيقه أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فنسيت حوت القلب قال ذلك ما كنا نبغي من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا وزينتها أن يتخذ سبيله في بحر ولاية شيخ كامل فوجدا عبدا من عبادنا حرا من رق غيرنا وفي قوله وعلمناه من لدنا علما اشارة الى أنه تعالى (٥١) أطلعه على بواطن الأشياء وحقائقها رتبنا

عرض الارض كله وأمم في وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فاما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأما الاخرى فعند مطلعها يقال لها منسك وأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن يقال لها هاويل وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر فأمة يقال لها تاويل فلما قال الله له ذلك قال له ذو القرنين الهي انك قد ابتليتني لامر عظيم لا يقدر قدره الا أنت فأخبرني عن هذه الامم التي بعثتني اليها بأي قوة أكابرهم وبأي جمع أكاثرهم وبأي حيلة أكايدهم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغاتهم وبأي سمع أعي قولهم وبأي بصر أنذهم وبأي حجة أخاصمهم وبأي قلب أعقل عنهم وبأي حكمة أدبر أمرهم وبأي قسط أعدل بينهم وبأي حلم أصابرهم وبأي معرفة أفصل بينهم وبأي علم أتقن أمورهم وبأي يد أسطو عليهم وبأي رجل أطؤهم وبأي طاقة أغصمهم وبأي جند أقاتلهم وبأي رفق أستألفهم فانه ليس عندي يا الهي شيء مما ذكرت يقوم لهم ولا يقوى عليهم ولا يليق بهم وأنت الرب الرحيم الذي لا يكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها الا طاقتها ولا يعنتها ولا يفدحها بل أنت تراها وترحمها قال الله عز وجل اني سأطوقك ما حملتك أشرح لك صدرك فيتسع كل شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شيء وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شيء وأفتح لك سمعك فتعي كل شيء وأسدد لك بصرك فتنفذ كل شيء وأدبر لك أمرك فتتقن كل شيء وأحصي لك فلا يفوتك شيء وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء وأشد لك ظهرك فلا يهدك شيء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شيء وأشد لك قلبك فلا يروعك شيء وأحضر لك النور والظلمة فأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك وأشد لك عقالك فلا يهولك شيء وأبسط لك من بين يديك فتسطو فوق كل شيء وأشد لك وطأتك فتهد كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ولما قيل له ذلك انطلق يوم الامة التي عند مغرب الشمس فلما بلغهم وجدجمعا وعددا لا يحصيه الا الله وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة وقلوبا متفرقة فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها فأحاطتهم من كل مكان وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور فدعاهم الى الله والى عبادته فمنهم من آمن له ومنهم من صد فعمد الى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت في بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب منهم فاجوافها وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا اليه بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم والنور أمامهم يقودهم ويدلهم وهو يسير في ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التي في قطر الارض الايمن التي يقال لها

النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس وتجريد القلب عن العلائق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم فكان من الواجب على الخضر أن يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد موسى تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلاث اشارة الى ما قلناه من أن العلم الظاهر يباين العلم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شيء واذا تأمل العاقل السالك في قول موسى هل أتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسألني الخ وجد أصول الشرائط التي شرطها الصوفية للمريد للشيخ مودعة فيها وفي تفصيلها طول وقد أشرنا في التفسير الى طرف منها ومن أراد الكمال فعليه بعلم العبادة كتاب آداب المريدين للشيخ المحقق أبي النجيب السهروردي تغمده الله بغفرانه حتى اذا ركبا في السفينة هي سفينة الشريعة خرقها بهدم الناموس في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب وسئل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وحذرا من اتباعهم والعجب أخرقتها لتغرق أهلها لقد أوديت الخلال اذا اقتديت بك حتى ظننا الخلاص هو النفس الأمارة

فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا أتيا أهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما أهلها بطلب أفاعيلها التي تختص بها فأبوا أن يضيفوهما باعطاء خواصها كما ينبغي لكلا لها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد أن ينقض بقطع العلاقة فأقامه بتقوية البدن والرفق بالقوى والحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها ولو شئت لاتخذت عليه أجرا ثوابا جزيلا أي لو شئت لصبرت على شدة الرياضة الى افاضة الانوار ونيل الكشوف أما السفينة فكانت لمساكين

هم العوام الذين يعملون فى بحر الدنيا وليس لهم فى برعالم الربوبية سير وسلوك حتى يصلوا الى ملوك تحت أطمار فاردت أن أعينها فى الظاهر لتسلطهم بالاخلاص فى البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان يأخذ كل سفينة غصبا لان كل عبادة تخلو عن الانكسار والذل والخشوع فانما للشيطان لا للرحمن وأما الغلام فكان أبواه وهما القلب والروح مؤمنين فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة هو النفس المطمئنة وأقرب رحما أى نسبة الى الأبوين (١٦) وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين هما النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز

لهما هو حد بل الكمالات النظرية والعملية وكان أبوهما وهو العقل المفارق صالحا كاملا بالفعل فلهذا ادخر لأجلهما ما ادخر فأراد ربك أن يبلغا أشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا ما كان كامنا فيهما رحمة ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب واما أن تتخذ فيهم حسنا قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربى وسمعوا

هاويل وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره فلا يخطئ اذا ائتمر واذا عمل عملا أتقنه فانطلق يقود تلك الأمم وهى تتبعه فاذا انتهى الى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال فنظمها فى ساعة ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود فاذا قطع الأنهار والبحار فتقها ثم دفع الى كل انسان لوحا فلا يكرثه حمله فلم يزل كذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل فعمل فيها كعمله فى ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا فى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الأمة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند منها كفعله فيما قبلها فلما فرغ منها عطف منها الى الأمم التى وسط الارض من الجن وسائر الناس ويأجوج ومأجوج فلما كان فى بعض الطريق مما يلى منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة من الانس صالحة ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله وكثيرهم مشابه للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع ويأكلون خشاش الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذى روح مما خلق الله فى الارض وليس لله خلق ينمو نماءهم فى العام الواحد ولا يزداد كزيادتهم ولا يكثر ككثرتهم فان كانت لهم مدة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم فلا شك أنهم سيملؤن الارض ويحلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقعهم وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما أعدو الى الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم وأعلم علمهم وأقيس ما بين جبليهم ثم انطلق يؤمهم حتى دفع اليهم وتوسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد كرهم وأنثاهم مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب فى موضع الأظفار من أيدينا وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها وأحناك كأحناك الابل قوة تسمع لها حركة اذا أكلوا كحركة الجرة من الابل أو كقضم الفحل المسن أو الفرس القوى وهم هلب عليهم من الشعر فى أجسادهم ما يواريهم وما يتقون به الحر والبرد اذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان احداهما بزة ظهرها وبطنها والاخرى زغبة ظهرها وبطنها تسعانه اذا لبسهما يلتحف احداهما ويفترش الاخرى ويصيف فى احداهما ويشتى فى الاخرى وليس منهم ذكر ولا أنثى الا وقد عرف أجله الذى يموت فيه ومنقطع عمره وذلك انه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد فاذا كان ذلك أيقن بالموت وهم يرزقون اثنتين أيام الربيع ويستمطرونه اذا احتبسوه كما نستمطر الغيث حينه فيقذفون منه كل سنة واحدة فيأكلونه عامهم كله الى مثله من العام القابل فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم فاذا أمطروا أخصبوا وعاشوا

فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك

الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴿ القراآت فأتبع ثم أتبع مقطوعة ابن عامر وعاصم (١٧) وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد موصولة

وسموا ورؤي أثره عليهم فدرت عليهم الاناث وشبقت منهم الرجال الذكور واذا أخطأهم هزلوا وأجدبوا وجفرت الذكور وحالت الاناث وتبين أثر ذلك عليهم وهم يتداعون تداعي الحمام ويعوون عواء الكلاب ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف الى ما بين السدين فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس فوجد بعد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له أساسا حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا وجعل حشوه الصخور وطينه النحاس يذاب ثم يصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الارض ثم علاه وشرفه بزبر الحديد والنحاس المذاب وجعل خلاله عرقا من نحاس أصفر فصار كأنه برد محبر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فلما فرغ منه وأحكمه انطلق عامدا الى جماعة الانس والجن فبيناهو يسير دفع الى أمة صالحة يهدون بالحق وبه يعدلون فوجد أمة مقتصدة يقسمون بالسوية ويحكمون بالعدل ويتآسون ويتراحمون حالهم واحدة وكلمتهم واحدة وأخلاقهم مشتبهة وطريقتهم مستقيمة وقلوبهم متآلفة وسيرتهم حسنة وقصورهم بأبواب بيوتهم وليس على بيوتهم أبواب وليس عليهم أمراء وليس بينهم قضاة وليس بينهم أغنياء ولا ملوك ولا أشراف ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون ولا يختلفون ولا يتنازعون ولا يستبون ولا يقتتلون ولا يقحطون ولا يحردون ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس وهم أطول الناس أعمارا وليس فيهم مسكين ولا فقير ولا فظ ولا غليظ فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم عجب منه وقال أخبروني أيها القوم خبركم فاني قد أحصيت الارض كلها برها وبحرها وشرقها وغربها ونورها وظلمتها فلم أجد مثلكم فأخبروني خبركم قالوا نعم فسلنا عما تريد قال أخبروني ما بال قبوركم موتاكم على أبواب بيوتكم قالوا عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا قال فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب قالوا ليس فينا متهم وليس منا الا أمين مؤتمن قال فما لكم ليس عليكم أمراء قالوا لا نتظالم قال فما بالكم ليس فيكم حكام قالوا لا نختصم قال فما بالكم ليس فيكم أغنياء قالوا لا نتكاثر قال فما بالكم ليس فيكم ملوك قالوا لا نتكابر قال فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون قالوا من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون قالوا من قبل أنا غلبنا طباعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالأحلام قال فما بالكم كلمتكم واحدة وطريقتكم مستقيمة مستوية قالوا من قبل أنا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضا قال فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم واعتدلت سيرتكم قالوا صحت صدورنا فنزع بذلك الغل والحسد من قلوبنا قال فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير قالوا من قبل أنا نقتسم بالسوية قال فما بالكم ليس فيكم فظ ولا غليظ قالوا من قبل الذل والتواضع قال فما جعلكم أطول الناس أعمارا قالوا من قبل أنا نتعاطى الحق ونحكم بالعدل قال فما بالكم لا تقحطون قالوا لا نغفل عن

حامية بالالف من غيرهمز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمزة من غير ألف جزاء الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الآخرون جزاء الحسنى بالرفع والاضافة السدين بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحفص وأبو زيد عن المفضل الآخرون بضمها يفقهون بضم الياء وكسر القاف حمزة وعلي وخلف الباقون بفتحهما يأجوج ومأجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الثعلبي فهل نجعل وبابه بادغام اللام في النون على وهشام خراجا بالالف حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون خرجا بسكون الراء سدا بفتح السين ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعلي وخلف وعاصم والباقون بضمها مكنني ابن كثير الباقون بادغام النون في النون ردما ائتوني يحيى وحماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب المفضل خبيرا أبو بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الآخرون بفتح الصاد والدال قال ائتوني والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير حماد وخلاد وقرأ أبو نشيط

والثعلبي فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل ابن مهران دكاء بالمد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة أحسب الذين بسكون السين ورفع الباء يزيد ويعقوب والاعشى في اختياره دوني أولياء بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وأبو عمر وأن ينفد بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان ﴿ الوقوف القرنين ط ذكرا ٥ ط سببا لا سببا ٥ قولا ٥ ط حسنا ٥ نكرا ٥ الحسنى ج لاختلاف الجملتين يسرا ٥ ط لان ثم لترتيب

الاخبار سببا ○ سترا ○ كذلك ط أى كذلك القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس وقيل يبتدأ كذلك أى ذلك كذلك أو الامر كذلك وقيل أى أحطنا بما لديه من العدد والعدد كذلك أى كعلمنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ○ ثم أتبع سببا ○ قوما لا قولا ○ سدا ○ ردما ○ الحديد ط انفخوا ط نارا لا لان قال جواب اذا قطرا ○ ط لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا ○ من ربى ج لعطف الجملتين المختلفتين ذكاء ج لا لان حقا ○ ط لانقطاع القصة (١٨) جمعا ○ لا للعطف عرضا ○ لا سمعا ○ أولياء ط نزلا ○ أعمالا ○ ط للفصل

بين الاستخبار والاخبار لان التقدير هم الذين ويجوز أن يكون نصبا على الذم أو جرا على البدل صنعا ○ وزنا ○ هزوا ○ نزلا ○ حولا ○ مددا ○ واحد ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب أحدا ○ ﴿ التفسير لما أجاب عن سؤالين من أسئلة اليهود وانتهى الكلام الى حيث انتهى شرع فى السؤال الثالث والجواب عنه وأصح الاقوال أن ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومى الذى ملك الدنيا بأسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة يحكى أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كان طوائف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وأمعن حتى انتهى الى البحر الأخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بنى اسرائيل ووردبيت المقدس وذبح فى مذبحته ثم عطف الى أرمينية وباب الابواب ودانت له العبرانيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا ابن دارا وهزمه الى أن قتله فاستولى على ممالك الفرس ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات بها قال الامام فخر الدين الرازى لما ثبت بالقرآن أن ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية أو ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ أن من هذا شأنه ما كان الا الاسكندر وجب القطع بأن ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بأن مذهب ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله أخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب فى تسميته بذى القرنين أنه بلغ قرنى الشمس أى مطلعها ومغربها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه طاف قرنى الدنيا يعنى جانبيها شرقها وغربها

ومأجوج

الاستغفار قال فما بالكم لا تحردون قالوا من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا وأحببناه وحرصنا عليه فعرينا منه قال فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس قالوا الا نتوكل على غير الله ولا نعمل بالانواء والنجوم قال حدثونى أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون قالوا نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم ويواسون فقراءهم ويعفون عن ظلمهم ويحسنون الى من أساء اليهم ويحلمون عمن جهل عليهم ويستغفرون لمن سبهم ويصلون أرحامهم ويؤدون أماناتهم ويحفظون وقتهم لصلاتهم ويوفون بعهودهم ويصدقون فى مواعيدهم ولا يرغبون عن أكفائهم ولا يستنكفون عن أقاربهم فأصلح الله لهم بذلك أمرهم وحفظهم ما كانوا أحياء وكان حقا على الله أن يحفظهم فى تركتهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى رافع عن أبى هريرة عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى عليهم ارجعوا فتحفرونه غدا فيعيده الله وهو كهيئته يوم تركوه حتى اذا جاء الوقت قال ان شاء الله فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصن الناس فى حصونهم فيرمون بسهامهم الى السماء فيرجع فيها كهيئة الدماء فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا فى أقفائهم فتقتلهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة الانصارى ثم الظفرى عن محمود بن لبيد أخى بنى عبد الأشهل عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يفتح يأجوج ومأجوج فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل وهم من كل حدب ينسلون فيغشون الارض وينحاز المسلمون عنهم الى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم فيشربون مياه الارض حتى ان بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى ان من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول لقد كان ههنا ماء مرة حتى لم يبق من الناس أحد الا انحاز الى حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الارض قد فرغنا منهم بقى أهل السماء قال ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمى بها الى السماء فترجع اليه مخضبة دما للبلاء والفتنة فبيناهم على ذلك بعث الله عليهم دودا فى أعناقهم كالنغف فتخرج فى أعناقهم فيصبحون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشرى لنا نفسه فينظر ما فعل العدو قال فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبا نفسه قد وطنها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادى يا معشر المسلمين ألا أبشروا فان الله قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لها رعى الا لحومهم فتشكر عنهم أحسن ما شكرت عن شئ من النبات أصابت قط **حدثنى** بحر بن نصر قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى معاوية عن أبى الزاهرية وشريح بن عبيد أن يأجوج

وقيل كان له قرنان صغيرتان وقيل انقرض فى وقته قرنان من الناس وقيل كان لتاجه قرنان وعن وهب أنه سمى بذلك لانه ملك الروم وفارس ويروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كأنه ينطح أقرانه وقيل رأى فى المنام كأنه صعد الفلك وتعلق بطرفى الشمس أى بقرنيها وزعم الفرس أن دارا الأكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما تترب منها وجدرائحة منكرة فردها الى أبيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت (١٩) الاسكندر وبقى عند فيلقوس وأظهر أنه ابنه

ومأجوج ثلاثة أصناف صنف طولهم كطول الأرز وصنف طوله وعرضه سواء وصنف يفترش أحدهم أذنه ويلتحف الاخرى فتغطى سائر جسده **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض قال كان أبو سعيد الخدرى يقول ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه ألف رجل قال وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد حتى يولد له ألف رجل من صلبه فالخبر الذى ذكرناه عن وهب بن منبه فى قصة يأجوج ومأجوج يدل على أن الذين قالوا لذى القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض انما أعلموه خوفهم ما يحدث منهم من الافساد فى الارض لانهم شكوا منهم افسادا كان منهم فيهم أو فى غيرهم والاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الافساد فى الارض ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل احداث ذى القرنين السد الذى أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس فى الناس غيرهم افساد فاذا كان ذلك كذلك بالذى بينا فالصحيح من تأويل قوله ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض ان يأجوج ومأجوج سيفسدون فى الارض وقوله فهل نجعل لك خرجا اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فهل نجعل لك خرجا كأنهم نحوا به نحو المصدر من خرج الرأس وذلك جعله وقرأته عامة قراء الكوفيين فهل نجعل لك خراجا بالالف وكأنهم نحوا به نحو الاسم وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدا بيننا وبين هؤلاء القوم * وأولى القراءتين فى ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه فهل نجعل لك خراجا بالالف لان القوم فيما ذكر عنهم انما عرضوا على ذى القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السد وقد بين ذلك بقوله فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ولم يعرضوا عليه جزية رؤسهم والخراج عند العرب هو الغلة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فهل نجعل لك خراجا قال أجرا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فهل نجعل لك خراجا قال أجرا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قوله فهل نجعل لك خراجا قال أجرا وقوله على أن تجعل بيننا وبينهم سدا يقول قالوا له هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم ويمنعهم الخروج الينا وهو السد * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما﴾ يقول تعالى ذكره قال ذو القرنين الذى مكننى فى عمل ما سألتمونى من السد بينكم وبين هؤلاء القوم ربى ووطأ لى وقوانى عليه خير من جعلكم والاجرة التى تعرضونها على لبنائه ذلك وأكثر وأطيب ولكن أعينونى منكم بقوة أعينونى بفعلة وصناع

وهو فى الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال أبو الريحان انه من مسلولة حمير والدليل عليه أن الاذواء كانوا من اليمن كذى يزن وغيره ويروى أنه ملك الدنيا بأسرها أربعة ذوالقرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبختنصر وهما كافران واختلفوا فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الارض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه وعن على رضى الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وأحب الله وأحبه وسأله ابن الكواء وكان من أصحابه ماذا القرنين أملك أم نبى فقال ليس بملك ولا نبى ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن فى طاعة الله أى فى جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمى ذا القرنين وفيكم مثله يعنى نفسه قالوا وكان ذوالقرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله تعالى انا مكناله فى الارض والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله وآتيناه من كل شئ سببا وظاهره العموم فيكون قد نال أسباب النبوة ولقوله قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب وتكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبى وقيل كان ملكا من الملائكة عن عمر أنه سمع رجلا يقول ياذا القرنين فقال اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بأسماء الانبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة قوله (سأتلو عليكم) أى سأفعل هذا ان وفقنى الله تعالى وأنزل فيه وحيا والخطاب فى عليكم للسائلين وهم اليهود أو قريش كأبى جهل وأضرابه (وآتيناه من كل شئ سببا) طريقا موصلا اليه والسبب فى اللغة هو الحبل والمراد ههنا كل ما يتوصل به الى المقصود من علم أو قدرة أو آلة وذلك أن أراد بلوغ المغرب فأتبع سببا وصله اليه وكذلك أراد المشرق فاتبع سببا موصلا اليه وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا أدى اليه ثم انه سبحانه شرع فى

نعت مسيره الى المغرب قائلا (فأتبع سببا) أى سلك طريقا أفضى به الى سفر المغرب ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حامية) أى حارة ومن قرأ بحذف الالف مهموزا فمعناه ذات حمأة أى طين أسود ولا تنافى بين القراءتين فمن الجائز أن تكون العين جامعة للوصفين عن أبى ذر قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فرأى الشمس حين غابت فقال أتدرى يا أبا ذر أين تغرب هذه قلت الله ورسوله (٣٠) أعلم قال فانها تغرب فى عين حامية قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية أن الارض كروية فى وسط العالم وأن السماء محيطة بها من جميع الجوانب وأن الشمس فى فلكها تدور يدوران الفلك وأيضا قد وضع أن جرم الشمس أكبر من جرم الارض مائة وست وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها فى عين من عيون الارض فتأويل الآية أن الشمس تشاهد هنالك أعنى فى طرف العمارة كأنها تغيب وراء البحر الغربى فى الماء كما أن راكب البحر يرى الشمس تغيب فى الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يخبر أنها تغرب فى عين ولاشك أن البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية وأيضا حمئة لكثرة ما فى البحار من الطين الاسود أما قوله (ووجد عندها قوما) فالضمير اما للشمس واما للعين وذلك أن الانسان لما تخيل أن الشمس تغرب هنالك كان تكلف ذلك الموضع كأنهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هنالك مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها مع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة بالله فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم أحياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال (أما من ظلم) بالاصرار على الشرك (فسوف نعذبه) بالقتل فى الدنيا (ثم يرد الى ربه) فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) منكرا فظيعا روى صاحب الكشاف عن قتادة أنه كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن أعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر بعد أن يرد الى ربه لا يمكن أن يكون من فعل ذى القرنين ومن قرأ (جزاء) بالنصب أراد فله الفعلة (الحسنى) جزاء ومن قرأ بالرفع أراد فله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة أو فله أن يجازى المثوبة الحسنى (وسنقول له من أمرنا) أى مما نأمر به الناس من الزكاة والخراج وغير ذلك (يسرا) أى قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سفره الى أقصى الشرق قائلا (ثم أتبع سببا) أى

يحسنون البناء والعمل كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج بن ابن جريج عن مجاهد ما مكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة قال برجال أجعل بينكم وبينهم ردما وقال ما مكنى فأدغم احدى النونين فى الأخرى وانما هو ما مكننى فيه وقوله أجعل بينكم وبينهم ردما يقول أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما والردم حاجز الحائط والسد الا أنه أمنع منه وأشد يقال منه قد ردم فلان موضع كذا يردمه ردما ورداما ويقال أيضا ردم ثوبه يردمه وهو ثوب مردم اذا كان كثير الرقاع ومنه قول عنترة

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعل بينكم وبينهم ردما قال هو كأشد الجباب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا قال يا نبى الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعتها لى قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ يقول عز ذكره قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا آتونى أى جيئونى بزبر الحديد وهى جمع زبرة والزبرة القطعة من الحديد كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله زبر الحديد يقول قطع الحديد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنا على ابن مسهر عن اسمعيل عن أبى صالح قوله زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة آتونى زبر الحديد أى فلق الحديد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس آتونى زبر الحديد قال قطع الحديد وقوله حتى اذا ساوى بين الصدفين يقول عز ذكره فأتوه زبر الحديد فجعلها بين الصدفين حتى اذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زبر الحديد ويقال سقى والصدفان ما بين ناحيتى الجبلين ورؤسهما ومنه قول الراجز

قد أخذت ما بين عرض الصدفين * ناحيتها وأعالى الركنين

* وبنحو

هيا أسبابا تتوصل بسفر المشرق (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أى مكان طلوعها (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) عن كعب ان الستر هو الابنية وذلك أن أرضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا أبنية تمنع شعاع الشمس وتدفع حره عنهم فاذا طلعت الشمس دخلوا فى أسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من أحوال سائر الخلق وعن مجاهد أن الستر الثياب وأنهم عراة كالزنج وحال كل من سكن فى البلاد القريبة من خط الاستواء كذلك حكى صاحب الكشاف عن بعضهم أنه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشى علىّ ثم أفقت فلما طلعت الشمس اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وللمفسرين فى متعلق قوله (كذلك) وجوه أحدها كذلك أمر ذى القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به الثانى لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الابنية أو الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذى بلغ من مغربها الرابع تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم فقضى فى هؤلاء كما قضى فى أولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد سبق بعض هذه الوجوه فى الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالى بعد تهيئة أسبابه قائلا (ثم أتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين) قيل السدان كان خلق الله فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله بين الصدفين يقول بين الجبلين **حدثنى** محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس حتى اذا بلغ بين السدين قال هو سد كان بين الصدفين والصدفان الجبلان **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الصدفين رؤس الجبلين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بين الصدفين يعنى الجبلين وهما من قبل أرمينية وأذربيجان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا ساوى بين الصدفين وهما الجبلان **حدثنى** أحمد بن يوسف قال أخبرنا القاسم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم أنه قرأها بين الصدفين منصوبة الصاد والدال وقال بين الجبلين وللعرب فى الصدفين لغات ثلاث وقد قرأ بكل واحدة منها جماعة من القراء الفتح فى الصاد والدال وذلك قراءة عامة قراء أهل المدينة والكوفة والضم فيهما وهى قراءة أهل البصرة والضم فى الصاد وتسكين الدال وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة والفتح فى الصاد والدال أشهر هذه اللغات والقراءة بها أعجب الىّ وان كنت مستجيزا القراءة بجميعها لاتفاق معانيها وانما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة وقوله قال انفخوا يقول عز ذكره قال للفعلة انفخوا النار على هذه الزبر من الحديد وقوله حتى اذا جعله نارا وفى الكلام متروك وهو فنفخوا حتى اذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا قال آتونى أفرغ عليه قطرا فاختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة قال آتونى بمد الالف من آتونى بمعنى أعطونى قطرا أفرغ عليه وقرأه بعض قراء الكوفة قال ائتونى بوصل الالف بمعنى جيئونى قطرا أفرغ عليه كما يقال أخذت الخطام وأخذت بالخطام وجئتك زيدا وجئتك بزيد وقد توجه معنى ذلك اذا قرئ كذلك الى معنى أعطونى فيكون كأن قارئه أراد مد الألف من آتونى فترك الهمزة الاولى من آتونى واذا سقطت الاولى همز الثانية وقوله أفرغ عليه قطرا يقول أصب عليه قطرا والقطر النحاس

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أفرغ عليه قطرا قال القطر النحاس **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثت** عن الحسين قال سمعت

بالفتح حتى يكون حدثا قاله أبو عبيدة وابن الانبارى وانتصب بين على أنه مفعول به كما ارتفع بالشاعلية فى قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازى الاظهر أن موضع السدين فى ناحية الشمال فقيل جبلان بين أرمينية وأذربيجان وقيل فى منقطع أرض الترك وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه أن صاحب أذربيجان أيام فتحها وجد انسانا من ناحية الخزر فشاهد وصف أنه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق رأى فى المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا من باب الابواب حتى وصلوا اليه

وشاهدوه ووصفوا أنه بناء من لبن من حديد مشدّدة بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول الرجوع أخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند قال أبو الريحان البيرني ومقتضى هذا الخبر أن هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمورة والله أعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين اللذين سدما بينهما (وجد من دونهما) أي من ورائهما متجاوزا عنهما قريبا (قوما لا يكادون يفقهون) بأنفسهم أو ينفقهون غيرهم قولهم (٣٢) لانهم لا يعرفون غير لغة أنفسهم * سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض الخ وأجيب بأن كادنفيه اثبات أو لعله فهم ما في ضميرهم بالقرائن والاشارات أو بوحي والهام وهما اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من أج الظليم في مشيه اذا هرول وتأجج النار اذا تلهبت ومن أجيج الريق أو موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة وأثبت لهم مخالب وأضراسا كأضراس السباع أما افسادهم في الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل يأكلون لحومهم وقيل يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيأ أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه (فهل نجعل لك خرجا) وخراجا أي جعلا نخرجه من أموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل أحد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض (قال) ذو القرنين (ما مكنني فيه ربي) أي جعلني فيه مكينا ذا مكانة من المال واليسار (خير) مما تبذلون لي من الخراج نظيره قول سليمان فما آتاني الله خير مما آتاكم (فأعينوني بقوة) بآلات ورجال وصناع وقيل بمال أصرفه في هذا المهم ولا آخذه لنفسي والردم أكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ آتوني بالمد فظاهر ومن قرأ ائتوني من الاتيان فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار أي فأتوه بها فوضع بعضها فوق بعض (حتى اذا ساوى بين الصدفين) وهما على القراءتين الجبلين لانهما يتصادفان أي يتقابلان (أفرغ عليه قطرا) أصب عليه النحاس

أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أفرغ عليه قطرا يعني النحاس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفرغ عليه قطرا أي النحاس ليلزمه به **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أفرغ عليه قطرا قال نحاسا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول القطر الحديد المذاب ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

حساما كلون الملح صاف حديده * جرازا من أقطار الحديد المنعت

وقوله فما اسطاعوا أن يظهروه يقول عز ذكره فما استطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا الردم الذي جعله ذو القرنين حاجزا بينهم وبين من دونهم من الناس فيصيروا فوقه وينزلوا منه الى الناس يقال منه ظهر فلان فوق البيت اذا علاه ومنه قول الناس ظهر فلان على فلان اذا قهره وعلاه وما استطاعوا له نقبا يقول ولم يستطيعوا أن ينقبوه من أسفله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما اسطاعوا أن يظهروه من فوقه وما استطاعوا له نقبا أي من أسفله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فما اسطاعوا أن يظهروه قال ما استطاعوا أن ينزعوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فما اسطاعوا أن يظهروه قال أن يرتقوه وما استطاعوا له نقبا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فما اسطاعوا أن يظهروه قال يعلوه وما استطاعوا له نقبا أي ينقبوه من أسفله واختلف أهل العربية في وجه حذف التاء من قوله فما اسطاعوا فقال بعض نحويي البصرة فعل ذلك لان لغة العرب أن تقول استطاع يستطيع يريدون بها استطاع يستطيع ولكن حذفوا التاء اذا جمعت مع الطاء ومخرجهما واحد قال وقال بعضهم استاع فحذف الطاء لذلك وقال بعضهم أسطاع يسطيع فجعلها من القطع كأنها أطاع يطيع فجعل السين عوضا (١) من اسكان الواو وقال بعض نحويي الكوفة هذا حرف استعمل فكثر حتى حذف * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا﴾ يقول عز ذكره فلما رأى ذو القرنين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بني من الردم ولا يقدرون على نقبه قال هذا الذي بنيته وسويته حاجزا بين هذه الامة ومن دون الردم رحمة من ربي رحم بها من دون الردم من الناس فأعانني برحمته لهم حتى بنيته وسويته ليكف بذلك غائلة هذه الأمة عنهم وقوله فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء يقول فاذا جاء وعد ربي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الامة وخروجها من وراء هذا الردم لهم جعله دكاء يقول سواه بالارض فألزقه بها من قولهم ناقة دكاء مستوية الظهر لا سنام لها وانما معنى الكلام جعله مدكوكا فقيل دكاء وكان

---

(١) أي عوضا من ذهاب حركة الواو وكما في اللسان كتبه مصححه

قتادة

المذاب وقطرا منصوب بأفرغ والتقدير آتونى قطرا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وهذا مما يستدل به البصريون فى أن المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثانى اذ لو عمل الأول لقال أفرغه عليه يحكى أنه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى أعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة ترسخ وعن

قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء قال لا أدرى الجبلين يعنى به أو ما بينهما وذكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى بن مريم عليه السلام الدجال ذكر الخبر بذلك حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا هشيم بن بشير قال أنبأنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مؤثر وهو ابن عفازة العبدى عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيت ليلة الاسراء ابراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا أمر الساعة وردوا الأمر الى ابراهيم فقال ابراهيم لا علم لى بها فردوا الأمر الى موسى فقال موسى لا علم لى بها فردوا الأمر الى عيسى قال عيسى أما قيام الساعة لا يعلمه الا الله ولكن ربى قد عهد الى عما هو كائن دون وقتها عهد الى أن الدجال خارج وأنه مهبطى اليه فذكر أن معه قضيبين فاذا رآنى أهلكه الله قال فيذوب كما يذوب الرصاص حتى ان الحجر والشجر ليقول يا مسلم هذا كافر فاقتله فيهلكهم الله ويرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون لا يأتون على شئ الا أكلوه ولا يمرون على ماء الا شربوه فيرجع الناس الى فيشكونهم فأدعو الله عليهم فيميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم فينزل المطر فيجرف أجسادهم فيلقيهم فى البحر ثم ينسف الجبال حتى تكون الارض كالأديم فعهد الى ربى أن ذلك اذا كان كذلك فان الساعة منهم كالحامل المتم التى لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادها ليلا أو نهارا حدثنى عبيد بن اسمعيل قال ثنا المحاربى عن أصبغ بن زيد عن العوام بن حوشب عن جبلة بن سحيم عن مؤثر بن عفازة عن عبد الله بن مسعود قال لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا أمر الساعة فذكر نحو حديث أحمد بن ابراهيم الدورقى عن هشيم وزاد فيه قال العوام بن حوشب فوجدت تصديق ذلك فى كتاب الله تعالى قال الله عز وجل حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا وقال فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا يقول وكان وعد ربى الذى وعد خلقه فى ذلك هذا الردم وخروج هؤلاء القوم على الناس وعيثهم فيهم وغير ذلك من وعده حقا لأنه لا يخلف الميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا﴾ يقول تعالى ذكره وتركنا عبادنا يوم يأتيهم وعدنا الذى وعدناهم بأنا نبدل الجبال ونسفها عن الارض نسفا فنذرها قاعا صفصفا بعضهم يموج فى بعض يقول يختلط جنهم بانسهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن هرون بن عنترة عن شيخ من بنى فزارة فى قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض قال اذا ماج الجن والانس قال ابليس فأنا أعلم لكم علم هذا الامر فيطلعن الى المشرق فيجد الملائكة

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد والله رأيته قال العلماء هذا معجز من ذى القرنين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الآدمى على القرب منه وكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك الناقبين رقا استطاعوا أن يظهروه) أى يعلوه لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) لصلابته وثخانته لما تكرر لفظ الاستطاعة مرارا حذف منها التاء تخفيفا فى الموضعين وأعاد ذكرها بالآخرة تنبيها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم (قال) ذو القرنين (هذا) السد أو هذا الاقرار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده (فاذا جاء) أى دنا مجىء القيامة (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرأ دكاء بالمد فعلى الوصف أى جعله أرضا مستوية (وكان وعد ربى حقا وهذا آخر حكاية ذى القرنين ثم شرع سبحانه فى بقية أخبارهم فقال (وتركنا بعضهم يومئذ يموج) ون أى حين يخرجون مما وراء الد مزدحمين فى البلاد روى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله تغفاوه ودود يكونون فى أنوف الابل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون وقيل أراد أن قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم فى بعض خلقه وقيل الضمير للخلق والمعنى يوم القيامة أى وجعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم وجنهم حيارى ونفخ الصور من آيات القيامة وسيجىء وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها فى الدنيا وفى ذلك نوع من العتاب للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع (عن ذكرى) أى عن آياتى التى ينظر اليها فأذكر بالتعظيم

فاطلق المسبب على السبب أو عن القرآن وتأمل معانيه ووصفهم بالعمى عن الدلائل والآثار فأراد أن يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال (وكانوا لا يستطيعون سمعا) وهو أبلغ من أن لو قال وكانوا صما لان الأصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء زالت عنهم الاستطاعة بالكلية احتجت الاشاعرة بالآية على أن الاستطاعة مع الفعل لانهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا وأجيب بأن المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم أتبع ذلك في التوبيخ والوعيد قائلا (أفحسب الذين كفروا) والمراد أفظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر آيات الله وتمردهم عن قبول أمره وأمر رسوله وفيه اضمار تقديره أفحسبوا اتخاذ عبادي أولياء نافعا والعباد اما عيسى والملائكة واما الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام أقوال ومن قرأ بسكون السين فمعناه أفكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على أنه مثل أقائم الزيدان يريد أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والمنزل وقيل انه الذي يعد للضيف فيكون تهكما به نحو فبشرهم بعذاب أما الذين ضل سعيهم أي ضاع وبطل فعن علي رضي الله عنه أنهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه صلى الله عليه وسلم أن منهم أهل حروراء وعن مجاهد أهل الكتاب والتحقيق أنه يندرج فيه كل ما يأتي بعمل غير لائق على ايمان واخلاص وعن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيأ وذلك قوله (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار ما فعله من الطاعة كأن لم يكن فلا يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت أعمالهم اشارة الى ذلك أو المراد فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين (ذلك) قال الذي ذكرناه من أنواع الوعيد (جزاؤهم) وقوله (جهنم) عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ آيات الله واتخاذ كل رسله هزؤا وتكذيبا ويجوز أن يكون كل من الامرين سببا مستقلا للتعذيب ثم أردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس أوسط الجنة وأفضلها وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس

قد قطعوا الارض ثم يطلعن الى المغرب فيجدن الملائكة قد قطعوا الأرض ثم يصعدن يمينا وشمالا الى أقصى الارض فيجدن الملائكة قطعوا الأرض فيقول ما من محيص فبينما هو كذلك اذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فبينما هم عليه اذ هجموا على النار فأخرج الله خازنا من خزان النار قال يا ابليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ألم تكن في الجنان فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض علي فريضة لعبدته فهل عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ما هي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيتلكأ عليه فيقول به وبذريته بجناحيه فيقذفهم في النار فتزفر النار زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى لركبتيه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض قال هذا أول يوم القيامة ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا ونفخ في الصور قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصور وما هو وما عني به واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهده المغنية عن اعادته في هذا الموضع غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال ثنا أسلم عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أعرابيا سأله عن الصور قال قرن ينفخ فيه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن سليمان التيمي عن العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه **حدثنا** محمد بن الحرث القنطري قال ثنا يحيى بن أبي بكير قال كنت في جنازة عمر بن ذر فلقيت مالك بن مغول فحدثنا عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم وحنى الجبهة وأصغى بالاذن متى يؤمر فيشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قولوا حسبنا الله وعلى الله توكلنا ولو اجتمع أهل مني ما أقالوا ذلك القرن كذا قال وانما هو ما أقلوا **حدثني** أبو السائب قال ثنا حفص عن الحجاج عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى ظهره وجحظ بعينيه قالوا ما نقول يا رسول الله قال قولوا حسبنا الله توكلنا على الله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن مطرف عن عطية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر فينفخ فيه فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف نقول قال تقولون حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله **حدثنا** أبو كريب والحسن بن عرفة قالا ثنا أسباط عن مطرف عن عطية عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **حدثني** يعقوب قال ثنا شعيب بن حرب قال ثنا خالد أبو العلاء

هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الأنهار الأربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال أهل السنة جعل جنات الفردوس نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك وليس الا الرؤية ونظيره أنه جعل جهنم بأسرها نزلا فما وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه أنه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم أنفسهم الى تلك الزيادة ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود أي لا تحول فيطلب كقوله

* ولا ترى الضب بها ينجحر *

ولما ذكر أنواع الدلائل والبينات وشرح أقاصيص سئل عنها نبيه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يعد به الشيء كالحبر والزيت للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمه وفرض أن جنس البحر مداد لهما لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد أيضا وهو تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد روى أن حيي بن أخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت هذه الآية يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الاشاعرة ان كلام الله تعالى واحد واعترض عليهم بهذه الآية فانها صريحة في اثبات كلمات كثيرة لله تعالى وأجيب بأن المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي أن قوله قبل أن تنفد كلمات ربي يدل على أن كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه وأجيب بأن المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الأزلية قلت الانصاف أن نفاد شيء قبل نفاد شيء آخر لا يدل على نفاد الشيء الآخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله بحيث لا يضبطها عقول البشر أما أنها متناهية أو غير متناهية فلا دليل في الآية على أحد النقيضين ولكن الحق في نفس الامر أن كلمات الله لا تتناهى لانها تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية بالبرهان ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يسلك سبيل التواضع وهو أن حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا أنه امتاز بنعت الايحاء اليه وكفى به نورا ومباينة ثم بين أن الموحى هو (انما الهكم اله واحد) وفي تخصيص هذا الوحي بالذكر

قال ثنا عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى الجبهة وأصغى بالاذن متى يؤمر أن ينفخ ولو أن أهل مني اجتمعوا على القرن على أن يقلوه من الارض ما قدروا عليه قال فأبلس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليهم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا **حدثني** أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن رافع المدني عن يزيد بن فلان عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص بصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين وقوله فجمعناهم جمعا يقول فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جمعا وقوله وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا يقول وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور فأظهرناها للكافرين بالله حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ولو جعل الفعل لها قيل أعرضت اذا استبانت كما قال عمرو بن كلثوم

وأعرضت اليمامة واشمخرت * كأسياف بأيدي مصلتينا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله قال يقوم الخلق لله اذا نفخ في الصور قيام رجل واحد ثم يتمثل الله عز وجل للخلق فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيأ الا وهو مرفوع له يتبعه قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون قال فيقولون نعبد عزيرا قال فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم قرأ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون فيقولون نعبد المسيح فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم قال فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيأ ثم قرأ عبد الله وقفوهم انهم مسؤلون في القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا﴾ يقول تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله فيتفكرون فيها ولا يتأملون حججه فيعتبرون بها فيتذكرون وينيبون الى توحيد الله وينقادون لأمره ونهيه وكانوا لا يستطيعون سمعا يقول وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكرهم به وبيانه الذي بينه لهم في آي كتابه يخذلان الله اياهم وغلبة الشقاء عليهم وشغلهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان فيتعظون به ويتدبرونه فيعرفون الهدى من الضلالة والكفر من الايمان وكان مجاهد يقول في ذلك ما **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث

فائدتها أن يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة أن يدعو الى التوحيد ثم أن يدعو الى العمل الصالح المقترن بالاخلاص وذلك قوله (فمن كان يرجو) أي يأمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب أو العقاب عند المعتزلة (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك) بعبادة ربه أحدا قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة هو أن لا يرائي بعمله ولا يبتغي به الا وجه ربه ويروى أن جندب بن زهير قال لرسول الله (٢٦) صلى الله عليه وسلم اني أعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه ويروى أنه قال له لك أجران أجر السر وأجر العلانية قال العلماء الرواية الأولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد أن يقتدى به قال في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما أنا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ ﴿ التأويل لما بين أن للانسان كمالا ممكنا وكنزا مدفونا تمكن له تحصيله بالتربية والارشاد أراد أن يبين أن الانسان الكامل انما هو مستحق الخلافة في الارض وهو ذو القرنين الذي ملك الجانبين أعني جانب عالم الارواح وجانب عالم الاشباح لأنه أوتي التمكين في الارض وأوتي أسباب كل شئ في عالم الوسائط والأسباب فسلك بتصير كاملا في نفسه مكملا لغيره فأتبع سببا من أسباب الوصول الى عالم السفلي وهو مغرب شمس الروح الانساني فوجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبائع والأجساد ووجد عندها قوما هم عبد القوى البدنية والنفوس الارضية فلنا اما أن نعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما أن نتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال أما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها في غير موضعها فسوف نعذبه بقهره على خلاف ما هو مراده وهواه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن مشتهياته أو يرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة وأما من آمن وعمل

قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا يستطيعون سمعا قال لا يعقلون **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وكانوا لا يستطيعون سمعا قال لا يعلمون **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري الآية قال هؤلاء أهل الكفر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا﴾ يقول عز ذكره أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء يقول كلا بل هم لهم أعداء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء قال يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة وهم عباد الله ولم يكونوا للكفار أولياء وبهذه القراءة أعني بكسر السين من أفحسب بمعنى الظن قرأت هذا الحرف قراء الامصار وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعكرمة ومجاهد أنهم قرؤا ذلك أفحسب الذين كفروا بتسكين السين ورفع الحرف بعدها بمعنى أفحسبهم ذلك أي أفكفاهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء من عبادتي وموالاتي كما **حدثت** عن اسحق بن يوسف الازرق عن عمران بن حدير عن عكرمة أفحسب الذين كفروا قال أفحسبهم ذلك والقراءة التي نقرؤها هي القراءة التي عليها قراء الامصار أفحسب الذين بكسر السين بمعنى أفظن لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا يقول أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عندك ويجادلونك بالباطل ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين اليهود والنصارى هل ننبئكم أيها القوم بالأخسرين أعمالا يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلا فنالوا به عطبا وهلاكا ولم يدركوا ما طلبوا كالمشتري سلعة يرجو بها فضلا وربحا فخاب رجاؤه وخسر بيعه ووكس في الذي رجا فضله * واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بذلك فقال بعضهم عني به الرهبان والقسوس ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا المقبري قال ثنا حيوة بن شريح قال أخبرني السكن بن أبي كريمة **أن أمه** أخبرته أنها سمعت أبا حميضة عبد الله بن قيس يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول في هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت حيوة يقول ثني السكن بن أبي كريمة عن أمه أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول سمعت علي بن أبي طالب يقول فذكر نحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا

صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من أمرنا يسرا هوالة خفيف والاستراحة بعد الفناء والمجاهدة ثم أتبع أسباب الوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق الجسمانية والعوائق الساترة الجسدانية حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعيش والتمدن والجولان فى جو أسباب قوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى صلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام (٣٧) الذين قصارى أمرهم الجهل البسيط ان

عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد قال قلت لأبي وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أهم الحرورية قال هم أصحاب الصوامع حدثنا فضالة ابن الفضل قال قال يزيد سأل رجل الضحاك عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم القسيسون والرهبان حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن هلال بن يساف عن مصعب بن سعد قال قال سعد هم أصحاب الصوامع حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مصعب بن سعد قال قلت لسعد يا أبت هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا أهم الحرورية فقال لا ولكنهم أصحاب الصوامع ولكن الحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم * وقال آخرون بل هم جميع أهل الكتابين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد قال سألت أبى عن هذه الآية قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا أهم الحرورية قال لا هم أهل الكتاب اليهود والنصارى أما اليهود فكذبوا بمحمد وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب ولكن الحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض أولئك هم الخاسرون فكان سعد يسميهم الفاسقين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن ابراهيم بن أبى حرة عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه فى قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم اليهود والنصارى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى حرب بن أبى الاسود عن زاذان عن على بن أبى طالب أنه سئل عن قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال هم كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم على حق فأشركوا برجم وابتدعوا فى دينهم الذين يجتهدون فى الباطل ويحسبون أنهم على حق ويجتهدون فى الضلالة ويحسبون أنهم على هدى فضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ثم رفع صوته فقال وما أهل النهر منهم ببعيد * وقال آخرون بل هم الخوارج ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن سلمة بن كهيل عن أبى الطفيل قال سأل عبد الله ابن الكواء عليا عن قوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا قال أنتم يا أهل حروراء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يحيى بن أيوب عن أبى صخر عن أبى معاوية البجلى عن أبى الصهباء البكرى عن على بن أبى طالب أن ابن الكواء سأله عن قول الله عز وجل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا فقال على أنت وأصحابك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن سلمة بن كهيل عن أبى الطفيل قال قام ابن الكواء الى على فقال من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا قال

يأجوج ومأجوج القوى والطبائع مفسدون فى الارض البشرية باستعمال خواصها فى غير ما خلقت هى لأجلها فهل لعل لك تخرج هو ترك الوجود وبذل الموجود فأعينونى بقوة بهمة صارفة وعزمة صادقة آتونى زبر الحديد بملكات راسخة وهيآت ثابتة أوقلوا بها كالحديد فى المضاء وكالجبال الراسيات فى البقاء حتى اذا ساوى عرض ما بين طرفى السد كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بتأثير حرارة الطاعة والذكر فى حديد العلم قال آتونى أفرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكمياء الاخلاص النافذ فى سويداء القلوب بحيث لا ينفك فيه كيد الشيطان ولا يعارض ما سول الرحمن الله حسبى

﴿سورة مريم مكية وهى ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبعة أحرف كلامها تسعمائة واثنان وستون آياتها ثمان وتسعون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا

القراآت كهيعص بامالة الهاء فقط أبو عمرو كهيعص بامالة الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرأ على غير قتيبة ويحيى وحماد بامالتهما وقرأ أبو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي وابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب الباقون بتفخيمهما صاد ذكر مدغما أبو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من ورائي بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعة والخزاعي عن البزي وقرأ زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراي مثل عصاي يرثني ويرث (٣٨) بالجزم فيهما أبو عمرو وعلي الباقون برفعهما ابن شرشل ثلاثيا وكذلك في آخر السورة

حمزة عتيا وجثيا وصليا وبكيا بكسر الأوائل حمزة وعلي وافق حفص الا في بكيا الخزاز عن هبيرة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلقناك حمزة وعلي الآخرون خلقتك على التوحيد لي آية بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن ذكوان عن أهل مكة ج الوقوف كهيعص ٥ كوفي زكريا ٥ ج لجواز تعلق اذ بذكر رحمة ربك ولاحتمال انتصابه باذكر محذوفا خفيا ٥ شقيا ٥ وليا لا آل يعقوب ق والوجه الوصل لانطف الجملتين المتفقتين يعني لا لأن ما بعده صفة غلام والاستئناف ليس بقوي سميا ٥ عتيا ٥ كذلك ٥ بناء على أن التقدير الأمر كذلك شيأ ٥ آية ط سويا ٥ وعشيا ٥ بقوة ط صبيا ٥ لا للعطف أي آتيناه الحكم وحنانا منا عليه وزكاة ط تقيا ٥ عصيا ٥ حيا ٥

التفسير حروف المعجم في الموقف ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفي الراي اعتدال الامران لانه قد يلحق بآخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب أن التفخيم أصل والامالة فرع عليه فمن قرأ بامالة الهاء والياء فعلى العادة ومن قرأ بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرأ بامالة أحدهما فلرعاية الجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن أنه قرأ بضمهما فقيل لانه تصور أن عين الكلمة فيهما واو فنبه بالضم على أصلها والبحث عن هذه الفوائد قد سلف في أول البقرة ومما يختص بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس أن قوله (كهيعص) ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف الاسم وعباده والهاء هاد والعين عالم أو عزيز والصاد صادق وعنه أيضا أنه حمل الكاف على الكريم أو الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم أخرى وعن الربيع بن أنس أن الياء من مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا أن يسند الى الوحي أو الالهام وارتفع (ذكر

ويلك أهل حروراء منهم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن خالد (١) ابن عثمة قال ثنا موسى ابن يعقوب بن عبد الله قال ثني أبو الحويرث عن نافع بن جبير بن مطعم قال قال ابن الكواء لعلي بن أبي طالب ما الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا قال أنت وأصحابك * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله عز وجل عنى بقوله هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا كل عامل عملا يحسبه فيه مصيبا وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض وهو بفعله ذلك لله مسخط وعن طريق أهل الايمان به جائر كالرهابنة والشماسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة من أهل أي دين كانوا وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله أعمالا فكان بعض نحويي البصرة يقول نصب ذلك لانه لما أدخل الألف واللام والنون في الأخسرين لم يوصل الى الاضافة وكانت الأعمال من الأخسرين فلذلك نصب وقال غيره هذا باب الأفعل والفعلى مثل الأفضل والفضلى والأخسر والخسرى ولا تدخل فيه الواو ولا يكون معه مفسرا لانه قد انفصل عن هو كقوله الأفضل والفضلى واذا جاء معه مفسر كان للاول والآخر وقال ألا ترى أنك تقول مررت برجل حسن وجها فيكون الحسن للرجل والوجه وكذلك كبير عقلا وما أشبهه قال وانما جاز في الأخسرين لانه رده الى الأفعلة والأفعلة قال وسمعت العرب تقول الأولات دخولا والآخرات خروجا فصار الاول والثاني كسائر الباب قال وعلى هذا يقاس وقوله الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا يقول هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة بل كان على جور وضلالة وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يقول وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون وفيما ندب عباده اليه مجتهدون وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد الا من حيث يقصد الى الكفر بعد العلم بوحدانيته وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالا وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد الا من حيث يعلم لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه كانوا مثابين مأجورين عليها ولكن القول بخلاف ما قالوا فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة وأن أعمالهم حابطة ومعنى بقوله أنهم يحسنون صنعا عملا والصنع والصنعة والصنيع واحد يقال فرس صنيع يعني مصنوع * القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفنا صفتهم الأخسرون أعمالا الذين كفروا بحجج ربهم وأدلته وأنكروا لقاءه فحبطت أعمالهم يقول فبطلت أعمالهم

(١) هي أم محمد وخالد أبوه فيلزم اثبات الالف اه كتبه مصححه

رحمه) على الخبر أى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة (ربك) وانتصب (عبده) على أنه مفعول لذكر و(زكريا) عطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبى أنه قرأ ذكر بلفظ الماضى مشددا تارة ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية وما عامل ضمير المتلو ومخففا أخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقرئ ذكر على الامر وهى قراءة ابن سمير وقيل يحتمل على هذا أن تكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبى رحمة لأمته ويجوز أن يكون رحمة لنبينا صلى الله عليه وسلم ولامته لان طريقه فى الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا وفى خفاء ندائه وجوه منها أن الاخفاء أبعد عن الرياء وأدخل فى الخشية ولهذا فسره الحسن بأنه نداء لا رياء فيه ومنها أنه أخفاه لئلا يلام على طلب الولد فى غير وقته ومنها أنه أسره من موالية الذين خافهم ومنها أنه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء فى صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات ولعله أتى بأقصى ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لغاية كبره ثم شرع فى حكاية ندائه قائلا (قال رب انى وهن العظم منى) الى قوله راجعا رب رضيا قال علماء المعانى فى الآية لطائف وذلك أصل الكلام يارب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لتوخى زيادة التقرير فصار ضعف بدنى وشاب رأسى ثم فى القرينة الاولى عدل من التصريح الى الكناية التى هى أبلغ منه فصار وهنت عظامى فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدأ لتقوى الحكم فصل أنار وهنت عظام بدنى ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد البيان فصار انى وهنت العظام منى لانك اذا قلت انى وهنت العظام أفاد أن عظامك واهنة عندك فاذا قلت من بدنى فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام ثم لطلب شمول العظام فردا فردا فصدت مرتبة ثانية هى ترك جمع العظام الى الافراد لان استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع فصل انى وهن العظم منى فصل انى وهنت العظام منى واذا حصل الوهن فى هذا الجنس الذى هو أصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنسة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقحف للدماغ والقص للقلب ففى الاعضاء الأخر أولى وأما القرينة الأخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التى هى أبلغ فصل اشتعل شيب رأسى وبيان الاستعارة فيه أنه شبه الشيب بشواظ النار

فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها فى الآخرة بل لهم منها عذاب وخزى طويل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا يقول تعالى ذكره فلا نجعل لهم ثقلا وانما عنى بذلك أنهم لا تثقل بهم موازينهم لان الموازين انما تثقل بالأعمال الصالحة وليس لهؤلاء شئ من الاعمال الصالحة فتثقل به موازينهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن شمر عن أبى يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة اقرؤا فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن الصلت قال ثنا ابن أبى الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالأكول الشروب الطويل فيوزن فلا يزن جناح بعوضة ثم قرأ فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا﴾ يقول تعالى ذكره أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله واتخاذهم آيات كتابه وحجج رسله سخريا واستهزاؤهم برسله * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا بالله ورسوله وأقروا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته كانت لهم بساتين الفردوس والفردوس معظم الجنة كما قال أميه

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة * فيها الفراديس والفومان والبصل

واختلف أهل التأويل فى معنى الفردوس فقال بعضهم عنى به أفضل الجنة وأوسطها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عباس بن الوليد قال ثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة قال الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها حدثنا أحمد بن أبى سريج الرازى قال ثنا الهيثم أبو بشر قال أخبرنا الفرج بن فضالة عن لقمان عن عامر قال سئل أبو أسامة عن الفردوس فقال هى سرة الجنة حدثنا أحمد بن أبى سريج قال ثنا حماد بن عمرو النصيبى عن أبى على عن كعب قال ليس فى الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر * وقال آخرون هو البستان بالرومية ذكر من قال ذلك حدثنى على ابن سهل الرملى قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال الفردوس بستان بالرومية حدثنا العباس بن محمد قال ثنا حجاج قال ابن جريج أخبرنى عبد الله عن مجاهد مثله * وقال آخرون هو البستان الذى فيه الأعناب ذكر من قال ذلك حدثنا عباس ابن محمد قال ثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن يزيد بن أبى زياد عن عبد الله بن الحرث عن كعب قال جنات الفردوس التى فيها الاعناب * والصواب من القول فى ذلك ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به أحمد بن أبى سريج قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا همام بن يحيى قال ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت

في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه وأخذه منه كل ما خذ باشتعال النار ثم أخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بأن حذف المشبه به وأداة التشبيه فصار اشتعل شيب رأسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه آخر وهو أن يكون استعمل اشتعل بدل انتشر فتكون الاستعارة تبعية تصريحية وقرينتها ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الى أبلغ منها وهي اشتعل رأسي شيبا وكونها أبلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادته شمول الاشتعال الرأس (٣٠) كما لو قلت اشتعل بيتي نارا مكان اشتعل النار في بيتي ومنها الاجمال والتفصيل الواقعان في طريق التمييز ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى هي اشتعل الرأس مني شيبا لتوخي مزيد التقرير بالابهام ثم البيان على نحو وهن العظم مني ثم ترك لفظ مني لسبق ذكره في القرينة الاولى ففي ذلك احالة تأدية المعنى على العقل دون اللفظ وكرر بين الجوانحين مع أن بناء الكلام على الاختصار حيث قال رب بحذف حرف النداء وياء المتكلم بناسب الاختصار في آخره وانما أطنب في هذا المقام لان هذه الآية كالعلم فيما بين علماء المعاني شبهوا توسل الى الله عز وجل بسالف له سبق من الاستجابة قالا (ولم أكن بدعائك رب شقيا) كما حكي أن حاتما قال لكريم أنا الذي أحسنت اليك وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا وقضى بحاجته تقبل الله سعيك ثلاثين حاجة اذا لظفر بها وشفى بها الاداخلب ولم ينلها ومعنى دعائك أي سؤالك اياك واعلم أن زكريا عليه السلام قدم على السؤال أمورا ثلاثة الاول كونه ضعيفا والثاني أنه تعالى لم يرد دعاءه والثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة في الدين وذلك قوله (وانى خفت الموالي) قال ابن عباس والحسن أي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن أبي صالح الكلالة وعن الأصم بني العم وهم الذين يلونه في النسب وعن أبي مسلم المولى برادبه الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من تقدم في ميراثه وأرفعها كالوالد والمختار أن المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة أو في المال الذي كان له أو في القيام بأمر الدين وكان من عاداتهم أن كل من كان الى صاحب الشرع أقرب كان به تعينا للعصوبة وقوله (من ورائي) أي بعد موتي لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف أي الا الى الذين يخلفون من بعدي أو بمعنى الولاية في الموالي أي خفت ولايتهم وسوء خلافتهم بعدي فان زكريا انضم له مع النبوة الملك

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة والفردوس من فوقها فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس **حدثنا** موسى بن سهل قال ثنا موسى بن داود قال ثنا همام بن يحيى عن زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض أعلاها الفردوس ومنها تفجر أنهار الجنة الاربعة فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني أبو يحيى بن سليمن عن هلال بن أسامة عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانها أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقها عرش الرحمن تبارك وتعالى ومنه تفجر أنهار الجنة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو عامر قال ثنا فليح عن هلال عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا أنه قال وسط الجنة وقال أيضا ومنه تفجر أو تتفجر **حدثني** عمار بن بكار الكلاعي قال ثنا يحيى بن صالح قال ثنا عبد العزيز بن محمد قال ثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوقها عرش الرحمن ومنها تفجر أنهار الجنة فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس **حدثنا** أحمد بن منصور قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا الحرث بن عمير عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربعة اثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما من شئ واثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما من شئ **حدثنا** أحمد بن أبي سريج قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو قدامة عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جنات الفردوس أربع ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيهما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها في كل يوم خميس فيقول ازدادي طيبا لأوليائي ازدادي حسنا لأوليائي **حدثنا** ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراوردي قالا ثنا زيد بن أسلم عن عطاء ابن يسار عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للجنة مائة درجة كل درجة منها كما بين السماء والارض أعلى درجة منها الفردوس **حدثني** أحمد بن يحيى الصوفي قال ثنا أحمد بن الفرج الطائي قال ثنا الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس من ربوة الجنة هي أوسطها وأحسنها **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي قال أنبأنا اسمعيل بن مسلم عن الحسن عن سمرة بن جندب قال أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفردوس هي أعلى الجنة وأحسنها

وأرفعها **حدثني** محمد بن مرزوق قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال الربيع ابنة النضر يا أم حارثة انها جنان وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها وقوله نزلا يقول منازل ومساكن والمنزل من النزول وهو من نزول بعض الناس على بعض وأما النزل فهو الريع يقال ما الطعام كم هذا نزل يراد به الريع وما وجدنا عندكم نزلا أي نزولا وقوله خالدين يقول لابثين فيها أبدا لا يبغون عنها حولا يقول لا يريدون عنها تحولا وهو مصدر تحولت أتحول إلى أصله كما يقال صغر يصغر صغرا وعاج يعوج عوجا * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يبغون عنها حولا قال متحولا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت مخلدا الحسين يقول وسئل عنها قال سمعت بعض أصحاب أنس يقول قال يقول أولهم دخولا انما أدخلني الله أولهم لانه ليس أحد أفضل مني ويقول آخرهم دخولا انما أخرني الله لانه ليس أحد أعطاه الله مثل الذي أعطاني ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾ يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لو كان ماء البحر مدادا لاقلام الذي يكتب به كلمات ربي لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا يقول ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا من قول القائل جئتك مددا لك وذلك من معنى الزيادة وقد ذكر عن بعضهم ولو جئنا بمثله مدادا كأن قارئ ذلك كذلك أراد لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مدادا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله البحر مدادا لكلمات ربي للقلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان البحر مدادا لكلمات ربي يقول اذا لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ يقول تعالى ذكره قل لهؤلاء المشركين يا محمد انما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي الا ما علمني الله وان الله يوحي الي أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ معبود واحد لا ثاني له ولا شريك فمن كان يوجوا لقاء ربه يقول فمن يخاف ربه يوم

(من لدنك) أي وليا صادرا من عندك مضافا الى اختراعك بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة من قرأ (يرثني ويرث) بالجزم فيهما فهو جواب الدعاء ومن قرأ برفعهما فالأكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستئناف كأنه قيل لم تطلب الولد فقال مجيبا يرثني أي لانه يرثني لئلا يلزم منه أنه لم يهب من وصف لها زكريا يحيى قبل ذكريا واعترض بأن حمله على الاستئناف يوجب الاخبار عما لم يقع وكذب النبي صلى الله عليه وسلم أمنع من كونه غير مستجاب الدعوة وأجيب بأن عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب وأقول الاعتراض باق لان المعنى يؤل الى قولنا هب لي وليا موصوفا بالوراثة أو بأن الغرض منه الوراثة أو هب لي وليا أخبر عنه بأنه يرثني وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة أو الكذب والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة آل عمران أن النبي لا يطلب في الدعاء الا الأصلح حتى لو كان الأصلح غير ما طلبه فصرفه الله تعالى عنه كان المصروف اليه هو بالحقيقة مطلوبه ويمكن أن يقال لعل الوراثة قد تحققت من يحيى وان قتل قبل زكريا وذلك بأن يكون قد تلقى منه كتاب أو شرع هو المقصود من وجود يحيى وبقي ذلك الكتاب أو الشرع معمولا به بعد زكريا أيضا الى حين وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراءات شاذة لا فائدة كثيرة في تعدادها الى قوله عن علي وجماعة وارث من آل يعقوب أي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان فقيل هو أن تجرد الكلام عن ذكر الاول حتى تقول جاءني فلان فجاءني رجل لا تريد به الا الاول ولذلك لا تذكر اسمه في الجملة الثانية وتجرد الكلام عنه وأقول شبيه أن يكون معنى التجريد هو أنك تجرده عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا في الآية كأنه جرده عن منافيات الوارثية بأسرها واختلف

المفسرون في أنه طلب ولدا ترثه أو طلب من يقوم مقامه ولدا كان أو غيره والاول أظهر لقوله في آل عمران رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وقوله في سورة الانبياء رب لا تذرني فردا حجة المخالف أنه لما بشر بالولد استعظم وقال أنى يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لأجل الولد لما استعظم ذلك والجواب ما مر في آل عمران واختلفوا أيضا في الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هي وراثة المال وعنهم أيضا أن المراد يرثني المال ويرث من آل يعقوب النبوة أو بالعكس (٣٢) وفي رواية أبي صالح أن المراد في الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل في المال وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي العلم وأورثنا بني اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء وحجة الاولين ما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على أنه أراد بالوراثة المال وكذا قوله صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وأيضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد ارث النبوة لم يحتج الى قوله (واجعله رب رضيا) لان النبي لا يكون الا مرضيا وأجيب بأنه اذا كان المعلوم من حال الابن أنه يصير نبيا بعده فمقوم بأمر الدين جاز أن يقال ورثه والمراد بكونه رضيا أن لا يوجد منه معصية ولا نسلم بما ذكرتم في حق يحيى وقد مر الحديث هناك ولا يلزم من هذا أن يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل لبعضهم فضائل أخر تختص به احتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة خلق الاعمال وأجابت المعتزلة بأنه يفعل بمقتضى الالطاف فيختار ما يصير مرضيا عنده وزيف بأن ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبأن فعل الالطاف واجب على الله فطلب ذلك بالدعاء والتضرع عبث واعلم أن أكثر المفسرين على أن يعقوب المذكور في الآية هو يعقوب ابن اسحق بن ابراهيم لان زوجة زكريا كانت من ولد سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب وأما زكريا فقد كان من ولد هرون أخي موسى وهرون بذكره وموسى من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب وهو اسرائيل عليه السلام وزعم بعض المفسرين أن المراد هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان وهذا قول الكلبي ومقاتل وعن مقاتل أن بني ماثان كانوا رؤس بني اسرائيل وملوكهم قوله (يا زكريا) الأكثرون على أنه نداء من الله تعالى اتر يبة التخاطب من قوله رب اني وهن العظم مني الى قوله رب أنى يكون لي غلام ومنهم من قال هو نداء

لقائه وبراقبه على معاصيه ويرجو ثوابه على طاعته فليعمل عملا صالحا يقول فليخلص له العبادة وليفرد له الربوبية * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الربيع بن أبي راشد عن سعيد بن جبير فمن كان يرجو لقاء ربه قال ثواب ربه وقوله ولا يشرك بعبادة ربه أحدا يقول ولا يجعل له شريكا في عبادته اياه وانما يكون جاعلا له شريكا بعبادته اذا را آى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عمرو بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا يشرك بعبادة ربه أحدا (١) حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان ولا يشرك بعبادة ربه أحدا قال لا يرائي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاوس قال جاء رجل فقال يا نبي الله اني أحب الجهاد في سبيل الله وأحب أن يرى موطني ويرى مكاني فأنزل الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجي عن صدقة بن يسار قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وزاد فيه واني أعمل العمل وأتصدق وأحب أن يراه الناس وساق الحديث نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى بن يونس عن الأعمش قال ثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل الى عبادة بن الصامت فسأله فقال أنبئني عما أسألك عنه أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ويصوم ويبتغي وجه الله ويحب أن يحمد فقال عبادة ليس له شئ ان الله عز وجل يقول أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه حدثنا أبو عامر اسمعيل بن عمرو السكوني قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا ابن عياش قال ثنا عمرو ابن قيس الكندي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال انها آخر آية أنزلت من القرآن

آخر تفسير سورة الكهف

﴿تفسير سورة مريم عليها السلام﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله تعالى ذكر ﴿كهيعص﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره كاف من كهيعص فقال بعضهم تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير دل به عليه واستغنى

(١) كذا في النسخة الخط وفي الدر عن سعيد لا يشرك لا يرائي بعبادة ربه أحدا كتبه مصححه

الملك لقوله فى آل عمران فنادته الملائكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا فى عدم السمى فقيل أراد أنه لم يسم أحد بيحيى قبله وقيل أراد أنه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك أنه جعل سيدا وحصورا ولم يعص ولم يهم بمعصية فكأنه جواب لقوله واجعله رب رضيا وأيضا سمى بيحيى قبل دخوله فى الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فلا نظير له فى هذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول أظهر لما فى الثانى من العدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما فى قوله فاعبده واصطبر لعبادته (٣٣) هل تعلم له سميا لانا نعلم أن مجرد كونه تعالى لا سمى له لا يقتضى عبادته فنقول السمى هنا يراد به المثل والنظير ويمكن أن يقال ان التفرد بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة فى الآية أيضا قال جار الله انما قيل للمثل سمى لان كل مثلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمى لصاحبه قلت ويقرب هذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمى يحيى تكلفوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعالى أحيا عقر أمه وعن قتادة لانه تعالى أحيا قلبه بالايمان والطاعة أو من كان ميتا فأحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان أول من آمن بعيسى وقيل لانه استشهد والشهداء أحياء وقيل لان الدين أحيى به لان زكريا سأله لاجل الدين قوله (وقد بلغت من الكبر) قال جار الله أى من أجل الكبر والطعن فى السن العالية فمن للتعليل ويجوز أن تكون للابتداء أى بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى (عتيا) وهو اليبس والجساوة فى المفاصل والعظام يقال عتا العود عتيا اذا غيره طول الزمان الى حالة اليبس * سؤال انه قال فى آل عمران وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر فلم عكس الترتيب فى هذه السورة وأجيب بأن الواو لا تفيد الترتيب قلت ان

بذكره عن ذكر باقى الاسم ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية كهيعص قال كبير يعنى بالكبير الكاف من كهيعص **حدثنا** هناد بن السرى قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول كهيعص قال كاف كبير **حدثنى** أبو السائب قال أخبرنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير فى كهيعص قال كاف كبير **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس نحوه * وقال آخرون بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذى هو كاف ذكر من قال ذلك **حدثنى** يحيى بن طلحة اليربوعى قال أخبرنا شريك عن سالم عن سعيد فى قوله كهيعص قال كاف كاف **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم فى قوله كهيعص قال كاف كاف **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبى مثله * وقال آخرون بل هو حرف من حروف اسمه الذى هو كريم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير كهيعص قال كاف من كريم * وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص حرف من حروف اسمه الذى هو هاد ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أبو حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول فى الهاء من كهيعص هاد **حدثنا** أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل عن سعيد مثله **حدثنى** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير نحوه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنى** يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير قال ها هاد **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم فى قوله كهيعص قال ها هاد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن الكلبى مثله * واختلفوا فى تأويل الياء من ذلك فقال بعضهم هو حرف من حروف اسمه الذى هو يمين ذكر من قال ذلك **حدثنى** أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يا من كهيعص يا عين **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس

ذاك ورد على الاصل وهو تقديم نقص نفسه وههنا رأى الفاصلة (قال) الامر (كذلك) تصديقا له ثم ابتدأ قائلا (قال ربك) فجعل كذلك رفع ويحتمل أن يكون نصبا بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله (هو) أى خلق الغلام (على هين) ويحتمل أن يكون اشارة الى قول زكريا أنى يكون لى غلام أى كيف تعطينى الغلام أبأن تجعلنى وزوجتى شابين أو بأن تتركنا على الشيخوخة فأجيب بقوله كذلك أى نهب الولد لك مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما لفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو

يعل من هان الشيء عليه ون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد (ولم تك شيأ) لان المعدوم ليس بشيء أو شيأ يعتد به كالنطفة أو كالجواهر التي لم تتألف بدو فيه نفي استبعاد زكريا لان خلق الذات ثم تغييرها في أطوار الصفات ليس أهون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة في زكريا وصاحبته بعد أن لم تكن (قال رب اجعل لي آية) قدم تفسير الآية في أول آل عمران قوله (سويا) قيل انه صفة لليالي أي تامة كاملة الاكبرون على أنه صفة زكريا أي وأنت (٣٤) سليم الحواس مستوى الخلق ما بك خرس ولا عي (فخرج على قومه من المحراب) قيل كان موضع ينفرد فيه للصلاة والعبادة ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا يصلي فيه هو وغيره الا أنهم كانوا لا يدخلونه للصلاة الا باذنه (فأوحى اليهم) عن مجاهد أشار بدليل قوله في أول آل عمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض و (أن) هي المفسرة و (سبحوا) أي صلوا أو على الظاهر وهو قول سبحان الله عن أبي العالية أن البكرة صلاة الفجر والعشي صلاة العصر فلعلهم كانوا كانوا يصلون معهما تين الصلاتين في محرابه وكان يخرج اليهم ويأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته ففهمهم المقصود بالاشارة أو الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذي يجوز أن يخاطب فقلنا له (يا يحيى خذ الكتاب) أي التوراة لانها المعهود حينئذ ويحتمل أن يكون كتابا مختصا به وان كنا لا نعرفه الآن كقول عيسى اني عبد الله آتاني الكتاب والمراد بالأخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الأخذ من حيث المعنى وهو القيام بواجبه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة تقتضي سهولة الاقدام على المأمور به والاحجام عن المنهي عنه ثم أكده بقوله (بقوة) أي بجد وعزيمة (وآتيناه الحكم) أي الحكمة عن ابن عباس هو فهم التوراة والفقه في الدين ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي قال ما للعب خلقت وعن سعر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الخوارق كما في حق عيسى فلا استبعاد الا من حيث العادة والحنان أصله توقان النفس ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل أن يراد حنانا منا على زكريا أو على أمة يحيى لا يساعده وجود الواو وقد أراد آتيناه الحكم والحنان على عبادنا كقوله في نبينا فبما رحمة من الله لنت لهم وأراد بقوله (وزكاة) أنه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل باقامة

مثله **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير ياءين * وقال آخرون بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو حكيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير كهيعص قال يا من حكيم * وقال آخرون بل هي حرف من قول القائل يا من يجير ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا ابراهيم بن الضريس قال سمعت الربيع ابن أنس في قوله كهيعص قال يا من يجير ولا يجار عليه * واختلف متأولو ذلك كذلك في معنى العين فقال بعضهم هي حرف من حروف اسمه الذي هو عالم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد كهيعص قال عين من عالم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبي مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** عمرو قال ثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن المسيب بن رافع عن أبيه في قوله كهيعص قال عين من عالم * وقال آخرون بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عزيز ذكر من قال ذلك **حدثني** أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كهيعص عين عزيز **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثني** يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله كهيعص قال عين عزيز * وقال آخرون بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عدل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر ابن نوح قال أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم في قوله كهيعص قال عين عدل * وقال الذين تأولوا ذلك هذا التأويل الصاد من قوله كهيعص حرف من حروف اسمه الذي هو صادق ذكر الرواية بذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يقول في كهيعص صادق صادق **حدثني** أبو حصين قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن اسمعيل عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس مثله **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن اسمعيل ابن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثني** أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن حصين

ما يجب عليهم لان الرأفة واللين ربما تورث ترك الواجب ولهذا قال ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ولا يخفى أنه لا يسعد هذا القول
وجود لفظة (من لدنا) وعن عطاء أن معنى حنانا تعظيما من لدنا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج أن معنى زكاة عملا صالحا زكيا وقيل
زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكى الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلني مباركا وقيل صدقة أي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم ثم
أخبر محمد صلى الله عليه وسلم عن جملة أحواله بقوله (وكان تقيا) بحيث لم يعص الله (٣٥) ولا هم بمعصية قط (وبرا بوالديه) لان تعظيم الوالدين
تلو تعظيم الله (ولم يكن جبارا عصيا)
وذلك أن الزاهد في الدنيا قلما يخلو
عن طلب ترفع والرغبة في احترام
فذكر أنه مع غاية زهده كان موصوفا
بالتواضع للخلق وتحقيق العبودية
للحق قال سفيان الجبار الذي يقتل
عند الغضب دليله قوله أتريد أن
تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان
تريد الا أن تكون جبارا في الارض ثم
انه سبحانه سلم عليه في ثلاثة مواطن
هي أوحش المواطن وأحوجها
الى طلب السلامة فيها ويحتمل أن
يكون هذا السلام من الملائكة
عليه الا أنه لما كان باذن الله كان
كسلام الله قيل انما قال (حيا) مع
أن المبعوث هو المعاد الى حال الحياة
تنبيها على كونه من الشهداء وهم
أحياء الا أنه يشكل بما يجيء في
قصة عيسى ويوم أبعث حيا وذلك
أنه ورد في الاخبار أن عيسى يموت
بعد النزول والظاهر أنه أراد
ويوم يجعل حيا فوضع الاخص
موضع الاعم تأكيدا قيل السلام
عليه يوم ولد لابد أن يكون تفضلا
من الله تعالى لانه لم يتقدم منه
عمل يجزى عليه وأما الآخران
فيجوز أن يكونا لاجل الثواب
قلت أكثر أمور خارق للعادة
فيحتمل أن يوجد منه في بطن أمه
عمل يستحق الثواب كما يحكى أن أمه
قالت لمريم وهما حاملان اني أرى
ما في بطني يسجد لما في بطنك ۞ التأويل ان زكريا الروح نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب اني وهن مني عظم الروحانية
واشتعل شيب صفات البشرية واني خفت صفات النفس أن تغلب وكانت امرأتي يعني الجثة التي هي روح الروح عاقرا لا تلد الا بموهبة من
الله فهب لي من لدنك سألا وليا فأعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن العلم اللدني فانه ولد الروح والنفس أعدى عدوه يرثني
ويرث من آل يعقوب أي يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واجعله رب رضيا بأن توطنه من تجلي صفات ربوبيتك ما يرضى به

عن اسمعيل بن راشد عن سعيد بن جبير مثله **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال
أخبرنا أبو روق عن الضحاك بن مزاحم قال صادق صادق **حدثني** يحيى بن طلحة قال ثنا
شريك عن سالم عن سعيد قال صادق يعني الصادق من كهيعص **حدثنا** ابن حميد قال ثنا
حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد كهيعص قال صادق صادق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا
حكام قال ثنا عنبسة عن الكلبي قال صادق * وقال آخرون بل هذه الكلمة كلها اسم
من أسماء الله تعالى ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن خالد بن خداش قال ثني سالم بن
قتيبة عن أبي بكر الهذلي عن عاتكة عن فاطمة ابنة علي قالت كان علي يقول يا كهيعص اغفر لي
حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله كهيعص
قال فانه قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله * وقال آخرون كل حرف من ذلك اسم من أسماء الله
عز وجل ذكر من قال ذلك **حدثني** مطر بن محمد الضبي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن
عبد العزيز بن مسلم القسملي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كهيعص ليس منها حرف
الا وهو اسم * وقال آخرون هذه الكلمة اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك **حدثنا**
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله كهيعص قال اسم من
أسماء القرآن * قال أبو جعفر والقول في ذلك عندنا نظير القول في الم وسائر فواتح سور القرآن
التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل فأغنى عن اعادته في هذا الموضع
۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب اني
وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾ اختلف أهل العربية في الرافع
للذكر والناصب للعبد فقال بعض نحويي البصرة في معنى ذلك كأنه قال مما نقص عليك ذكر
رحمة ربك عبده وانتصب العبد بالرحمة كما تقول ذكر ضرب زيد عمرا وقال بعض نحويي الكوفة
رفعت الذكر بكهيعص وان شئت أضمرت هذا ذكر رحمة ربك قال والمعنى ذكر ربك عبده
برحمته تقديم وتأخير * قال أبو جعفر والقول الذي هو الصواب عندي في ذلك أن يقال الذكر
مرفوع بمضمر محذوف وهو هذا كما فعل ذلك في غيرها من السور وذلك كقول الله براءة من الله
ورسوله وكقوله سورة أنزلناها ونحو ذلك والعبد منصوب بالرحمة وزكريا في موضع نصب لانه
بيان عن العبد فتأويل الكلام هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله اذ نادى ربه نداء خفيا
يقول حين دعا ربه وسأله بنداء خفي يعني وهو مستتر بدعائه ومسألته اياه ما سأل كراهة منه
للرياء كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ نادى ربه نداء
خفيا أي سرا وان الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال لا يريد رياء **حدثنا** موسى بن
هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي قال رغب زكريا في الولد فقام

نظيره واسوف يعطيك ربك فترضى اسمه يحيى ان الله أحياه بنوره لم يجعل له من قبل سميا لا من الحيوانات ولا من الملائكة لانه هو الذى يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن وقد بلغت من الكبر أى بسبب طول زمان تعلق القلب بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس آيتك أن لا تكلم الناس لا تخاطب الا الله ولا تلتفت الى ما سواه ثلاث ليال هى ثلاث مراتب الجمادات والحيوانيات (٣٦) والروحانيات سويا ممكنا فى هذا الحال من غير تلون فخرج زكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته فأشار اليهم أن كونوا متوجهين الى الله معرضين عما سواه آناء الليل وأطراف النهار بل بكرة الازل وعشى الابد يا يحيى القلب خذ كتاب الفيض الالهى المكتوب لك فى الازل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لانه خلق ضعيفا وآتيناه الحكم فى صباه اذ خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره وزكاة وتطهرا من الالتفات الى غيرنا وبرا بوالديه الروح والقالب أما بالروح فلأن القلب محل قبول الفيض الالهى لان الفيض نصيب الروح أولا ولكن لا يمسكه لغاية لطافته كما أن الهواء الصافى لا يقبل الضوء وينفذ فيه وأما القلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا أحد أسرار حمل الامانة وأما بر والدة القالب فهو استعمالها على وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم ولد فى أصل خلقته ويوم يموت من استعمال المعاصى بالتوبة ويوم يبعث حيا بالتربية والترقى الى مقام السلامة الله حسبى

﴿واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون عبد لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن

فصلى ثم دعا ربه سرا فقال رب انى وهن العظم منى الى واجعله رب رضيا وقوله قال رب انى وهن العظم منى يقول تعالى ذكره فكان نداؤه الخفى الذى نادى به ربه أن قال رب انى وهن العظم منى يعنى بقوله وهن ضعف ورق من الكبر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب انى وهن العظم منى أى ضعف العظم منى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وهن العظم منى قال نحل العظم قال عبد الرزاق قال الثورى وبلغنى أن زكريا كان ابن سبعين سنة وقوله واشتعل الرأس شيبا يقول وانتشر الشيب فى الرأس وقد اختلف أهل العربية فى وجه النصب فى الشيب فقال بعض نحويى البصرة نصب على المصدر من معنى الكلام كأنه حين قال اشتعل قال شاب فقال شيبا على المصدر قال وليس هو فى معنى تفقأت شحما وامتلأت ماء لان ذلك ليس بمصدر وقال غيره نصب الشيب على التفسير لانه يقال اشتعل شيب رأسى واشتعل رأسى شيبا كما يقال تفقأت شحما وتفقأ شحمى وقوله ولم أكن بدعائك رب شقيا يقول ولم أكن بدعائك ربى شقيا قط ولم أشق يا رب بدعائك لأنك لم تخيب دعائى قبل اذ كنت أدعوك فى حاجتى اليك بل كنت تجيب وتقضى حاجتى قبلك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولم أكن بدعائك رب شقيا يقول قد كنت تعرفنى الاجابة فيما مضى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾ يقول وانى خفت بنى عمى وعصبتى من ورائى يقول من بعدى أن يرثونى وقيل عنى بقوله من ورائى من قدامى ومن بين يدى وقد بينت جواز ذلك فيما مضى قبل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانى خفت الموالى من ورائى يعنى بالموالى الكلالة الاولياء أن يرثوه فوهب الله له يحيى حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله وانى خفت الموالى من ورائى قال العصبة حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن أبى صالح فى قوله وانى خفت الموالى من ورائى قال خاف موالى الكلالة حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح بنحوه حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح وانى خفت الموالى من ورائى قال يعنى الكلالة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله خفت الموالى من ورائى قال العصبة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن قال أخبرنا

أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون (٣٧) وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم

عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله اني خفت الموالي من ورائي قال العصبة حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي واني خفت الموالي من ورائي والموالي هن العصبة والموالي جمع مولى والمولى والولي في كلام العرب واحد وقرأت قراء الامصار واني خفت الموالي بمعنى الخوف الذي هو خلاف الأمن وروي عن عثمان بن عفان أنه قرأه واني خفت الموالي بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة كأنه وجه تأويل الكلام واني ذهبت عصبتي ومن يرثني من بني أعمامي واذا قرئ ذلك كذلك كانت الياء من الموالي مسكنة غير متحركة لأنها تكون في موضع رفع بخفت وقوله وكانت امرأتي عاقرا يقول وكانت زوجتي لا تلد يقال منه رجل عاقر وامرأة عاقر بلفظ واحد كما قال الشاعر

لبئس الفتى اذ كنت أعور عاقرا * جبانا فما عذري لدى كل محضر

وقوله فهب لي من لدنك وليا يقول فارزقني من عندك ولدا وارثا ومعينا وقوله يرثني ويرث من آل يعقوب يقول يرثني من بعد وفاتي مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل عن أبي صالح قوله يرثني ويرث من آل يعقوب يقول يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة حدثنا مجاهد قال ثنا يزيد قال أخبرنا اسمعيل عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يرثني مالي ويرث من آل يعقوب النبوة حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال يكون نبيا كما كانت آباؤه أنبياء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يرثني ويرث من آل يعقوب قال وكان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال كان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن الحسن في قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال نبوته وعلمه حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن مبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من ورثة ماله حين يقول فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يرثني ويرث من آل يعقوب قال كان الحسن يقول يرث نبوته وعلمه قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية وأتى على يرثني

فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها واينا يرجعون ۞ القراآت اني أعوذ بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ليهب لك على الغيبة أبو عمرو ويعقوب وورش والحلواني عن قالون وحمزة في الوقف الآخرون لأهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على أنه حرف جر ويجر التاء الثانية أبو جعفر ونافع وسهل وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الباقون بفتحها ما على أن من موصولة والظرف صلتها تساقط بحذف تاء التفاعل على وحمزة والخزاز عن هبيرة تساقط من المفاعلة بحفص غير الخزاز يتساقط بيا الغيبة على أن الضمير للجذع وبادغام التاء في السين سهل ويعقوب ونصير وحماد الباقون مثله ولكن بتاء التأنيث على أن الضمير للنخلة آتاني الكتاب مما لة مفتوحة الياء على وقرأ حمزة مرسلة الياء مفخمة في الوصل مما لة في الوقف وأوصاني بالامالة على قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب

وان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وروح والمعدل عن زيد ۞ الوقوف مريم لا ليصيرا ظرفا لا ذكر شقيا ○ لآ للعطف ذكيا ○ بغيا ○ كذلك ط لما مر هين ج لجواز كون الواو مقحمة أو معانقة محذوف كما يجيء منا ج لاختلاف الجملتين مقضيا ○ فصيا ○ النخلة ج لترتب الماضي من غير عاطف والاولى أن يكون استئنافا فانسيا ○ سريا ○ جنيا ○ زعيني ○ ج للشرط مع الفاء أحدا لا لأن ما بعده جواب الشرط انسيا ○ ج للعطف مع الآية تحمله ط فريا ○ بغيا ○ ج اليه ج صبيا ○

عبدالله ط لان الجملة لاتقع صفة للمعرفة ويمكن أن يجعل معنى التحقيق فى إن عاملا فيكون حالا فلا يوقف أينما كنت ص لطول الكلام حيا ص ٥ لذلك والوصل أولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتى ج لتبدل الكلام من الاثبات الى النفى شقيا ٥ حيا ٥ عيسى ابن مريم ج على القراءتين لاحتمال أن يراد أقول قول الحق وأن يجعل حالا وأما فى قراءة الرفع فاما أن يكون بدلا من عيسى أو يكون التقدير هو قول الحق يمترون ٥ من ولد لا (٣٨) استحالا للتنزيه سبحانه ط فيكون ٥ ط لمن قرأ وان بالكسر فاعبدوه ط مستقيم ٥ من بينهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء عظيم ٥ وأبصر لا لأن ما بعده ظرف للتعجب مبين ٥ وسمعت عن مشايخى رحمهم الله أن الوقف على قوله قضى الأمر لازم لا أقل من المطلوب لان ما بعده جملة مستأنفة ولو وصل لاوهم أن يكون حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون ٥ يرجعون ٥ ۞ التفسير هذا شروع فى ابتداء خلق عيسى ولا ريب أن خلق الولد بين شخصين فانيين أقرب الى مناهج العادات من تخليق الولد من غير أب فلهذا أخرت قصة عيسى عن قصة يحيى ترقيا من باب التفهم من الأدنى الى الأعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لان الازمان مشتملة على ما فيها وفى هذا الابدال تفخيم لشأن الوقت كوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كأنها ألقت نفسها الى جانب معتزلة عن الناس فى مكان يلى شرقى بيت المقدس أو شرقى دارها قال ابن عباس من ههنا اتخذت النصارى المشرق قبلة (فاتخذت من دونهم حجابا) لابد لهذا الاحتجاب من غرض صحيح فمن المفسرين من قال انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد لكى تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل عليه السلام وقيل طلبت الخلوة لأجل العبادة وقيل فى مشربة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط أو شئ يسترها ذكر وقيل كانت فى منزل زوج أختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج أغلق عليها بابها فتمنت أن تجد خلوة فى الجبل لتخلى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت وجلست فى المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وذلك قوله (فأرسلنا اليها روحنا) يعنى جبرائيل لان الذين يحيا به و يوحيه والاضافة للتشريف والتسمية مجاز كما تقول لمن تحبه انه روحى (فتمثل لها) حال كونه (بشرا سويا) تام الخلق أو حسن الصورة

ويرث من آل يعقوب قال رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا وما كان عليه من ورثته ويرحم الله لوطا ان كان ليأوى الى ركن شديد **حدثنى** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب قال يرث نبوتى ونبوة آل يعقوب واختلفت القراء فى قراءة قوله يرثنى ويرث من آل يعقوب فقرأت ذلك عامة قراء المدينة ومكة وجماعة من أهل الكوفة يرثنى ويرث برفع الحرفين كليهما بمعنى فهب لى الذى يرثنى ويرث من آل يعقوب على أن يرثنى ويرث من آل يعقوب من صلة الولى وقرأ ذلك جماعة من قراء أهل الكوفة والبصرة يرثنى ويرث بجزم الحرفين على الجزاء والشرط بمعنى فهب لى من لدنك وليا فانه يرثنى اذا وهبته لى وقال الذين قرؤا ذلك كذلك انما حسن ذلك فى هذا الموضع لان يرثنى من آية غير التى قبلها قالوا وانما يحسن أن يكون مثل هذا صلة اذا كان غير منقطع مما هو له صلة كقولك ردأ يصدقنى * قال أبو جعفر وأولى القراءتين عندى فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه برفع الحرفين على الصلة للولى لان الولى نكرة وأن زكريا انما سأل ربه أن يهب له وليا يكون بهذه الصفة كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أنه سأله وليا ثم أخبر أنه اذا وهب له ذلك كانت هذه صفته لأن ذلك لو كان كذلك كان ذلك من زكريا دخولا فى علم الغيب الذى قد حجبه الله عن خلقه وقوله واجعله رب رضيا يقول واجعل يا رب الولى الذى تهبه لى مرضيا ترضاه أنت ويرضاه عبادك دينا وخلقا وخلقا والرضى فعيل صرف من مفعول اليه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) يقول تعالى ذكره فاستجاب له ربه فقال له يا زكريا انا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه يحيى كان قتادة يقول انما سماه الله يحيى لاحيائه اياه بالايمان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى عبد أحياه الله للايمان وقوله لم نجعل له من قبل سميا اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه لم تلد مثله عاقرقط ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليحيى لم نجعل له من قبل سميا يقول لم تلد العواقر مثله ولدا قط * وقال آخرون بل معناه لم نجعل له من قبله مثلا ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو الربيع قال ثنا سالم بن قتيبة قال أخبرنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى قوله لم نجعل له من قبل سميا قال شبيها **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لم نجعل له من قبل سميا قال مثلا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك أنه لم يسم باسمه أحد قبله

وانما مثل لها في صورة الانسان لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه وتدرع الروحاني لجبريل مثلا تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالصغير غير مستبعد والذين اعتقدوا أن جبرائيل جسماني جوزوا أن يكون له أجزاء أصلية قليلة وأجزاء فاضلة فبتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبه بصورة الانسان ولندرة أمثال هذه الامور لا يلزم منها قدح في العلوم العادية المستندة الى الاحساس فلا يلزم الشك في أن زيدا الذي نشاهده الآن هو الذي شاهدناه بالامس قوله (ان كنت تقيا) أي ان كان يرجى منك أن تتقي الله وترجع بالاستعاذة به فاني عائذة به منك وقيل انه كان في ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقي وكان يتتبع النساء فظنت أن ذلك المتمثل هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله وقيل ان نافية أي ما كنت تقيا حين استحللت النظر الى وخلوت بي وحين علم جبرائيل خوفها (قال انما أنا رسول ربك) أرسلني (لاهب لك) أو ليهب لك (غلاما زكيا) طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة وكيف زال خوفها بمجرد القيل احتمل أن يكون قد ظهر لها معجزة من جهة زكريا أو ارهاصا لعيسى أو الهاما من الله سبحانه وهل تقدر الملائكة على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والنطق حتى صح قول جبرائيل لأهب لك قال أجمعت الامة على أن لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والا فلا استبعاد في تأثير بعض الاجسام في بعضها الخاصية خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة أن جبرائيل صار سببا في الهبة بالنفخ في الدرع (قالت) استغرابا من حيث العادة لا تشكيكا في قدرة الله (أنى يكون لي غلام ولم تقل ههنا رب اما لانها تخاطب جبرائيل واما اكتفاء بما سلف في آل عمران (ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا) هي الفاجرة التي تبغي الرجال عن المبرد أن أصله بغوى على فعول قلبت الواو ياء ثم أدغمت في الياء وكسرت الغين للمناسبة عن ابن جني أنه فعيل والا لقيل بغوكنهو عن المنكر خصصت بعد ما عممت لزيادة الاعتبار بهذا الخزي تبرئة لساحتها عن الفحشاء وأما جرى في أول القصة من تمثل جبرائيل لها بصورة البشر حتى ظنت أنه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة في آل عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه في قوله من قبل أن تمسوهن أو لمستم النساء وانما يقال في الزنا فجرها وخبث بها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والآداب قلت

ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم نجعل له من قبل سميا لم يسم به أحد قبله **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله لم نجعل له من قبل سميا قال لم يسم يحيى أحد قبله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج مثله **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله لم نجعل له من قبل سميا قال لم يسم أحد قبله بهذا الاسم **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ان الله بشر زكريا بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا لم يسم أحد قبله يحيى * قال أبو جعفر وهذا القول أعني قول من قال لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمي باسمه أشبه بتأويل ذلك وانما معنى الكلام لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحدا سمي باسمه والسمي فعيل صرف من مفعول اليه ؛ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا﴾ يقول تعالى ذكره قال زكريا بشره الله بيحيى رب أنى يكون لي غلام ومن أي وجه يكون لي ذلك وامرأتي عاقر لا تحبل وقد ضعفت من الكبر عن مباضعة النساء أبأن تقويني على ما ضعفت عنه من ذلك وتجعل زوجتي ولودا فانك القادر على ذلك وعلى ما تشاء أم بأن أتنكح زوجة غير زوجتي العاقر يستثبت ربه الخبر عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد الذي بشره الله به لا انكارا منه صلى الله عليه وسلم لحقيقة كون ما وعده الله من الولد وكيف يكون ذلك منه انكارا لأن يرزقه الولد الذي بشره به وهو المبتدئ مسئلة ربه ذلك بقوله فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب بعد قوله اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا وقال السدي في ذلك ما **حدثني** موسى ابن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال نادى جبرائيل زكريا ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا فلما سمع النداء جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس من الله انما هو من الشيطان يسخر بك ولو كان من الله أوحاه اليك كما يوحي اليك غيره من الامر فشك وقال أنى يكون لي غلام يقول من أين يكون وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وقوله وقد بلغت من الكبر عتيا يقول وقد عتوت من الكبر فصرت لحمل العظام يابسها يقال منه للعود اليابس عود عات وعاس وقد عتا يعتو عتيا وعتوا وعسى يعسو عسيا وعسوا وكل متناه الى غايته في كبر أو فساد أو كفر فهو عات وعاس * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال قد علمت السنة كلها غير أني لا أدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف وقد بلغت من الكبر عتيا أو عسيا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله

عن ابن جني أنه فعيل والا لقيل بغو كنهو عن المنكر خصصت بعد ما عممت لزيادة الاعتبار بهذا الخزي تبرئة لساحتها عن الفحشاء وأما جرى في أول القصة من تمثل جبرائيل لها بصورة البشر حتى ظنت أنه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة في آل عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه في قوله من قبل أن تمسوهن أو لمستم النساء وانما يقال في الزنا فجرها وخبث بها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والآداب قلت

وقد بلغت من الكبر عتيا قال يعني بالعتي الكبر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عتيا قال تحول العظم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من الكبر عتيا قال سنا وكان ابن بضع وسبعين سنة **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال العتي الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد ابن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وقد بلغت من الكبر عتيا قال هو الكبر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قال كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ﴾ يقول تعالى ذكره فقال الله لزكريا مجيبا له قال كذلك يقول هكذا الأمر كما تقول من أن امرأتك عاقر وأنك قد بلغت من الكبر العتي ولكن ربك يقول خلق ما بشرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى علي هين فهو إذا من قوله قال ربك هو علي هين كناية عن الخلق وقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ يقول تعالى ذكره وليس خلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لك أمره منك مع كبر سنك وعقم زوجتك بأعجب من خلقيك فاني قد خلقتك فأنشأتك بشرا سويا من قبل خلق ما بشرتك بأن واهبه لك من الولد ولم تك شيأ فكذلك أخلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر مع عتيك وعن عظامك واشتعال شيب رأسك وقوله قال رب اجعل لي آية يقول تعالى ذكره قال زكريا يا رب اجعل لي علما ودليلا على ما بشرتني به ملائكتك من هذا الغلام عن أمرك ورسالتك ليطمئن الى ذلك قلبي كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال رب اجعل لي آية قال قال رب اجعل لي آية أن هذا منك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال رب فان كان هذا الصوت منك فاجعل لي آية قال الله آيتك لذلك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا يقول جعل ثناؤه علامتك لذلك ودليلا عليه أن لا تكلم الناس ثلاث ليال وأنت سوي صحيح لا علة بك من خرس ولا مرض يمنعك من الكلام ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس ثلاث ليال سويا قال اعتقل لسانه من غير مرض **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثلاث ليال سويا يقول من غير خرس **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ثلاث

لم يسلم هذا من حيث اللغة الا أنه لا بد لزيادة قوله ولم أك بغيا في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سمح لنا والله أعلم (قال كذلك قال ربك هو علي هين) تفسيره كما مر في قصة زكريا (ولنجعله) أي ولنجعل الغلام أو خلقه (آية للناس) يستدل بها على كمال اقتدارنا على إبداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز أن يكون معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين أي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وقد مر مثل هذا في قوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه (ورحمة منا) (٠ ع) على عبادنا لان كل نبي رحمة لامته فبه يهدون الى صلاح الدارين (وكان أمرا مقضيا) مقدرا في اللوح أو أمرا حقيقا بأن يقضى به لكونه آية ورحمة وهذا مبني على أن رعاية الأصلح واجبة على الله وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل في فمها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخت فيه من روحنا وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبرئيل كالضائع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب لك قيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد حاضت حيضتين قبل أن تحمل وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة أشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت مخالفة لهن في هذه العادة لناسب أن يذكرها الله تعالى في أثناء مدائحها وقيل ثمانية أشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال أهل التنجيم انما لا يعيش لانه يعود الى تربية القمر وهو مغير معفن بسرعة حركته وغلبة التبريد والترطيب عليه وعن عطاء وأبي العالية والضحاك سبعة أشهر وقيل ستة أشهر وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس في رواية أخرى كما حملته نبذته اقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون ولفا آب التعقيب في قوله (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض) وعلى هذا فالمكان القصي هو أقصى الدار أو وراء الجبل بعيدا من أهلها ومعنى انتبذت به اعتزلت متلبسة به وهو في بطنها وقصي مبالغة قاص ورد وي الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت قال من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانت معه في كفالته وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم من أهل زمانهما أكثر عبادة منهما وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من أمرك شيء ولا أحب أن أكتمه عنك فقالت قل قولا جميلا فقال أخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم ألم تعلم

أن الله تعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر أو تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى يستعين بالماء ألم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وحواء من غير ذكر ولا أنثى فقال يوسف لا أقول هذا ولكني أقول ان الله قادر على ما يشاء وزالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف عليها من الحمل فحين دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك لئلا يقتلوا ولدك فاحملها يا يوسف الى أرض مصر على حمارله فلما بلغت تلك البلاد أدركها النفاس فألجأها الى (٤١) أصل نخلة قال جار الله أجاء منقول من جاء الا أن استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء لا يقال جئت المكان وأجاءنيه زيد كما يقال بلغته وأبلغنيه ونظيره أتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل أتيت المكان وآتانيه فلان قلت حاصله تخصيص باء التعدية بعد تعميم و (المخاض) بفتح الميم وجمع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وروى أنه كان جذعا لنخلة يابسة في الصحراء ليس لها رأس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا عندهما واما للجنس أي جذع هذه الشجرة خاصة أو شدت اليها لتطعم منها الرطب الذي هو خرسة النفساء أي طعامها الموافق لها ولان النخلة أقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا بالالقاح فكان ظهور ذلك الرطب من ذلك الجذع في الشتاء من دون لقاح وابارد ليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف النسي اسم لما من حقه أن يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره الذبح لما من شأنه أن يذبح وعن يونس أن العرب اذا ارتحلوا قالوا انظروا أنساءكم يعنون العصا والقدح والشظاظ ونحوها تمت لو كانت شيأ لا يعبأ به فحقه أن ينسى في العادة ومعنى (منسيا) أنه قد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وانما تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل أولأنهم يهتمون بها وهي عارفة ببراءة ساحتها فشق ذلك عليها أو لطوفها على الناس أن يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر ويجوز أن يكون تسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء بنسؤه أهله لقلته ونزارته (فناداها من تحتها) الذي هو تحتها أو انسان

ليال سويا قال لا يمنعك من الكلام مرض **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا قال صحيحا لا يمنعك من الكلام مرض **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا من غير بأس ولا خرس وانما عوقب بذلك لانه سأل آية بعد ما شافهته الملائكة مشافهة أخذت بلسانه حتى مثا كان يفيض الكلام الا أوما أو أعيا **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن عكرمة في قوله ثلاث ليال سويا قال سويا من غير خرس **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا وأنت صحيح قال فحبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلم أحدا وهو في ذلك يسبح ويقرأ التوراة ويقيم الانجيل فاذا أراد كلام الناس لم يستطع أن يكلمهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليماني قال أخذ الله بلسانه من غير سوء فجعل لا يطيق الكلام وانما كلامه لقومه بالاشارة حتى مضت الثلاث الايام التي جعلها الله آية لصدق ما وعده من هبته له **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا يقول من غير خرس الا رمزا فاعتقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال * وقال آخرون السوي من صفة الايام قالوا ومعنى الكلام قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا قال ثلاث ليال متتابعات ﴿ القول في تأويل قوله تعالى فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ يقول تعالى ذكره فخرج زكريا على قومه من مصلاه حين حبس لسانه عن كلام الناس آية من الله له على حقيقة وعده اياه ما وعده فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من شرابه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فخرج على قومه من المحراب قال أشرف على قومه من المحراب * قال أبو جعفر * وقد بينا معنى المحراب فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فخرج على قومه من المحراب قال المحراب مصلاه وقرأ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب وقوله فأوحى اليهم يقول أشار اليهم وقد تكون تلك الاشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك مما يفهم به عنه ما يريد والعرب في ذلك لغتان وحى وأوحى فمن قال وحى قال في يفعل يحي ومن قال أوحى قال يوحي وكذلك أومى ووحى فمن قال ومى قال في يفعل يمي ومن قال أومى قال يومي واختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى الى قومه فقال بعضهم أوحى اليهم اشارة باليد ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فأوحى فأشار زكريا **حدثنا** القاسم قال

تحتها يعني جبريل بناء على أنه كان يقبل الولد كالقابلة أو أراد أسفل من مكانها لان مريم كانت أقرب الى الشجرة منه أو كان جبريل تحت الأكمة وهي فوقها فصاح بها الاتحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير أن المراد به عيسى لان ذكر عيسى أقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الصلة يجب أن تكون معلومة للسامع والذي علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة أن الضمير في تحتها للنخلة قوله (سريا) (٤٢) جمهور المفسرين على أن السري هو الجدول وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم سمي بذلك لان الماء يسري فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخاء في مروءة ويقال فلان من سروات قومه أي من أشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سروات عن الحسن كان والله عبدا سريا صحة هذا القائل أن النهر لا يكون تحتها بل الى جنبها ولا يمكن أن يقال المراد ان النهر تحت أمرها يجري بأمرها ويقف بأمرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر وأجيب بأن المكان المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان أقرب منه كان فوق وكل من كان أبعد منه كان تحت وأراد أن النهر تحت الاكمة وهي فوقها وأيضا حمل السري على النهر موافق قوله وآوينا هما الى ربوة ذات قرار ومعين وقوله (فكلي واشربي) يروى أن جبريل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار والاول أقرب لان قوله قد جعل ربك تحتك سريا يشعر بالاحداث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل وما دون الرأس الذي عليه الثمرة وقال قطرب كل خشبة في أصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالزائدة لان العرب تقول هززه وهززت به والمعنى حركي جذع النخلة أو افعلي الهز به ورطبا تمييز أو مفعول تساقط على حسب القراآت اللازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز التصابه بهزي أي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة أي على جذعها والجني المأخوذ طريا والظاهر أنه ما أثمر الا الرطب وقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه أثمر مع الرطب غيره قالوا اذا عسر ولادها لم يكن لها ما هو أحسن من الرطب وأنفع للنفساء منه من ذلك الوقت وكذا التحميل والمراد أنه جمع لها فائدتان في السري والرطب احداهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع أن ذكر السري متقدم لان احتياج النفساء الى أكل الرطب أشد من احتياجها الى شرب الماء

ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فأوحى اليهم قال الوحي الاشارة **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فأوحى اليهم قال أومى اليهم * وقال آخرون معنى أوحى كتب ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمود بن خداش قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن الحكم عن مجاهد في قول الله تعالى فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال كتب لهم في الارض **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن ابن أبي ليلى عن الحكم فأوحى اليهم قال كتب لهم **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فخرج على قومه من المحراب فكتب لهم في كتاب أن سبحوا بكرة وعشيا وذلك قوله فأوحى اليهم * وقال آخرون معنى ذلك أمرهم ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال ما أدري كتابا كتبه لهم أو اشارة أشار هارا لله أعلم قال أمرهم أن سبحوا بكرة وعشيا وهو لا يكلمهم وقوله أن سبحوا بكرة وعشيا قد بينت فيما مضى الوجوه التي ينصرف فيها التسبيح وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عني به التسبيح الذي هو ذكر الله فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح ويجوز أن يكون عني به الصلاة فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين وكان قتادة يقول في ذلك ما **حدثنا** به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا قال أوحى اليهم أن صلوا بكرة وعشيا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان تقيا﴾ يقول تعالى ذكره فولد لزكريا يحيى فلما ولد قال الله له يا يحيى خذ الكتاب بقوة يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى وهو التوراة بقوة يقول بجد كما **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله خذ الكتاب بقوة قال بجد **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحارث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد خذ الكتاب بقوة قال بجد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال ابن زيد في ذلك ما **حدثني** به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا يحيى خذ الكتاب بقوة قال القوة أن يعمل ما أمره الله به ويجانب فيما نهاه الله * قال أبو جعفر وقد بينت معنى ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا في سورة آل عمران فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله وآتيناه الحكم صبيا يقول تعالى ذكره وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال وقد **حدثنا** أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرني معمر ولم يذكره عن أحد في هذه الآية وآتيناه الحكم صبيا قال بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا

لكثرة ماسال من الدماء والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزين لزكريا أو وارهاصا لعيسى أو كرامتين لمريم وأشار الى هذه بقوله (وقرى عينا) لان قرة العين تلزم قوة القلب والتسلى من الهموم والاحزان وقيل ان ألم النفس أشد من ألم البدن فلم قدم دفع ألم البدن على دفع ألم القلب وأجيب بأن الخوف النفسى كان قليلا لتقدم بشارة جبريل فكان التذكر كافيا (فاما ترين) أصله ترأيين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم ياء الضمير لالتقاء الساكنين وذلك بعد لحوق نون التأكيد وقدمر فى قوله (٤٣) اما يبلغن عندك الكبر اذا التأكيد فى هذه الصورة

لتلعب فقال ما للعب خلقت فأنزل الله وآتيناه الحكم صبيا وقوله وحنانا من لدنا يقول تعالى ذكره ورحمة منا به ومحبة له آتيناه الحكم صبيا * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الحنان فقال بعضهم معناه الرحمة ووجهوا الكلام الى نحو المعنى الذى وجهناه اليه ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وحنانا من لدنا يقول ورحمة من عندنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة فى هذه الآية وحنانا من لدنا قال رحمة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وحنانا من لدنا قال رحمة من عندنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قوله وحنانا من لدنا قال رحمة من عندنا الا علم عطاءها أحد غيرنا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وحنانا من لدنا يقول رحمة من عندنا لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا * وقال آخرون بل معنى ذلك ورحمة من عندنا لزكريا آتيناه الحكم صبيا وفعلنا به الذى فعلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وحنانا من لدنا يقول رحمة من عندنا * وقال آخرون معنى ذلك وتعطفا من عندنا عليه فعلنا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وحنانا من لدنا قال تعطفا من ربه عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عمن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون بل معنى الحنان المحبة ووجهوا معنى الكلام الى ومحبة من عندنا فعلنا ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن يحيى بن سعيد عن عكرمة وحنانا من لدنا قال محبة عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحنانا قال أما الحنان فالمحبة * وقال آخرون معناه تعظيما منا له ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن عطاء عن أبى رباح وحنانا من لدنا قال تعظيما من لدنا وقد ذكر عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لا أدرى ما الحنان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس قال لا والله ما أدرى ما حنانا وللعرب فى حنانك لغتان حنانك يا ربنا وحنانيك كما قال طرفة بن العبد فى حنانيك

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا * حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقال امرؤ القيس فى اللغة الاخرى

وعنحها بنو عمجى بن جرم * معيزهم حنانك ذا الحنان

يقصد به أن الشرط مما يتوقع غالبا فان مريم لابد أن ترى أحدا من البشر عادة عن أنس بن مالك الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال أبو عبيدة كل ممسك عن طعام أو كلام أو سير فهو صائم وقيل أراد الصيام الا أنهم كانوا لا يتكلمون فى صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز فى شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر يجرد الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة ولعله لا يجوز لما فيه من التضييق والتشديد ولا حرج فى الاسلام وفى الكشاف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت وروى أنه دخل أبو بكر الصديق على امرأة وقد نذرت أنها لا تتكلم فقال أبو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمى وفى أمرها بهذا النذر معنيان أحدهما أن كلام عيسى أقوى فى ازالة التهمة وفيه أن تفويض الامر الى الأفضل أولى والثانى أن السكوت عن جدال السفهاء أصون للعرض ومن أذل الناس سفيه لم يجد مسافها وكيف أخبرتهم بالنذر قيل بالاشارة والالزم النقض وقيل خص هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله (انسيا) أراد المبالغة فى نفى الكلام أو أراد أنى أكلم الملائكة دون الانس وهذا أشبه بقوله فاما ترين من البشر (فأتت به) أى بعيسى (قومها تحمله) الجملة حال عن وهب قال أنساها كربة الميلاد وما سمعت من الناس ما كان من بشارة الملائكة فلما كلمها جاءها مصداق ذلك فاحتملته فأقبلت به الى قومها وعن ابن عباس أن يوسف النجار انتهى بمريم الى غار فلبثوا فيه أربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه أبشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها تباكوا وقالوا (لقد جئت شيأ فريا) بديعا من فرى الجلد وليس فى هذا ما يوجب تعييرا أو ذما لان أمرها كان خارجا عن المعتاد ويحتمل ان يراد انه أمر منكر نار بح عن طريق

البعثة والصلاح فيكون أتوبيخا ويؤكده قولهم (يا أخت هرون) الآية واختلفوا في هرون فقيل كان أخاها من أبيها من أمثل بني اسرائيل وهذا أظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة أولى من غيره وقيل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم عنوا هرون النبي أخا موسى عليهما السلام وكانت من أعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وبينهما ألف سنة وأكثر وعن السدي كانت من أولاده والمراد أنها واحدة منهم كما يقال يا أخا هذيل أي يا واحدا منهم وقيل أراد يا رجلا (٤٤) صالحا في زمانها أي كنت عندنا مثله في الصلاح يحكى أنه تبع جنازته أربعون

ألفا فيهم هرون فلما لم ير فيهم كان يقول لكل رجل طالما عبدتني فيه وقرئ يا أخية بالتشديد بسيرة ويروى أنهم هموا برجمها (فأشارت اليه) أي أن عيسى هو الذي يحكم وسيم عرفت ذلك اما بأن كلمها في الطريق أو بالالهام أو بالوحي الى زكريا أو بقول جبريل على أن أمرها بالسكوت بعد ما سبق من الاشارة قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا السخرية بنا أشد علينا من زناها ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد) قال جار الله كان لا يقاع مضمون الجملة في زمان ماض منهم يصلح للقريب والبعيد وههنا للزمان القريب عن الحال بدلالة الحال أو هو حكاية حال ماضية أي كيف نعهد قبل عيسى أن يكلم الناس (صبيا) في المهد حتى نكلم هذا ويحتمل أن يقال كان زائدة نظرا الى أصل المعنى وان كان يفيد زيادة ارتباط مع رعاية الفاصلة أو هي تامة وصبيا حال مؤكدة وروى أنه كان يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه وتكلم مع جاره وأشار بسبابته فقال (اني عبد الله) فكان فيه أولا رد قول النصارى (آتاني الكتاب) هو الانجيل أو التوراة أي فهمها وقيل أكمل الله عقله واستنبأه طفلا بل في بطن أمه وقيل أراد أنه سبق في قضائه وجعل الآتي لا محالة كائنا قد وجد والاول أظهر وصغر الجسم لا يقدح قال في كمال العقل وخرق العادة فيه أكثر قالوا ان كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما على التحدي وهو غير جائز ولو كان نبيا في ذلك الوقت وجب ان يشتغل ببيان الشرائع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب أن بعض معجزات النبي لا بد أن يكون مقرونا بالتحدي أما الكل فممنوع وبعبارة أخرى لا بد أن يكون مقرونا بفعل خارق عن العادة ولكن كل فعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقترانه

وقد اختلف أهل العربية في حنانيك فقال بعضهم هو تثنية حنان * وقال آخرون بل هي لغة ليست بتثنية قالوا وذلك كقولهم حواليك وكما قال الشاعر * ضربا هذا ذيك وطعنا وخضا * وقد سوى بين جميع ذلك الذين قالوا حنانيك تثنية في أن كل ذلك تثنية وأصل ذلك أعني الحنان من قول القائل حن فلان الى كذا وذلك اذا ارتاح اليه واشتاق ثم يقال تحنن فلان على فلان اذا وصف بالتعطف عليه والرقة به والرحمة له كما قال الشاعر

تحنن علي هداك الملیك * فان لكل مقام مقالا

يعني تعطف علي فالحنان مصدر من قول القائل حن فلان على فلان يقال منه حننت عليه فأنا أحن عليه حنينا وحنانا ومن ذلك قيل لزوجة الرجل حنته لتحننه عليها وتعطفه كما قال الراجز

وليلة ذات دجى سريت * ولم تضرني حنة وبيت

وقوله وزكاة يقول تعالى ذكره وآتيناه يعني الحكم صبيا وزكاة وهو الطهارة من الذنوب واستعمال ذلك في طاعة ربه فالزكاة عطف على الحكم من قوله وآتيناه الحكم * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وزكاة قال الزكاة العمل الصالح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله وزكاة قال العمل الصالح الزكي حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وزكاة يعني العمل الصالح الزاكي وقوله وكان تقيا يقول تعالى ذكره وكان لله خائفا مؤديا فرائضه مجتنبا محارمه مسارعا في طاعته كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وزكاة وكان تقيا قال طهرا فلم يعمل بذنب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وزكاة وكان تقيا قال أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس ثم القول في تأويل قوله تعالى (وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) يقول تعالى ذكره وكان برا بوالديه مسارعا في طاعتهما ومحبتهما وغير عاق بهما ولم يكن جبارا عصيا يقول جل ثناؤه ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللا يأتمر لما أمر به وينتهي عما نهى عنه لا يعصي ربه ولا والديه وقوله عصيا فعيل بمعنى أنه ذو عصيان من قول القائل عصى فلان ربه فهو يعصيه عصيا وقوله وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا يقول وأمان من الله يوم ولد من أن يناله الشيطان من السوء مما ينال به بني آدم وذلك أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى ابن زكريا حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب قال ثني ابن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك حدثنا الحسن

بالتحدي وكذا الكلام في بيان الشرائع فان بعض أوقات النبي لا بد أن يقترن به التحدي دون كل أوقاته وحالاته على أنه أشار الى بعض التكاليف بقوله وأوصاني بالصلاة والزكاة كما يجيء وعن بعضهم أنه كان نبيا بقوله وجعلني نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا أنه رفيع القدر على الدرجة وضعف بأن النبي في عرف الشرع أخص من ذلك ومعنى قوله (مباركا أينما كنت) نفاعا حيثما كنت روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل معلما (ص ٤) للخير وهاديا للكثير من أهل الكتاب باختلافهم

قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله جبارا عصيا قال كان ابن المسيب يذكر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله يوم القيامة الا ذنب الا يحيى بن زكريا * قال وقال قتادة ما أذنب ولا هم بامرأة وقوله ويوم يموت ويقول وأمان من الله تعالى ذكره من فتانى القبر ومن هول المطلع ويوم يبعث حيا يقول وأمان له من عذاب الله يوم القيامة يوم الفزع الأكبر من أن يروعه شئ أو أن يفزعه ما يفزع الخلق وقد ذكر عن ابن عيينة في ذلك ما حدثني أحمد بن منصور الفسوي قال أخبرني صدقة بن الفضل قال سمعت ابن عيينة يقول أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن الحسن قال ان عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى استغفر لي أنت خير مني فقال له الآخر استغفر لي أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلها (ذ) القول في تأويل قوله تعالى (واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك خلق مريم ابنة عمران حين اعتزلت من أهلها وانفردت عنهم وهو افتعل من النبذ والنبذ الطرح وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت أي انفردت من أهلها حدثني سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال خرجت مكانا شرقيا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال خرجت مريم الى جانب المحراب لحيض أصابها وهو قوله (١) فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا في شرقي المحراب وقوله مكانا شرقيا يقول فتنحت واعتزلت من أهلها في موضع قبل مشرق الشمس دون مغربها كما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله مكانا شرقيا قال من قبل المشرق حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال ان لأعلم خلق الله لأي شئ اتخذت النصارى المشرق قبلة لقول الله فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة حدثنا ابن المثنى قال ثني عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن عباس مثله حدثني سليمان بن عبد الجبار قال أخبرنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال ان أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة الى البيت والحج لله

(١) كذا هنا وفي موضعين بعد فانتبذت والقراءة اذا انتبذت فتنبه كتبه مصححه

فيه لا يقدح في منصبه كما قيل

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتي على قدر الكرام المكارم

وما على اذا لم تفهم البقر وهذه سنة الله في أنبيائه ورسله كلهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا يروى أن مريم سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم أدفعه اليك على أن لا تضربه فقال له اكتب فقال له أي شئ أكتب فقال اكتب أبجد فقال لا أكتب شيئا لا أدري ثم قال ان لم تعلم ما هو فانا أعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من أداء الحق الى الله وقيل البركة أصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه وقيل البركة هي الزيادة والعلو فكأنه قال جعلني في جميع الاشياء غالبا منجحا الى أن يكرمني الله بالرفع الى السماء عن قتادة أنه رأته امرأة وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن حملك وثدي أرضعك فقال عيسى عليه السلام مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يك جبارا شقيا (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي بأدائهما اما في وقتهما المعين وهو وقت البلوغ واما في الحال بناء على أنه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على أداء التكاليف ويؤيده قوله ما دمت حيا وقيل الزكاة ههنا صدقة الفطر وقيل تطهير البدن من دنس الآثام وقيل أوصاني بأن أمركم بهما وفي قوله (وبرا بوالدتي) دلالة واشارة الى تبرئة أمه من الزنا والا لم يكن الرسول المعصوم مأمورا بالبر بها قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتي (ولم يجعلني جبارا شقيا) ولا تجد سيئ الملكة الا مختالا فخورا وقرأ وما ملكت أعانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا والمعاني في عن عيسى الشقاوة ولم ينف عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما ما في الخبر ما أحد من بني آدم الا أذنب أو هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومن عقائد أهل السنة أن الأنبياء معصومون

من الكبائر دون الصغائر قوله (والسلام علي) قالت العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لان النكرة اذا تكررت تعرفت على أن تعريف الجنس قريب من تنكيره وقيل ان الأول من الله والقليل عنه كثير قليل منك يكفيني ولكن * قليلك لا يقال له قليل
وانى لأرضى منك يا هند بالذى * لو أبصره الواشي لقرت بلابله بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى * وبالوعد حتى يسأم الوعد آمله

والثاني من عيسى والكثير منه لا يبلغ معشار (٤٦) سلام الله عن بعضهم أن عيسى عليه السلام قال ليحيى أنت خير مني

سلم الله عليك وسلمت على نفسي وأجاب الحسن بأن تسليمه على نفسه هو تسليم الله عليه وقال جار الله في هذا التعريف تعريض باللعنة على متهمي مريم وأعدائها من اليهود لانه اذا زعم أن جنس السلام خاصته فقد عرض بأن ضده عليهم نظيره في قصة موسى والسلام على من اتبع الهدى يعني أن العذاب على من كذب وتولى ويروى أنه كلمهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى أنهم أنكروا تكلم عيسى في المهد قائلين ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فيه وفي مناقبه وأيضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه في المهد بالغوا في قتله ودفعه في طفوليته وأجاب المسلمون من حيث العقل بأنه لو لا كلامه الذي دلهم على براءتها من الذي قذفوها به لاقاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضري كلامه قليلون فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا هناك فلذلك لم يشتغلوا وفتشوا بدفعه والله أعلم (ذلك) الموصوف بالصفات المذكورة من قوله اني عبد الله الى آخره هو (عيسى بن مريم) وفي

وما صرفهم عنهما الا قيل ربك فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال شاسعا متنحيا وقيل انها انما صارت بمكان يلي مشرق الشمس لان ما يلي المشرق عندهم كان خيرا مما يلي المغرب وكذلك ذلك فيما ذكر عند العرب وقوله فاتخذت من دونهم حجابا يقول فاتخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس وذكر عن ابن عباس أنها صارت بمكان يلي المشرق لأن الله أظلها بالشمس وجعل لها منها حجابا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قال مكانا أظلتها الشمس أن يراها أحد منهم وقال غيره في ذلك ما **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاتخذت من دونهم حجابا من الجدران وقوله فأرسلنا اليها روحنا يقول تعالى ذكره فأرسلنا اليها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا واتخذت من دونهم حجابا جبريل * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأرسلنا اليها روحنا قال أرسل اليها فيما ذكر لنا جبريل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فأرسلنا اليها روحنا قال جبريل **حدثني** محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل بن أخي وهب قال سمعت وهب بن منبه قال أرسل الله جبريل الى مريم فتمثل لها بشرا سويا **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال فلما طهرت يعني مريم من حيضها اذا هي برجل معها وهو قوله فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا يقول تعالى ذكره فتشبه لها في صورة آدمي سوي الخلق منهم يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا﴾ يقول تعالى ذكره فخافت مريم رسولنا اذ تمثل لها بشرا سويا وظنته رجلا يريدها على نفسها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال خشيت أن يكون انما يريدها على نفسها **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فتمثل لها بشرا سويا فلما رأته فزعت منه وقالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا فقالت اني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك تقول أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرمه عليك ان كنت ذا تقوى له تتقي محارمه وتجتنب معاصيه لان من كان لله تقيا فانه يجتنب ذلك ولو وجه ذلك الى أنها عنت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تتقي الله في استجارتي واستعاذتي به منك كان وجها كما **حدثنا**

في ذلك ابطال لهذه المرأة التي كونه ابنا على ما زعمت الضالة وأكد هذا المعنى بقوله (قول الحق) ابن
وبنا بالتحدي أما الكل فمصدر الله بعد كقوله كلمة الله وانتصابه على المدح وان كان بمعنى الثابت والصدق فانتصابه على انه مصدر مؤكد
لقال الله الحق وقول الحق من اضافة الموصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقد مر آنفا وارتفاعه على أنه
خبر مبتدوف ومعنى تمترون تشكون من المرية الشك أو المراد يتمارون من المراء اللجاج وذلك أن اليهود قالوا

ساحر الداب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة هم صرح ببطلان معتقدهم فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) كما لا يستقيم أن يكون له شريك وقد مر مثل هذه الآية في سورة البقرة والذي نزيده ههنا أن بعضهم قال معنى الآية ما كان الله أن يقول لأحد اتخذ ولدا لان هذا الخبر كذب والكذب لا يليق بحكمته تعالى وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير أنه ليس لله أن يفعل كل شيء لان قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد كقولنا ما كان لله أن يظلم فلا يليق شيء منها بحكمته وكمال الهيته (٤٧) وأجيب بأن الكذب على الله محال والظلم تصرف في ملك الغير فلا يتصور في حقه فان أردتم هذا المعنى فلا نزاع وان أردتم شيئا آخر فبينوا الدليل على استحالته احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وان كان محدثا احتاج في حدوثه الى قول آخر وتسلسل واستدلت المعتزلة بها على حدوث كلامه قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول متأخر عن القضاء الحدث والمتأخر عن الحدث حدث وأيضا الفاء في فيكون للتعقيب والقول متقدم عليه بلا فصل والمتقدم على الحدث بزمان قليل حدث وكلا الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما النزاع في كلام النفس وأيضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيئته والافليس ثم قول لان الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل الحاصل ومن الناس من زعم أن المراد من قوله كن هو صفة التكوين فانها زائدة على صفة القدرة لانه قادر على عوالم أخر سوى هذا وغير مكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا ومن قرأ (وان الله) بالفتح فمعناه ولان الله (ربي وربكم فاعبدوه) وفيه أن الربوبية هي سبب العبادة فمن لم تصح ربوبيته لم يستحق أن يعبد ولا رب بالحقيقة الا الله

ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن لا يتهم عن وهب بن منبه قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ولا ترى الا أنه رجل من بني آدم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر عن عاصم قال قال ابن زيد ذكر قصص مريم فقال فعلمت أن التقي ذو نهية حين قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك يقول تعالى ذكره فقال لها جبريل وحنا انما أنا رسول ربك بامر ربي أرسلني اليك لأهب لك غلاما زكيا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق غير أبي عمرو لأهب لك بمعنى انما أنا رسول ربك يقول أرسلني اليك لأهب لك غلاما زكيا على الحكاية وقرأه أبو عمرو بن العلاء ليهب لك غلاما زكيا بمعنى انما أنا رسول ربك أرسلني اليك ليهب الله لك غلاما زكيا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار وهو لأهب لك بالالف دون الياء لان ذلك كذلك في مصاحف المسلمين وعليه قراءة قديمهم وحديثهم غير أبي عمرو وغير جائز خلافهم فيما أجمعوا عليه ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم والغلام الزكي هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب غلام زال وزكى وعال وعلى * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالت أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا﴾ يقول تعالى ذكره قالت مريم لجبريل أنى يكون لي غلام من أي وجه يكون لي غلام أمن قبل زوج أتزوج فأرزقه منه أم يبتدئ الله في خلقه ابتداء ولم يمسسني بشر من ولد آدم بنكاح حلال ولم أك اذا لم يمسسني منهم أحد على وجه الحلال بغيا بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام فحملته من زنا كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولم أك بغيا يقول زانية قال كذلك قال ربك هو علي هين يقول تعالى ذكره قال لها جبريل هكذا الامر كما تصفين من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغيا ولكن ربك قال هو علي هين أي خلق الغلام الذي قلت أن أهبه لك علي هين لا يتعذر علي خلقه وهبته لك من غير فحل يفتحل لك وقوله ولنجعله آية للناس يقول ولكي نجعل الغلام الذي نهبه لك علامة وحجة على خلق أهبه لك ورحمة منا يقول ورحمة منا لك ولمن آمن به وصدقه أخلقه منك وكان أمرا مقضيا يقول وكان خلقه منك أمرا قد قضاه الله ومضى في حكمه وسابق علمه أنه كائن منك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني من لا أتهم عن وهب بن منبه وكان أمرا مقضيا أي ان الله قد عزم على ذلك فليس منه بد * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا﴾ وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنه فقيل حتى فيها من روحنا بغلام فحملته فانتبذت به مكانا قصيا وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل ابن أخي وهب بن منبه قال سمعت وهبا قال لما أرسل الله جبريل الى مريم تمثل لها بشرا سويا

لانتهاء جميع الوسائط والاسباب اليه فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة هي أن الله تعالى لا يصح أن يقول ان الله ربي وربكم فاعبدوه فالمقدر قل يا محمد بعد اظهار البراهين الباهرة على أن عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم وقال أبو مسلم الاصفهاني انه من تمة كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعن وهب بن منبه عهدا لهم حين أخبرهم عن حاله وصفته أن كلنا عبد الله تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) أي من بين أهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى اختلفوا ثم اتفقوا على أن رجعوا الى علمائهم وهم يعقوب ونسطور

وملكا فقيل للاول ما تقول فى عيسى فقال هو الله هبط الى الارض فخلق وأحيا ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثانى فقال هو ابن الله فقتا بعه جم غفير وهم النسطورية وسئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم وينام فصارا خصمه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا أربعة والرابع اسمه اسرائيل فقال هو الله وأمه اله والثلاثة أقانيم والروح واحد واعلم أن بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد يجر الكلام فيه الى

مقامات يصعب الترقى اليها فلذلك ضل فيه من ضل وزل عنه من زل والله سبحانه

أعلى من جميع ذلك وأجل (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أى من شهودهم هذا الجزاء والحساب فى ذلك اليوم أو من زمان شهودهم أو من مكان شهودهم فيه وهو الموقف ويحتمل أن يكون المشهد من الشهادة أى من يشهد عليهم الملائكة والانبياء أو جوارحهم فيه بالكفر والقبائح أو من مكان الشهادة أو وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به فى عيسى وأمه يوم ولادته ومعنى من التعليل أى الويل لهم من أجل المشهد وبسببه قال أهل البرهان انما قال ههنا فويل للذين كفروا وفى سحم الزخرف فويل للذين ظلموا لان الكفر أبلغ من الظلم وقصة عيسى فى هذه السورة مشروحة وفيها ذكر نسبتهم اياه الى الله حتى قال ما كان لله أن يتخذ من ولد فذكر بلفظ الكفر وقصتهم فى الزخرف مهملة فوصفهم بلفظ دونه وهو الظلم قلت ويحتمل أن يقال الظلم اذا أريد به الشرك كان أخص من الكفر فعم أولا ثم خصص لان البيان بالمقام الثانى أليق (أسمع بهم وأبصر) صيغتان للتعجب والمراد أن هاتين الحاستين منهم جديران بأن يتعجب منهما فى ذلك اليوم بعد ما كانوا صما وعميا فى الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشئ بسبب عظمه ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب أو من غير سبب قال بعضى

سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعى فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله أعلم بذلك منه والمعنى أنه صدر من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب فى قلوبهم وقيل معنى الآية التهديد بما سيسمعون ويبصرون مما يسوءهم وقيل أراد أسمع بهؤلاء وأبصر أى عرفهم مآل القوم الذين يأتون ما لا يعتبر وا وينزجروا

فقالت له انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ثم نفخ فى جيب درعها حتى وصلت النفخة الى الرحم فاشتملت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه اليمانى قال لما قال ذلك يعنى لما قال جبريل قال كذلك قال ربك هو على هين الآية استسلمت لأمر الله فنفخ فى جيبها ثم انصرف عنها حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال طرحت عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها فأخذ جبريل بكمها فنفخ فى جيب درعها وكانت مشقوقا من قدامها فدخلت النفخة صدرها فحملت فأتتها أختها امرأة زكريا لتزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أنى حبلى قالت مريم أشعرت أيضا أنى حبلى قالت امرأة زكريا انى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج يقولون انه انما نفخ فى جيب درعها وكمها وقوله فانتبذت به مكانا قصيا يقول فاعتزلت بالذى حملته وهو عيسى وتنحت به عن الناس مكانا قصيا يقول مكانا نائيا قاصيا عن الناس يقال هو بمكان قاص وقصى بمعنى واحد كما قال الراجز

لتقعدن مقعد القصى ✻ منى ذى القاذورة المقلى

يقال منه قصا المكان يقصو قصوا اذا تباعد وأقصيت الشئ اذا أبعدته وأخرته ✻ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فانتبذت به مكانا قصيا قال مكانا نائيا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مكانا قصيا قال قاصيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما بلغ أن تضع مريم خرجت الى جانب المحراب الشرقى منه فأتت أقصاه وقوله فأجاءها المخاض الى جذع النخلة يقول تعالى ذكره بفاء بها المخاض الى جذع النخلة ثم قيل لما أسقطت الباء منه أجاءها كما يقال أتيتك بزيد فاذا حذفت الباء قيل آتيتك زيدا كما قال جل ثناؤه آتونى زبر الحديد والمعنى ائتونى بزبر الحديد ولكن الالف مدت لما حذفت الباء وكما قالوا خرجت به وأخرجته وذهبت به وأذهبته وانما هو أفعل من المجىء كما يقال جاء هو وأجأته أنا أى جئت به ومثل من أمثال العرب «شرما أجاءنى الى محة عرقوب» وأشاء ويقال شر ما يجيئك ويشيئك الى ذلك ومنه قول زهير

وجار سار معتمدا اليكم ✻ أجاءته المخافة والرجاء

يعنى جاءه وأجاءه الينا وأشاءك من لغة تميم وأجاءك من لغة أهل العالية وانما تأول من تأول ذلك

عن الاتيان بمثل فعلهم وقال الجبائى يجوز أن يراد أسمع الناس بهؤلاء وأبصرهم ليعتبروا بسوء عاقبتهم والوجه هو الاول يؤيده قوله (لكن الظالمون) أى لكنهم فوضع المظهر موضع المضمر (اليوم) وهو يوم التكليف (فى ضلال مبين) حيث أغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد فى تحصيل الزاد للمعاد وهو (يوم الحسرة) لتحسر أهل النار فيه وقيل أهل الجنة أيضا اذا رأى الادنى مقام الاعلى والاول أصح لان هذه الخواطر لا توجد فى الجنة لانها دار السرور و (اذ) بدل من يوم الحسرة أو منصوب بالحسرة ومعنى (قضى الامر) فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد أهل الجنة فرحا الى فرح وأهل النار غما الى غم قال أرباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن أن يصير حيوانا فالمراد أنه لا موت بعد ذلك عن الحسن (وهم فى غفلة) متعلق بقوله فى ضلال مبين وقوله وأنذرهم اعتراض ويحتمل أن يتعلق بأنذرهم أى أنذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل أن يكون اظرفا لا نذر أى أنذرهم حين قضى الأمر ببيان الدلائل وشرح أمر الثواب والعقاب ثم أخبر عنهم أنهم فى غفلة (وهم لا يؤمنون) ثم قرر بقوله (انا نحن نرث) أن أمور الدنيا كلها تزول وأن الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه ﴿ التأويل واذكر فى الكتاب الاولى مريم القلب اذا انتبذت من أهلها تفردت من أهل الدنيا متوجها الى جانب شروق النور الالهى فاتخذت من دونهم حجاب الخلوة والعزلة فأرسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الربانى والخاطر الرحمانى كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت انى أعوذ بالرحمن منك ظنا منها أنه يشغلها عن الله قال انما أنا رسول الوارد الربانى لأهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانسية وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسنى بشر خاطر من عالم البشرية ولم ألك بغيا أطلب غير ما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قاصيا الافتقاره الى العبور على منازل الشريعة والطريقة فأجاءها مخاض الطلب

يعنى ألجأها لان المخاض لما جاءها الى جذع النخلة كان قد ألجأها اليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فأجاءها المخاض قال المخاض ألجأها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ألجأها المخاض قال ابن جريج وقال ابن عباس ألجأها المخاض الى جذع النخلة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأجاءها المخاض الى جذع النخلة يقول ألجأها المخاض الى جذع النخلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قال اضطرها الى جذع النخلة واختلفوا فى أى المكان الذى انتبذت مريم بعيسى لوضعه وأجاءها اليه المخاض فقال بعضهم كان ذلك بيت أدنى أرض مصر وآخر أرض الشام وذلك أنها هربت من قومها لما حملت فتوجهت نحو مصر هاربة منهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سهل قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما اشتملت مريم على الحمل كان معها قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم فكانت مريم ويوسف يخدمان فى ذلك المسجد فى ذلك الزمان وكان لخدمته فضل عظيم فرغبا فى ذلك فكانا يليان معالجته بأنفسهما تجميره وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشد اجتهادا وعبادة منهما فكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف فلما رأى الذى بها استفظعه وعظم عليه وفظع به فلم يدر على ماذا يضع أمرها فاذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة قط واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر عليها فلما اشتد عليه ذلك كلمها فكان أول كلامها أن قال لها انه قد حدث فى نفسى من أمرك أمر قد خشيته وقد حرصت على أن أميته وأكتمه فى نفسى فغلبنى ذلك فرأيت الكلام فيه أشفى لصدرى قالت فقل قولا جميلا قال ما كنت لأقول لك الا ذلك فحدثنى هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر يومئذ انما صار من الزرع الذى أنبته الله من غير بذر أولم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كل واحد منهما وحده أم تقول ان يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء ولولا ذلك لم يقدر على انباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكنى أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون قالت مريم أولم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر قال بلى فلما قالت له ذلك وقع فى نفسه أن الذى بها شئ من الله تبارك وتعالى وأنه لا يسعه أن يسألها عنه

والتجأ الى جذع النخلة وهي كامة لا اله الا الله التي كان أصلها ثابتا في أرض نفسها قالت ياليتني مت قبل هذا قال بعض أهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال علي عليه السلام يوم الجمل ياليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده أمه وقيل ان مريم قالت ذلك اعلمها بأن الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسبب تهمتها وبسبب الغلو والتقصير في حق ابنها قلت ان مريم القلب قالت ياليتني مت عن الالذات (٥٠) الجسمية قبل هذا الوقت الذي فزت بالذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الحمول راحة والشهرة آفة فناداها بلسان الحال من تحت تصرفها من آلات القوى أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك أي تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود أو جدول الكشوف والعلوم الدينية وهزي اليك بجذع النخلة بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات مالا فكلي واشربي من خوان الافضال وبحر النوال من مادته أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني وقري عينا بأنوار الجمال في حجرة الوصال فاما ترين من النوابغ البشرية أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما أي عن الالتفات لغير الله فأتت به قومها من عادة الجهال انكار أحوال أهل الكمال يا أخت هرون النفس المطمئنة أو الأمارة بناء على أن هرون كان صالحا أو طالحا ما كان أبوك وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت أمك وهي القالب بغيا تستأنس الى غير عالم الطبيعة التي خلقت لاجلها فأشارت اليه فيه أن هذا القوم هم أهل الاشارات في المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح في مريم القالب ليس ابنا لله ولا لصلاله ولا لنفسه فاختلف الاحزاب فقوم عبدوا الله لاجله وقوم عبدوه طمعا في جنته وقوم عبدوا الهوى وذلك قوله فويل للذين كفروا أسمع بهم أي بأهل الله وأبصر يوم يأتوننا فانهم بالله يسمعون وبه يبصرون ويعني بقوله واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه

وذلك لما رأى من كتمانها ذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه وذلك لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها ودأب نظرها ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك فلما دنا نفاسها أوحى الله اليها أن اخرجي من أرض قومك فانهم ان ظفروا بك غيروك وقتلوا ولدك فأفضت ذلك الى أختها وأختبأت حينئذ بلى وقد بشرت بيحيى فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خر لوجهه ساجدا معترفا بالعبد فاحتملها يوسف الى أرض مصر على حمار له ليس بينهما حين ركبت وبين الاكاف شئ فانطلق يوسف بها حتى اذا كان متاخما لأرض مصر في منقطع بلاد قومها أدركه مريم النفاس فألجأها الى آري حمار يعني مدود الحمار وأصل نخلة وذلك في زمان أحسبه بردا أو حرا «الشك من أبي جعفر» فاشتد على مريم المخاض فلما وجدت منه شدة التجأت الى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة قاموا صفوفا محدقين بها وقد روي عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا وذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما حضر ولادها يعني مريم ووجدت ما تجد المرأة من الطلق خرجت من المدينة مغربة من ايلياء حتى تدركها الولادة الى قرية من ايلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم فألجأها المخاض الى أصل نخلة اليها مدود بقرة تحتها ربيع من الماء فوضعته عندها * وقال آخرون بل خرجت لما حضر وضعها ما في بطنها الى جانب المحراب الشرقي منه فأتت أقصاه فألجأها المخاض الى جذع النخلة وذلك قول السدي وقد ذكرت الرواية به قبل حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني المغيرة بن عثمان قال سمعت ابن عباس يقول ما هي الا أن حملت فوضعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال وأخبرني المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول ليس الا أن حملت فولدت وقوله ياليتني مت قبل هذا ذكر أنها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا تقول ياليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل وكنت نسيا منسيا شيأ نسي فترك طلبه كخرق الحيض التي اذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شئ نسي وترك ولم يطلب فهو نسي ونسي بفتح النون وكسرها هما لغتان معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وبأيتهما قرأ القارئ فصيب عندنا وبالكسر قرأت عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وبالفتح قرأه أهل الكوفة ومنه قول الشاعر

كأن لها في الارض نسيا تقصه * اذا ما غدت وان تحدثك تبلت

كان نبيا حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له
اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا
نبيا وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد وكان
رسولا نبيا وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا واذكر في (٥١) الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا

عليا أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا

القراآت ربي انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بكسرها ابراهام وما بعده هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذا تتلى بالياء التحتانية وكذلك في سورة الحج قتيبة نورث بالتشديد رويس

الوقوف ابراهيم ط نبيا ٥ شيأ ٥ سويا ٥ لا تعبد الشيطان ط عصيا ٥ وليا ٥ يا ابراهيم ٥ ج وقد يوصل ويوقف على آلهتي

و يعني بقوله نسيه تطليه لانها كانت نسيته حتى ضاع ثم ذكرته فطلبته و يعني بقوله تبلت تحسن وتصدق ولو وجه النسي الى المصدر من النسيان كان صوابا وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول نسيته نسيانا ونسيا كما قال بعضهم من طاعة الرب وعصى الشيطان يعني وعصيان وكما تقول أتيته اتيانا وأتيا كما قال الشاعر

أتى الفواحش فيهم معروفة * ويرون فعل المكرمات حراما

وقوله منسيا مفعول من نسيت الشئ كأنها قالت ليتني كنت الشئ الذي ألقى فأترك ونسى * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لم أخلق ولم أك شيأ حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وكنت نسيا منسيا يقول نسيا نسي ذكري ومنسيا تقول نسي أثري فلا يرى لي أثر ولا عين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكنت نسيا منسيا أي شيأ لا يعرف ولا يذكر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله وكنت نسيا منسيا قال لا أعرف ولا يدري من أنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس نسيا منسيا قال هو السقط حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا لم أكن في الارض شيأ سقط القول في تأويل قوله تعالى ﴿فناداها من تحتها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق فناداها من تحتها بمعنى فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله فمن متأول منهم اذا قرأه من تحتها كذلك ومن متأول منهم أنه عيسى وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة فناداها من تحتها بفتح التاء من تحت بمعنى فناداها الذي تحتها على أن الذي تحتها عيسى وأنه الذي نادى أمه ذكر من قال الذي ناداها من تحتها الملك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت ابن عباس قرأ فناداها من تحتها يعني جبرائيل حدثني عبد الله بن أحمد بن يونس قال أخبرنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن ميمون الأودي قال الذي ناداها الملك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأ فناداها من تحتها حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأ فناداها من تحتها حدثنا الرفاعي قال ثنا وكيع عن أبيه عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة أنه قرأها كذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن جويبر عن الضحاك فناداها من تحتها قال جبرائيل حدثنا ابن بشار قال ثنا

سليا ٥ سلام عليك ج للابتداء بسين الاستقبال مع أن القائل واحد لذلك ربي ط حفيا ٥ وأدعو ربي ز لانقطاع النظم والوصل أولى لان عسى لطمع الاجابة فيوصل بالدعاء شقيا ٥ من دون الله لا لأن ما بعده جواب لما ويعقوب ط نبيا ٥ عليا ٥ موسى ز للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ٥ نجيا ٥ نبيا ٥ اسماعيل ز لما مر نبيا ٥ ج للآية مع العطف والزكاة ص مرضيا ٥ ادريس ز نبيا ٥ عليا ٥ مع نوح ز على تقدير ومن ذرية ابراهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية

آدم أو على اسرائيل والأصح أن الكل عطف على ذرية آدم والوقف على قوله واجتبينا لئلا يحتاج الى الحذف وليرجع ثناء السجود والبكاء الى الكل وبكيا ○ غيا ○ شيأ ○ لا بناء على أن جنات بدل من الجنة بالغيب ط مأتيا ○ سلاما ○ وعشيا ○ تقيا ○ بأمر ربك ج لاختلاف الجملتين ذلك ج لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسيا ج ○ لان ما بعده بدل أو خبر مبتدا محذوف لعبادته ط سميا ○ ﴿ التفسير ﴾ (٥٣) ان الذين أثبتوا معبودا سوى الله منهم من أثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الأوثان وكلا الفريقين ضال الا أن الفريق الثاني أضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدرجا من الاسهل الى الأصعب وانما بدأ بقصة ابراهيم عليه السلام لانه كان أبا العرب وكانوا مقرين بعلو شأنه وكمال دينه فكأنه قال لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على أبيه والمراد بذكر الرسول اما في الكتاب أن يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابراهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله (اذ قال) بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض ولما كان هذا الاعتراض صار الوقف على ابراهيم مطلقا وجوز في الكشاف أن يتعلق اذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء حين خاطب أباه تلك المخاطبات والصديق من أبنية المبالغة فهي اما مبالغة صادق لأن ملائك أمر النبوة الصدق واما مبالغة مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا أيضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه والحاصل أنه كان صادقا جدا في أقواله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله وعند الناس بحيث جعل واسطة بينه وبين عباده وقيل ان كان بمعنى صار والأصح أنه بمعنى الثبوت والاستمرار أي انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء في يا أبت عوض من ياء الاضافة وقد مر في أول سورة يوسف أورد على أبيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بالنداء المتضمن للرفق واللين امتثالا لقلب أبيه وامتثالا لأمر ربه على ما روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أوحى الله الى ابراهيم انك خليلي حسن خلقك

أبو عاصم عن سفيان عن جويبر عن الضحاك مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فناداها من تحتها أي من تحت النخلة **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فناداها جبرائيل من تحتها أن لا تحزني **حدثنا** الحسين قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فناداها من تحتها قال الملك **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فناداها من تحتها يعني جبرائيل كان أسفل منها **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فناداها من تحتها قال ناداها جبرائيل ولم يتكلم عيسى حتى أتت قومها * ذكر من قال ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فناداها من تحتها قال عيسى بن مريم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و **حدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن فناداها من تحتها ابنها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال الحسن هو ابنها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن لا يتهم عن وهب ابن منبه فناداها عيسى من تحتها أن لا تحزني **حدثني** أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن محلان عن سعيد بن جبير قوله فناداها من تحتها قال عيسى ألا تسمع الله يقول فأشارت اليه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فناداها من تحتها قال عيسى ناداها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا **حدثت** عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي بن كعب قال الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها ورد دخل من فمها * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال الذي ناداها ابنها عيسى وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل فرده على الذي هو أقرب اليه أولى من رده على الذي هو أبعد منه ألا ترى أنه في سياق قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا يعني به فحملت عيسى فانتبذت به ثم قيل فناداها انسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه ولعلة أخرى وهي قوله فأشارت اليه ولم تشر اليه ان شاء الله الا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك والذي كانت قد عرفت ووثقت بنبئه عن مخاطبتها اياها بقوله لها أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم اليه ولو كان ذلك قولا من جبرائيل لكان خليقا أن يكون في ظاهر الخبر مبينا أن عيسى سينطق ويحتج عنها للقوم وأمر منه لها بأن تشير اليه للقوم

ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري فقوله (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) منسي المفعول لامنويه فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة أو موصوفة أي الذي لا يسمع أو معبودا لا يسمع و(شيأ) مفعول به من قوله أغن عني وجهك أي ادفعه ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي شيأ من الاغناء وعلى هذا يجوز أن يقدر نحوه مع الفعلين السابقين أي لا يسمع شيأ من السماع الى آخره وحاصل الدليل أن العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها

للقوم اذا سألوها عن حالها وحاله فاذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بينا فبين أن كلتا القراءتين أعني من تحتها بالكسر ومن تحتها بالفتح صواب وذلك أنه اذا قرئ بالكسر كان في قوله فناداها ذكر من عيسى واذا قرئ من تحتها بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى فتأويل الكلام اذا فناداها المولود من تحتها أن لا تحزني يا أمه قد جعل ربك تحتك سريا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فناداها من تحتها أن لا تحزني قالت وكيف لا أحزن وأنت معي لا أنا تزوج فأقول من زوج ولا مملوكة فأقول من سيدي أي شيء عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام * واختلف أهل التأويل في المعني بالسري في هذا الموضع فقال بعضهم عني به النهر الصغير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول حدثني ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول في هذه الآية قد جعل ربك تحتك سريا قال الجدول حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قد جعل ربك تحتك سريا وهو نهر عيسى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال السري النهر الذي كان تحت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سريا حدثني أبو حصين قال ثنا يحيى قال ثنا حصين عن عمرو بن ميمون الأودي قال في هذه الآية قد جعل ربك تحتك سريا قال السري نهر يشرب منه حدثنا يعقوب وأبو كريب قالا ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن ميمون في قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال هو الجدول حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سريا قال نهر بالسريانية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج نهرا الى جنبها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن في قوله قد جعل ربك تحتك سريا قال كان سريا فقال محمد بن عبد الرحمن ان السري الجدول فقال غلبتنا عليك الأعراب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن سعيد بن جبير قد جعل ربك تحتك سريا قال هو الجدول النهر الصغير وهو بالنبطية سري حدثني أبو حميد الحمصي قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا محمد بن مهاجر عن ثابت بن عجلان قال سألت سعيد بن جبير عن السري قال نهر حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال النهر الصغير حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال هو النهر الصغير يعني الجدول يعني

الأشرف الموجودات لا أخسها وهو الجماد غاية عذرهم عن ذلك هي أنها تماثيل أشياء يتصور نفعها أو ضرها كالكواكب وغيرها فيقال لهم أليس الكواكب وسائر الممكنات تنتهي في الاحتياج الى واجب الوجود فاذا جعل شيء من هذه الاشياء معبودا فقد شورك الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسائط من البين أدخل في الاخلاص وأقرب الى الخلاص وقوله (يا أبت اني قد جاءني) تنبيه ونصيحة وفيه أن هذا العلم تجدد له حصوله فيكون أقرب الى التصديق وفي قوله (من العلم مالم يأتك) فائدة هي أنه لم يسم أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب أنا في مفازة وعندي معرفة بالدلالة دونك (فاتبعني أهدك صراطا سويا) مستويا موديا الى المقصود وهو صلاح المعاش والمعاد استدل أرباب التعليم بالآية بأنه لا بد من الاتباع وأجيب بأنه لا يلزم من اتباع النبي اتباع غيره والانصاف أن هذا الطريق أسهل ثم أكد المعنى المذكور بنصيحة أخرى زاجرة عما هو عليه فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه لان عبادة الاصنام هي طاعة الشيطان ثم أسقط حصة نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لبني آدم بل قدم حق ربه فقال (ان الشيطان كان للرحمن عصيا) حين ترك أمره بالسجود عنادا واستكبارا لا نسيانا وخطأ نبه بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وأن الرحمن مصدر كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوي وهذا القدر كاف من التنبيه لمن تأمل وأنصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال (يا أبت اني أخاف) وفيه مع التخويف من سوء العاقبة أنواع من الادب اذ ذكر الخوف والمس ونكر العذاب قال الفراء معنى أخاف أعلم والأكثرون على أنه محمول

قوله قد جعل ربك تحتك سريا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال جدول صغير بالسريانية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله تحتك سريا الجدول الصغير من الانهار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قد جعل ربك تحتك سريا والسري هو الجدول تسميه أهل الحجاز حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر في قوله سريا قال هو جدول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قد جعل ربك تحتك سريا يعني ربيع الماء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قد جعل ربك تحتك سريا والسري هو النهر * وقال آخرون عني به عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قد جعل ربك تحتك سريا والسري عيسى نفسه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قد جعل ربك تحتك سريا يعني نفسه قال وأي شيء أسرى منه قال والذين يقولون السري هو النهر ليس كذلك النهر لو كان النهر لكان انما يكون الى جنبها ولا يكون النهر تحتها * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عني به الجدول وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها وقال لها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي من هذا الرطب واشربي من هذا الماء وقري عينا بولدك والسري معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ومنه قول لبيد

فتوسطا عرض السري وصدعا * مسجورة متجاورا قلامها

ويروى(١) مسجورة وروى أيضا فغادرا وقوله وهزي اليك بجذع النخلة ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا وأمرها أن تهزه وذلك في أيام الشتاء وهزها اياه كان تحريكه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهزي اليك بجذع النخلة قال حركيها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وهزي اليك بجذع النخلة قال كان جذعا يابسا فقال لها هزيه تساقط عليك رطبا جنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقول كانت نخلة يابسة حدثني محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثني عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهب بن منبه يقول في قوله وهزي اليك بجذع النخلة فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وهزي اليك بجذع النخلة وكان جذعا منها مقطوعا فهزته فاذا هو نخلة وأجرى لها في المحراب نهر فتساقطت النخلة رطبا جنيا فقال لها كلي واشربي وقري عينا * وقال آخرون بل معنى ذلك وهزي اليك النخلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان

(١) كذا في نسخة الخط بغير نقط ولم نقف على هذه الرواية فحررها كتبه مصححه

على ظاهره لان ابراهيم عليه السلام لم يكن جازما بموت أبيه على الكفر والالم يشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى ذلك الغير مع تألم قلبه من ذلك كما يقال أنا خائف على ولدي وذكروا في الولي وجوها منها أنه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار والمعية سبب الولاية أو مسببها غالبا واطلاق أحدهما على الآخر مجاز وليس هنالك ولاية حقيقية لقوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو اني كفرت بما أشركتمون من قبل ومنها أن يحمل العذاب على الخذلان ومنها أن الولي بمعنى التالي والتابع قال جار الله جعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة أتباعه وأوليائه أكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان في مقابلة رضا الرحمن وقال عز من قائل ورضوان من الله أكبر واذا كان رضوان الله أكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان أعظم من عذاب النار ثم ان الشيخ قابل ملاطفات ابراهيم بالفظاظة والغلظة قائلا (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) فقدم الخبر على المبتدا اشعارا بأنه عنده أعنى وفي هذا الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وفي قوله يا ابراهيم دون أن يقول يا بني في مقابلة يا أبت تهاون به كيف لا وقد صرح بالاهانة قائلا (لئن لم تنته لأرجمنك) باللسان أي لأشتمنك أو باليد أي لأقتلنك وأصله الرمي بالرجام ثم ههنا اضمار أي فاحذرني (واهجرني مليا) أي زمانا طويلا من الملاوة أو أراد مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل أن أثخنك بالضرب فلما رأى ابراهيم اصرار أبيه على التمرد والجهالة (قال سلام عليك) يعني سلام توديع ومتاركة كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه أن متاركة المنصوح اذا ظهر منه آثار اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل أن يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له ورفقا به بدليل قوله (سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا) بليغا في البر والالطاف وقد مر في آخر الأعراف احتج بالآية بعض من طعن في عصمة الأنبياء قال انه استغفر لأبيه الكافر وهو منهي عنه لقوله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ولقوله في الممتحنة قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الاقول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التأسي به والجواب لعل ابراهيم عليه السلام في شرعه لم يجد ما يدل على القطع بتعذيب الكافر أو لعل هذا الفعل منه من باب ترك الأولى أو لعل الاستغفار بمعنى الاستبطاء كقوله قل الذين

منوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله والمعنى سأسأل ربي أن لا يخزيك بكفرك مادمت حيا والجواب في الحقيقة ما مر في آخر سورة التوبة في قوله عز من قائل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمنع من التأسي لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من خصائصه كما أن كثيرا من الأمور كانت مباحة للرسول صلى الله عليه وسلم وهي محرمة علينا ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال (وأعتزلكم) أي أهاجر الى الشام (و) أعتزل (ما تدعون) أي ما تعبدون (من دون الله) وقد يعبر بالدعاء عن العبادة لانه منها ومن وسائطها يدل على هذا التفسير قوله فلما اعتزلهم وما يعبدون أما قوله (وأدعو ربي) فيحتمل معنيين العبادة والدعاء كما يجيء في سورة الشعراء وفي قوله (عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا) تعريض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد من لفظة عسى قال العلماء ما خير على الله أحد فان ابراهيم لما ترك أباه الكافر وقومه فرارا بدينه عوضه الله أولادا مؤمنين أنبياء وذلك قوله (ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم) شيأ (من رحمتنا) عن الحسن هي النبوة وعن الكلبي المال والولد والأظهر أنها عامة في ذلك كل خير ديني ودنيوي ولسان الصدق الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية وقدم تحقيق الاضافة في أول يونس في قوله قدم صدق تبرأ ابراهيم من أبيه ابتغاء مرضاة الله فسماه الله أبا المؤمنين ملة أبيكم ابراهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم وأسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا وسلاما وأشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فأشركه الله في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلوات الخمس وفي حق سارة كما قال تعالى وابراهيم الذي وفى فجعل موطئ قدمه مباركا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله حين قال فانهم عدو لي إلا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم في قصة ابراهيم بقصة موسى عليه السلام لأنه تلوه في الشرف والمخلص بكسر اللام الذي أخلص العبادة عن الشرك والرياء وأخلص وجهه لله وبالفتح الذي أخلصه الله و (كان رسولا نبيا) الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الأعم قبل الاخص الا أن رعاية الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله

قال قال مجاهد في قوله وهزي اليك بجذع النخلة قال النخلة **حدثني** ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عيسى بن ميمون عن مجاهد في قوله وهزي اليك بجذع النخلة قال العجوة **حدثني** يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن ميمون أنه تلا هذه الآية وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قال فقال عمرو ما من شئ خير للنفساء من التمر والرطب وأدخلت الباء في قوله وهزي اليك بجذع النخلة كما يقال زوجتك فلانة وزوجتك بفلانة وكما قال تنبت بالدهن يعني تنبت الدهن وانما تفعل العرب ذلك لأن الافعال يكنى عنها بالباء فيقال اذا كنيت عن ضربت عمرا فعلت به وكذلك كل فعل فلذلك تدخل الباء في الافعال وتخرج فيكون دخولها وخروجها بمعنى فمعنى الكلام وهزي اليك جذع النخلة وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك وهزي اليك رطبا بجذع النخلة بمعنى على جذع النخلة وجها صحيحا ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك ومن الشاهد على دخول الباء في موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر

بواد يمان ينبت السدر صدره * وأسفله بالمرخ والشبهان

واختلف القراء في قراءة قوله تساقط فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة تساقط بالتاء من تساقط وتشديد السين بمعنى تتساقط عليك النخلة رطبا جنيا (١) ثم تدغم احدى التاءين في الأخرى فتشدد وكأن الذين قرؤا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام الى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط النخلة عليك رطبا وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة تساقط بالتاء وتخفيف السين ووجه معنى الكلام الى مثل ما وجه اليه مشددوها غير أنهم خالفوهم في القراءة وروى عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك يساقط بالياء **حدثني** بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا يزيد عن جرير بن حازم عن أبي اسحق قال سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك وكأنه وجه معنى الكلام الى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط الجذع عليك رطبا جنيا وروى عن أبي نهيك أنه كان يقرؤه تسقط بضم التاء واسقاط الألف **حدثنا** بذلك ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرؤه كذلك وكأنه وجه معنى الكلام الى تسقط النخلة عليك رطبا جنيا

* قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان هذه القراآت الثلاث أعني تساقط بالتاء وتشديد السين وبالتاء وتخفيف السين وبالياء وتشديد السين قراآت متقاربات المعاني فبأي قرأ بكل واحدة منهن قراء أهل معرفة بالقرآن فبأي ذلك قرأ القارئ فقد أصاب الصواب فيه وذلك أن الجذع اذا تساقط رطبا وهو ثابت غير مقطوع فقد تساقطت النخلة رطبا واذا تساقطت النخلة رطبا فقد تساقطت النخلة بأجمعها جذعها وغير جذعها وذلك أن النخلة ما دامت قائمة على أصلها فانما هي جذع وجريد وسعف فاذا قطعت صارت جذعا فالجذع الذي أمرت مريم بهزه لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعا مقطوعا غير الذي وقد زعم أنه عاد بهزها اياه نخلة فقد

(١) عبارة الجلالين بتاءين قلبت الثانية سينا وأدغمت في السين فتأمل كتبه مصححه

في طه برب هرون وموسى (الايمن) من اليمن أي من ناحية اليمنى من موسى أو هو من اليمن صفة للطور أو للجانب (وقربناه) حال كونه (نجيا) أي مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن أبي العالية أن التقريب حسي قربه حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة والأول أظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب وللملائكة انهم مقربون (ووهبنا له من رحمتنا) أي من أجلها أي بعض رحمتنا فيكون (أخاه) بدلا وهرون عطف بيان كقولك رأيت رجلا أخا لك زيدا و(نبيا) حال من هرون قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى فتنصرف الهبة الى معاضدته ومؤازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من أهلي وخص اسمعيل بن ابراهيم بصدق الوعد وان كان الانبياء كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله أو الناس لانه المشهور المتواصف من خصاله من ذلك أنه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد صاحبه الى أي وقت ينتظره فقال اذا واعدته في وقت الصلاة فانتظره الى وقت صلاة أخرى وكان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء بالاحسان الديني والدنيوي بمن هو أقرب أولى قوا أنفسكم وأهليكم نارا أبدا بمن تعول ويحسن أن يقال أهله أمته كلهم أقارب أو أباعد من حيث انه يلزمه في جميعهم ما يلزم المرء في أهله خاصة من قضاء حقوق النصيحة والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلاة الصلوات المفروضة والمندوبة كصلاة التهجد وغيرها وأما الزكاة فالأقرب أنها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس أنها طاعة الله والاخلاص لان فاعلها يزكو بها عند الله وأما ادريس فالأصح أنه اسم عجمي بدليل منع الصرف كما مر مرارا في آدم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل معناه بالأعجمية قريب من الدراسة فظنه القائل مشتقا منها وفي رفعته أقوال منها أن المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل عليه ثلاثون صحيفة وهو أول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب

صار معناه ومعنى من قال كان المتساقط عليها رطبا نخلة واحدا فتبين بذلك صحة ما قلناه وقوله جنيا يعني مجنيا وانما كان أصله مفعولا فصرف الى فعيل والمجني المأخوذ طريا وكل ما أخذ من ثمرة أو نقل من موضعه بطراوته فقد اجتنى ولذلك قيل فلان يجتني الكمأة ومنه قول ابن أخت جذيمة

هذا جناي وخياره فيه ✻ اذ كل جان يده الى فيه

✻ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فكلي واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا﴾ يقول تعالى ذكره فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك واشربي من ماء السري الذي جعله ربك تحتك ولا تخشي جوعا ولا عطشا وقري عينا يقول وطيبي نفسا وافرحي بولادتك اياي ولا تحزني ونصبت العين لانها هي الموصوفة بالقرار وانما معنى الكلام ولتقر عينك بولدك ثم حول الفعل عن العين الى المرأة صاحبة العين فنصبت العين اذ كان الفعل لها في الاصل على التفسير نظير ما فعل بقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وانما هو فان طابت أنفسهن لكم وقوله وضاق بهم ذرعا ومنه قوله يساقط عليك رطبا جنيا انما هو يساقط عليك رطب الجذع فحول الفعل الى الجذع في قراءة من قرأه بالياء وفي قراءة من قرأه تساقط بالتاء معناه يساقط عليك رطب النخلة ثم حول الفعل الى النخلة * وقد اختلفت القراء في قراءة قوله وقري فأما أهل المدينة فقرؤه وقري بفتح القاف على لغة من قال قررت بالمكان أقر به وقررت عينا أقر به قرورا وهي لغة قريش فيما ذكر لي وعليها القراءة وأما أهل نجد فانها تقول قررت به عينا أقر به قرارا وقررت بالمكان أقر به فالقراءة على لغتهم وقري عينا بكسر القاف والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف وقوله فاما ترين من البشر أحدا يقول فان رأيت من بني آدم أحدا كائنا من كان أو يسألك عن شئ من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتكه فقولي اني نذرت للرحمن صوما يقول فقولي اني أوجبت على نفسي لله صمتا أن لا أكلم أحدا من بني آدم اليوم فلن أكلم اليوم انسيا * وبنحو الذي قلنا في معنى الصوم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمن عن أبيه قال سمعت أنس بن مالك يقول في هذه الآية اني نذرت للرحمن صوما صمتا حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني المغيرة بن عثمان قال سمعت أنس بن مالك يقول اني نذرت للرحمن صوما قال صمتا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اني نذرت للرحمن صوما قال يعني بالصوم الصمت حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمي قال سمعت أنسا قرأ اني نذرت للرحمن صوما وصمتا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة اني نذرت للرحمن صوما أما قوله صوما فانها صامت من الطعام والشراب والكلام حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت

ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه أخنوخ من أجداد نوح لانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس ولهم نوادر فى المخارج طوالع المواليد ينسبونه اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى الجنة وهو حى لم يمت * وقال آخرون رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل من الملائكة فسأله أن يكلم ملك الموت حتى يؤخر قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان فى السماء (٥٧) الرابعة اذا عملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس فى السماء الرابعة وأنا أقول كيف ذلك وهو فى الارض فالتفت ادريس فرأى ملك الموت فقبض روحه هناك وعن ابن عباس أنه رفع الى السماء السادسة وعن الحسن المراد أنه رفع الى الجنة ولا شئ أعلى منها (أولئك) المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم (الذين أنعم الله عليهم من النبيين) من للبيان لان جميع الانبياء منعم عليهم (من ذرية آدم) هى للتبعيض وكذا فى قوله (وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل) والمراد بمن هو من ذرية آدم ادريس لقربه منه وبذرية من حمل مع نوح ابراهيم عليه السلام لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابراهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم لان مريم من ذريته (وممن هدينا) يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفى هذا الترتيب تنبيه على أن هؤلاء الانبياء اجتمع لهم مع كمال الأحساب شرف الأنساب وأن جميع ذلك بواسطة هداية الله وبمزيد اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت الذين خبرا لأولئك كان اذا يتلى كلاما مستأنفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت فى الوقوف سائر الوجوه من قرأ يتلى بالتذكير لان تأنيث الآيات غير حقيقى والفاصل حاصل والبكى جمع باك فعول كسجود فى ساجد أبدلت الواو ياء وأدغمت وكسر ما قبلها للمناسبة ومن زعم أنه مصدر فقد سها لانها قرينة سجدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال أبو مسلم أراد بالآيات التى فيها ذكر العذاب وقال غيره اطلاق الآيات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل آية اذا فكر فيها المفكر صح أن يسجد عندها ويبكى قلت لعل المراد بآيات الله ما خصهم الله تعالى به من الكتب المنزلة لان القرآن حينئذ لم يكن منزلا

سمعت الضحاك يقول فى قوله نذرت للرحمن صوما قال كان من بنى اسرائيل من اذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام إلا من ذكر الله فقال ذلك لها الذلك فقالت انى أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام إلا من ذكر الله فلما كلموها أشارت اليه فقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فأجابهم فقال انى عبد الله آتانى الكتاب حتى بلغ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون * واختلفوا فى السبب الذى من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر فقال بعضهم أمرها بذلك لانه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة وذلك أنها جاءت وهى أيم بولد فأمرت بالكف عن الكلام ليكفيها الكلام ولدها ذكر من قال ذلك **حدثنا** هرون بن اسحق الهمدانى قال ثنا مصعب ابن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة قال كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك فقال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها أنها حملت من غير زوج يعنى بذلك مريم عليها السلام **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم لا تحزنى قالت وكيف لا أحزن وأنت معى لا ذات زوج ولا مملوكة أى شئ عذرى عند الناس يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى أنا أكفيك الكلام فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا قال هذا كله كلام عيسى لأمه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فانى سأكفيك الكلام * وقال آخرون انما كان ذلك آية لمريم وابنها ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله انى نذرت للرحمن صوما قال فى بعض الحروف صمتا وذلك أنك لا تلقى امرأة تقول نذرت كما نذرت مريم الا تكلم يوما الى الليل وانما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها ولا يحل لأحد أن ينذر صمت يوم الى الليل **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقرأ انى نذرت للرحمن صوما وكانت تقرأ فى الحرف الاول صمتا وانما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها * وقال آخرون بل كانت صائمة فى ذلك اليوم والصائم فى ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس فأذن لمريم فى قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهى صائمة ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاما ترين من البشر أحدا يكلمك فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فكان من صام فى ذلك الزمان لم يتكلم حتى عيسى فقيل لها الا تزيدى على هذا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا ﴿يقول تعالى ذكره فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها وسلمت لأمر الله وحملته حتى أتت به قومها كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة

واختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلاة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا به ويحتمل أنهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا منتهيين للسجود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن بحزن فانه نزل بحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وقالت العلماء يدعو في سجدة التلاوة بما

يليق بها فان قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسجدين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ ما في هذه السورة قال اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك ولما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا لغيرهم في سيرتهم وصف أضدادهم لتنفير الناس عن طريقتهم قائلا (فخلف من بعدهم خلف) وهو عقب السوء كما مر في آخر الأعراف فاضاعة الصلاة في مقابلة الخرور سجدا واتباع الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابراهيم النخعي وجاهد أضاعوها بالتأخير وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور وليس المشهور وعن قتادة هو في هذه الأمة (فسوف يلقون غيا) قال جار الله كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف أي جزاء غي كقوله يلق أثاما أي مجازاة أثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه أودية جهنم واحتج بعضهم بقوله (الا من تاب وآمن) على أن تارك الصلاة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب أنه اذا كان المذكورون هم الكفرة أو اليهود كما روينا عن ابن عباس سقط الاستدلال بالنبي واحتجت الأشاعرة في أن العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير وأجاب الكعبي بأنه عطف الايمان على التوبة مع أنها من الايمان، ومنع من أن التوبة من الايمان ولكنها شرطه لانها العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف ههنا وقال في الفرقان وعمل عملا صالحا لانه أوجز في ذكر المعاصي فأوجز في التوبة وأطال هناك فأطال هناك وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره ويؤمن

عن ابن سحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال أنساها يعني مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى حتى اذا كلمها يعني عيسى وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به الى قومها * وقال السدي في ذلك ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بني اسرائيل أن مريم قد ولدت فأقبلوا يشتدون فدعوها فأتت به قومها تحمله وقوله قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا يقول تعالى ذكره فلما رأوا مريم ورأوا معها الولد الذي ولدته قالوا لها يا مريم لقد جئت بأمر عجيب وأحدثت حدثا عظيما وكل عامل عملا أجاده وأحسنه فقد فراه كما قال الراجز

قد أطعمتني دقلا جريا * قد كنت تفرين به الفريا

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى فريا قال عظيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد جئت شيأ فريا قال عظيما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي لقد جئت شيأ فريا قال عظيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال لما رأوها ورأوه معها قالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا أي الفاحشة غير المقاربة * القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا﴾ اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها يا أخت هرون ومن كان هرون هذا الذي ذكر الله وأخبر أنهم نسبوا مريم الى أنها أخته فقال بعضهم قيل لها يا أخت هرون نسبة منهم لها الى الصلاح لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون هرون وليس بهرون أخي موسى ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يا أخت هرون قال كان رجلا صالحا في بني اسرائيل يسمى هرون فشبهوها به فقالوا يا شبيهة هرون في الصلاح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هرون رجلا صالحا فشبهوها به في عشيرته وليس بهرون أخي موسى ولكنه هرون آخر قال وذكر لنا أنه شيع بجنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمون هرون من بني اسرائيل حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن كعبا قال ان قوله يا أخت هرون ليس بهرون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت قال يا أم المؤمنين ان كان

ولم يدخل بعد وقت الصلاة أو كانت المرأة حائضا ثم مات فهو من أهل النجاة مع أنه لم يعمل صالحا ومعنى (لا يظلمون شيأ) لا ينقصون شيأ من جزاء أعمالهم بل يضاعف لهم تفضلا تنبيها على أن تقدم الكفر لا يضرهم بعد أن يتوبوا ويحتمل أن ينتصب شيأ على المصدر أي شيأ من الظلم ومعنى (جنات عدن) قدم في سورة التوبة في قوله ومساكن طيبة في جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلاف ما عليه جنات الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها ويحتمل انتصابها على (٥٩) الاختصاص وكذا انتصاب التي قال جار الله عدن علم معنى العدن وهو الاقامة وهو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي ومعنى (بالغيب) مع الغيبة أي وعدوها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها أو الباء للسببية أي وعدها عباده بسبب تصديق الغيب والايمان به خلاف حال المنافقين وقوله (انه كان وعده مأتيا) بالاولى أنسب وهو مفعول بمعنى فاعل أو على أصله لان ما أتاك فقد أتيته وجوز في الكشاف أن يكون من قولك أتى الليل أحمانا أي كان وعده منجزا قوله (الا سلاما) استثناء متصل على التأويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم في يمين اللغو في البقرة وفي المائدة أي ان كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عتابك السيف أو استثناء منقطع أي لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز أن يكون متصلا بتأويل آخر وهو أن معنى السلام الدعاء بالسلامة وأهل دار السلام عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وفي الآية تنبيه ظاهر على وجوب اتقاء اللغو حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما أحبوه في الدنيا فلذلك ذكر أساور من الذهب والفضة ولبس الحرير التي كانت للعجم والارائك التي هي الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة أشراف اليمن ولا شئ كان أحب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك قائلا (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير أي يأكلون على مقدار الغداة والعشي

النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر والا فاني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكت **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أخت هرون قال اسم رجل اسما كهم بين هرون وبينها من الأمم أمم كثيرة **حدثنا** أبو كريب وابن المثنى وسفيان وابن وكيع وأبو السائب قالوا ثنا عبد الله بن ادريس الأودي قال سمعت أبي يذكر عن سمالك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل نجران فقالوا الى ألستم تقرؤن يا أخت هرون قلت بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن سمالك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبة قال أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم في بعض حوائجه الى أهل نجران فقالوا أليس نبيكم يزعم أن هرون أخو مريم هو أخو موسى فلم أدر ما أرد عليهم حتى رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء من كان قبلهم * وقال بعضهم عنى به هرون أخو موسى ونسبت مريم الى أنها أخته لانها من ولده يقال للتميمي يا أخا تميم وللمضري يا أخا مضر ذكر من قال ذلك **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي يا أخت هرون قال كانت من بني هرون أخي موسى وهو كما تقول يا أخا بني فلان * وقال آخرون بل كان ذلك رجلا منهم فاسقا معلن الفسق فنسبوها اليه * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه وأنها نسبت الى رجل من قومها وقوله ما كان أبوك امرأ سوء يقول ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش وما كانت أمك بغيا يقول وما كانت أمك زانية كما **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وما كانت أمك بغيا قال زانية وقال وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لان ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال فجرى مجرى امرأة حائض وطالق وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم ملحفة جديد وامرأة قتيل ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا﴾ يقول تعالى ذكره فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم ثم أشارت لهم الى عيسى أن كلموه كما **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لما قالوا لها ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا قالت لهم ما أمرها الله به فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت اليه الى عيسى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأشارت اليه قال أمرتهم بكلامه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه فأشارت اليه يقول أشارت اليه أن كلموه **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فأشارت اليه أن كلموه وقوله قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا يقول تعالى ذكره قال قومها لها كيف نكلم من وجد في المهد وكان

العشى وقيل أراد دوام الرزق كما تقول أنا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله (تلك الجنة التى نورث) كقوله فى الاعراف ونودوا أن تلكموا الجنة أورثتموها وهى استعارة أى تبقى عليهم الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث منه . قال القاضى فى الآية دلالة على أن الجنة تختص بدخولها من كان متقيا غير مرتكب للكبائر وأجيب بمنع الاختصاص وبأنه يصدق على صاحب الكبيرة أنه اتقى الكفر * سئل ههنا ان قوله تعالى (٦٠) تلك الجنة التى نورث كلام الله وقوله بعده وما نتنزل الا بأمر ربك خطاب ليس من كلام الله فما وجه العطف بينهما وأجيب بأنه اذا كانت القرينة ظاهرة لم يقبح فظاهر قوله وما نتنزل الا بأمر ربك خطاب جماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول كما روى أن قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم وهل يجدونه فى كتابهم فسألوا النصارى فزعموا أنهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده فى كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رحمان اليمامة عن خصال ثلاث فلم يعرف فاسألوه عنهن فان أخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فاسألوه عن فتية أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه أربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل جبرائيل عليه السلام فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أبطأت عنى حتى ساءظنى واشتقت اليك قال كنت أشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأنزل الله الآية وأنزل قوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا وسورة الضحى ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل أى نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بأمر الله عز وجل ثم أكد جبرائيل ما ذكره بقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا) من الجهات والاماكن أو من الأزمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من المكان والزمان الذى نحن فيه فلا نتمالك أن ننتقل من جهة الى جهة أو من زمان الى زمان الا بأمر ربك ومشيئته وقيل له ما سلف من أمر الدنيا وما يستقبل من أمر الآخرة (وما بين ذلك) وهو ما بين النفختين أربعون سنة وقيل ما مضى من أعمارنا وما نبرمنها والحال التى نحن فيها أو ما قبل وجودنا وبعد فنائنا وقيل الارض التى بين أيدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بين

فى قوله من كان فى المهد صبيا معناها التمام لا التى تقتضى الخبر وذلك شبيه المعنى بكان التى فى قوله هل كنت إلا بشرا رسولا وانما معنى ذلك هل أنا الا بشر رسول وهل وجدت أو بعثت وكما قال زهير بن أبى سلمى (١) أجرت اليه حرة أرحبية * وقد كان لون الليل مثل الارندج

يعنى وقد صار أو وجد وقيل انه عنى بالمهد فى هذا الموضع حجر أمه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كان فى المهد صبيا والمهد الحجر * قال أبو جعفر وقد بينا معنى المهد فيما مضى بشواهده فأغنى عن اعادته فى هذا الموضع * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا﴾ يقول تعالى ذكره فلما قال قوم مريم لها كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم قال عيسى لهم متكلما عن أمه انى عبد الله آتانى الكتاب وكانوا حين أشارت لهم الى عيسى فيما ذكر عنهم غضبوا كما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما أشارت لهم الى عيسى غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حين أمرنا أن نكلم هذا الصبى أشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا فأجابهم عيسى عنها فقال لهم انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال لهم انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا فقر أحتى بلغ ولم يجعلنى جبارا شقيا فقالوا ان هذا لأمر عظيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال انى عبد الله لم يتكلم عيسى الا عند ذلك حين قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وقوله آتانى الكتاب يقول القائل أوآتاه الكتاب والوحى قبل أن يخلق فى بطن أمه فان معنى ذلك بخلاف ما يظن وانما معناه وقضى يوم قضى أمور خلقه الى أن يؤتينى الكتاب كما حدثنى بشر ابن آدم قال ثنا الضحاك يعنى ابن مخلد عن سفيان عن سماك عن عكرمة قال آتانى الكتاب قال قضى أن يؤتينى الكتاب فيما مضى حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا سفيان عن سماك عن عكرمة فى قوله انى عبد الله آتانى الكتاب قال القضاء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة فى قول الله انى عبد الله آتانى الكتاب قال قضى أن يؤتينى الكتاب وقوله وجعلنى نبيا وقد بينت معنى النبى واختلاف المختلفين فيه والصحيح من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته وكان مجاهد يقول فى معنى النبى وحده ما حدثنا به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا

---

(١) الذى فى ديوان زهير زجرت عليه قال شارحه أى على الطريق فتأمل كتبه مصححه

السماء والارض وعلى الأقوال فالمراد أنه المحيط بكل شئ لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف يقدم على فعل الا بأمره وقال أبو مسلم فى وجه النظم ان قوله وما نتنزل من قول أهل الجنة لمن يحضرتهم أى ما ننزل الجنة الا بأمر ربك أما قوله (وما كان ربك نسيا) فعلى القول الاول معناه أنه ما كان امتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياكم لقوله ما ودعك ربك وما قلى وعلى قول غير أبى مسلم هو تأكيد لاحاطته تعالى بجميع الاشياء وأنه لا يجوز عليه أن ينسى وعن شئ ما البتة (٦١) وعلى قول أبى مسلم المراد أنه ليس ناسيا الاعمال

الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال النبى وحده الذى يكلم وينزل عليه الوحى ولا يرسل وقوله وجعلنى مباركا اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه وجعلنى نفاعا ذكر من قال ذلك حدثنى سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحى قال ثنا العلاء عن عائشة امرأة ليث عن ابن عن مجاهد وجعلنى مباركا قال نفاعا * وقال آخرون كانت بركته الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ذكر من قال ذلك حدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومى قال سمعت وهيب بن الورد مولى بنى مخزوم قال لقى عالم عالما هو فوقه فى العلم فقال له يرحمك الله ما الذى أعلن من على قال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فانه دين الله الذى بعث به أنبياءه الى عباده وقد اجتمع الفقهاء على قول الله وجعلنى مباركا أينما كنت وقيل مباركته قال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أينما كان * وقال آخرون معنى ذلك جعلنى معلم الخير ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال ثنا سفيان فى قوله وجعلنى مباركا أينما كنت قال معلما للخير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد قوله وجعلنى مباركا أينما كنت قال معلما للخير حيثما كنت وقوله وأوصانى بالصلاة والزكاة يقول وقضى أن يوصينى بالصلاة والزكاة يعنى بالمحافظة على حدود الصلاة واقامتها على ما فرضها على وفى الزكاة معنيان أحدهما زكاة الاموال أن يؤديها والآخر تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه وأوصانى بترك الذنوب واجتناب المعاصى وقوله ما دمت حيا يقول ما كنت حيا فى الدنيا موجودا وهذا يبين عن أن معنى الزكاة فى هذا الموضع تطهير البدن من الذنوب لأن الذى يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدخر شيأ لغد فتجب عليه زكاة المال الا أن تكون الزكاة التى كانت فرضت عليه الصدقة بكل ما فضل عن قوته فيكون ذلك وجها صحيحا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل عيسى للقوم وجعلنى مباركا وبرا أى جعلنى برا بوالدتى والبر هو البار يقال هو بر بوالده وبار به وبفتح الباء قرأت هذا الحرف قراء الامصار وروى عن أبى نهيك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن أبى نهيك أنه قرأ وبرا بوالدتى من قول عيسى عليه السلام قال أبو نهيك أوصانى بالصلاة والزكاة وبالبر بالوالدين كما أوصانى بذلك فكأن أبا نهيك وجه تأويل الكلام الى قوله وبرا بوالدتى هو من خبر عيسى عن وصية الله اياه به كما أن قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة من خبره عن وصية الله اياه بذلك فعلى هذا القول يجب أن يكون نصب البر بمعنى عمل الوصية فيه لان الصلاة والزكاة وان كانتا مخفوضتين فى اللفظ فانهما بمعنى النصب من أجل أنه مفعول بهما وقوله ولم يجعلنى جبارا شقيا يقول ولم يجعلنى مستكبرا على الله فيما أمرنى به ونهانى عنه شقيا ولكن ذللنى لطاعته وجعلنى متواضعا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر

العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون من تتمة حكاية قول أهل الجنة أو ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله رب السموات والارض) أى بل هو ربهما (وما بينهما فاعبده) اللام للسببية لان كونه رب العالمين سبب موجب لأن يعبد (واصطبر لعبادته) لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك أى أوجد الاصطبار لاجل مقاومته ثم أكد وجوب عبادته بقوله (هل تعلم له سميا) أى ليس له مثل ونظير حتى لا تخلص العبادة له وان عدم النظير لا بد أن يصبر على مواجب ارادته وتكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل أراد أنه لا شريك له فى اسمه وبيانه من وجهين أحدهما أنهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا أنهم لم يطلقوا لفظ الله على من سواه وعن ابن عباس أراد لا يسمى بالرحمن غيره قلت وهذا صحيح ولعله هو السر فى أنه لم يكرر لفظ الرحمن فى سورة تكريره فى هذه السورة وثانيهما هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل كلا تسمية

التأويل واذكر فى الكتاب الاول ابراهيم انه كان صديقا للتصديق ثلاث مراتب

صادق صدق فى أقواله وصادق صدق فى أخلاقه وأحواله وصديق صدق فى قيامه مع الله فى الله بالله وهو الفانى عن نفسه الباقى بربه اذ قال لأبيه الروح الذى يعبد صنم الدنيا بقية النفس قد جاءنى من العلم اللدنى عالم يأتك لما ذكرنا أن القلب محل للفيض الالهى أقبل من الروح كالمرآة فانها تقبل النور لصفائها وينعكس النور عنها لكثافتها وصقالتها وهنالك اسحق السر ويعقوب الخفى وناديناه من جانب الطور الأيمن أسمعناه وهى القلب من جانب طور الروح لا من جانب وادى النفس الذى هو على أيسر وكان بأمر أهله أى الحس والنفس والقلب

لنا أنه يعني عيسى كان يقول سلوني فان قلبي لين وانى صغير في نفسي مما أعطاه الله من التواضع

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبر ابوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص في آيات سلطه الله عليهن وأذن له فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك والثدي الذي أرضعت به فقال نبي الله ابن مريم يحييها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يكن جبارا شقيا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد أبي رجاء عن بعض أهل العلم قال لا تجد عاقا الا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا قال ولا تجد سيئ الملكة الا وجدته مختالا فخورا ثم قرأ وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا وقوله والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا يقول والأمنة من الله علي من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا مني ما ينالون ممن يولد عند الولادة من الطعن فيه ويوم أموت من هول المطلع ويوم أبعث حيا يوم القيامة أن ينالني الفزع الذي ينال الناس بمعاينتهم أهوال ذلك اليوم كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا قال يخبرهم في قصة خبره عن نفسه أنه لا أب له وأنه سيموت ثم يبعث حيا يقول الله تبارك وتعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذي بينت لكم صفته وأخبرتكم خبره من أمر الغلام الذي حملته مريم هو عيسى ابن مريم وهذه الصفة صفته وهذا الخبر خبره وهو قول الحق يعني أن هذا الخبر الذي قصصته عليكم قول الحق والكلام الذي تلوته عليكم قول الله وخبره لا خبر غيره الذي يقع فيه الوهم والشك والزيادة والنقصان على ما كان يقول الله تعالى ذكره فقولوا في عيسى أيها الناس هذا القول الذي أخبركم الله به عنه لا ما قالته اليهود الذين زعموا أنه لغير رشدة وأنه كان ساحرا كذابا ولا ما قالته النصارى من أنه كان لله ولدا وان الله لم يتخذ ولدا ولا ينبغي ذلك له * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ذلك عيسى بن مريم قول الحق قال الله الحق **حدثني** يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثني أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن ابراهيم قال كانوا يقولون في هذا الحرف في قراءة عبد الله قال الذي فيه يمترون قال كلمة الله ولو وجه تأويل ذلك الى ذلك عيسى بن مريم القول الحق بمعنى ذلك القول الحق ثم حذفت الالف واللام من القول وأضيف الى الحق كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وكما قيل وعد الصدق الذي كانوا يوعدون كان تأويلا صحيحا وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق قول الحق برفع القول على ما وصفت من المعنى وجعلوه في اعرابه تابعا لعيسى كالنعت له وليس الامر في اعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى الا أن يكون معنى القول الكلمة

تنادي أهل العزة من سرادقات العزة أن يا أهل الطبيعة أفيقوا من المتمنيات فانا ما ننزل من عالم الغيب الا بأمر ربك وما كان ربك نسيا ليحتاج الى تذكير ممن بل هو رب سموات الارواح وأرض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار له فاعبده بأركان الشريعة بجسدك وبآداب الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء به بروحك وبسرك هل تعلم له نظيرا في المحبوبية لك والله أعلم بالصواب ﴿ ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند

على

الرحمن عهدا وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا
وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من في السموات والأرض الا آتي الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم أهلكنا قبلهم من قرن
هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴿ القراآت أدغم أبو عمرو الذال من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم وسهل

على ما ذكرنا عن ابراهيم من تأويله ذلك كذلك فيصح حينئذ أن يكون نعتا لعيسى والا فرفعه عندي بمضمر وهو هذا قول الحق على الابتداء وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله ذلك عيسى بن مريم ثم ابتدأ الخبر بأن الحق فيما فيه تمترى الأمم من أمر عيسى هو هذا القول الذي أخبر الله به عنه عباده دون غيره وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي النجود وعبد الله بن عامر بالنصب وكأنهما أرادا بذلك المصدر ذلك عيسى بن مريم قولا حقا ثم أدخلت فيه الألف واللام وأما ما ذكر عن ابن مسعود من قراءته ذلك عيسى بن مريم قال الحق فانه يعني قول الحق مثل العباب والعيب والذام والذيم * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا الرفع لاجماع الحجة من القراء عليه وأما قوله تعالى ذكره الذي فيه يمترون فانه يعني الذي فيه يختصمون ويختلفون من قولهم ماريت فلانا اذا جادلته وخاصمته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون امترت فيه اليهود والنصارى فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله وثالث ثلاثة والله وكذبوا كلهم ولكنه عبد الله ورسوله وكلمته وروحه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الذي فيه يمترون قال اختلفوا فقالت فرقة هو عبد الله ونبيه فآمنوا به وقالت فرقة بل هو الله وقالت فرقة هو ابن الله تبارك وتعالى عما يقولون علوا كبيرا قال فذلك قوله فاختلف الأحزاب من بينهم والتي في الزخرف قال دقيوس ونسطور ويار يعقوب قال أحدهم حين رفع الله عيسى هو الله وقال الآخر ابن الله وقال الآخر كلمة الله وعبده فقال المقتربان ان قولي هو أشبه بقولك وقولك بقولي من قول هذا فهلم فلنقاتلهم فقاتلوهم وأوطؤهم وغلبوهم حتى خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهم مسلمة أهل الكتاب حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط الى الأرض وأحيا من أحيا وأمات من أمات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه قال هو ثالث ثلاثة الله الله وهو اله وأمه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى قال الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا فظهر على المسلمين وذلك قول الله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال قتادة هم الذين قال الله فاختلف الاحزاب اختلفوا فيه فصاروا أحزابا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ يقول تعالى ذكره لقد كفرت الذين قالوا ان عيسى ابن الله وأعظموا الفرية عليه فما ينبغي لله أن يتخذ

ورح والمعدل عن زيد والآخرون بتشديد الدال من التذكر مدغما ثم نتجي من الانجاء على ورح والمعدل عن زيد الآخرون بالتشديد خبر مقاما بضم الميم ابن كثير الباقون بفتحها ريا بالتشديد أبو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والأعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة أيضا بالهمز في الوقف ليدل على أصل اللغة الآخرون بهمز بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلي الآخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلي ينفطرن من الانفطار أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة يخلف وابن عامر والمفضل وأبو بكر وحماد وابن جرير عن عبيرة الباقون يتفطرن من التفطر ﴿ الوقوف حيا ○ شيأ ○ جيثيا ○ ج للآية والعطف عتيا ○ ج لذلك صليا ○ واردها ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ○ تقريبا للنجاة من الورود مع أن ثم للترتيب الاخبار جثيا ○ آمنوا لا لأن ما بعدها مفعول قال نديا ○ ورئيا ○ مدا ○ لأن حتى لانتهاء مدد الضلالة أولا بتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو آمنوا الساعة ط لابتداء التهديد جندا ○ هدى ○ مردا ○ وولدا ○ ط لابتداء الاستفهام للتقريع عهدا ط ○ للردع كلا ط مدا ○ لا للعطف فردا ○ عزا ○ كلا ط ضدا ○ أزا ○ لا للتعجيل عليهم ط عدا ○ ط وفدا ○ ط وردا ○ لئلا تشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ○ م حذرا من ايهام العطف ولدا ○ ط إدا ○ لا لأن ما بعده صفة هشا ○ لا لأن التقدير لان دعوا ولدا ○ ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف ولدا ○ ط عبدا ○ ط فردا ○ وفدا ○ لدا ○ من قرن بل ركزا ○ ﴿ التفسير لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته بالتبعية أن يعبدوا الله ويصطبروا لعبادته كان لمنكر أن يعترض بأن هذه

العبادات لا منفعة فيها في الدنيا لانها مشقة ولا في الآخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال (ه يقول الانسان) وهو للجنس لان هذا الاستغراب مركوز في الطباع قبل النظر في الدليل أولأن هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده الى بني نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو أبو جهل أو أبي ابن خلف وقيل بعض الجنس وهم الكفرة (٦٤) وانتصب اذا بفعل مضمر يدل عليه أخرج المذكور لا نفسه لأن ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما جاز الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام ههنا خلصت لأجل التأكيد كما خلصت الهمزة في يا ألله للتعويض وانضم الى عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد أيدنا وكأنهم قالوا مستنكرين أحقا أنا نخرج أحياء حين تمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج من الارض أو الخروج من حال الفناء أو النشور ومن قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا في العلم فكأنه قال على سبيل التهزء سأخرج حيا نادرا وانما قدم الظرف وأولى حرف الانكار من قبل أن ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة وسنه جاء الانكار كقولك لمن أساء الى محسن أحين صرت عليك نعمة فلان أسأت اليه ولما كان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر أولم يتذكر النشأة الأولى قال سبحانه منبها على ذلك (أولا يذكر) وههنا اضمار تقديره أيقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله أن الواو عطفت لا يذكر على يقول في قوله ويقول الانسان ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على ايراد حجة في البعث أو جزء من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات أصعب من تغيير الذات في أطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنه

القاسم

عمل لأن الأول لم يستقر بعد في خزانة الخيال والثاني قد ارتسم واستقر وثبت له مثال واحتذاء واذا كان حال من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على مجرد تعلق الارادة الأزلية به وفي قوله (ولم يك شيأ) بحث قد مر في أول السورة مثله وحين نبه على النكتة الضرورية أكدها بالاقسام قائلا (فوربك لنحشرنهم) الفاء للاستئناف وهو يفيد الاعراض عن قصة والشروع

ولدا ولا يصلح ذلك له ولا يكون بل كل شيء دونه تخلقه وذلك نظير قول عمرو بن أحمر

في رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * ما ينبغي دونها سهل ولا جبل

وأن من قوله أن يتخذ في موضع رفع بكان وقوله سبحانه يقول تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف اليه الكافرون القائلون عيسى ابن الله وقوله اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون يقول جل ثناؤه انما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء وأنشأه انشاء من غير فحل افتحل أمه ولكنه قال له كن فيكون لانه كذلك يبتدع الاشياء ويخترعها انما يقول اذا قضى خلق شيء أو انشاءه كن فيكون موجودا حادثا لا يعظم عليه خلقه لانه لا يخلقه بعاناة وكلفة ولا ينشئه بمعالجة وشدة وقوله وان الله ربي وربكم فاعبدوه اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وأن الله ربي وربكم واختلف أهل العربية في وجه فتح أن اذا فتحت فقال بعض نحويي الكوفة فتحت ردا على عيسى وعطفا عليه بمعنى ذلك عيسى ابن مريم وذلك أن الله ربي وربكم واذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعا وتكون بتأويل خفض كما قال ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم قال ولو فتحت على قوله وأوصاني بأن الله كان وجها وكان بعض البصريين يقول وذكر ذلك أيضا عن أبي عمرو بن العلاء وكان ممن يقرؤه بالفتح انما فتحت أن بتأويل وقضى أن الله ربي وربكم وكانت عامة قراء الكوفيين يقرؤنه وان الله بكسر ان بمعنى النسق على قوله فانما يقول له وذكر عن أبي بن كعب أنه كان يقرؤه فانما يقول له كن فيكون ان الله ربي وربكم بغير واو * قال أبو جعفر والقراءة التي نختار في ذلك الكسر على الابتداء واذا قرئ كذلك لم يكن لها موضع وقد يجوز أن يكون عطفا على ان التي مع قوله قال اني عبد الله آتاني الكتاب وان الله ربي وربكم ولو قال قائل ممن قرأ ذلك نصبا نصب على العطف على الكتاب بمعنى آتاني الكتاب وآتاني أن الله ربي وربكم كان وجها حسنا ومعنى الكلام واني وأنتم أيها القوم جميعا لله عبيد فاياه فاعبدوا دون غيره * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عمن لا يتهم عن وهب بن منبه قال عهد اليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه أن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي اني وايا كم عبيد الله فاعبدوه ولا تعبدوا غيره وقوله هذا صراط مستقيم يقول هذا الذي أوصيتكم به وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم الذي من سلكه نجا ومن ركبه اهتدى لانه دين الله الذي أمر به أنبياءه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره فاختلف المختلفون في عيسى فصاروا أحزابا متفرقين من بين قومه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثني الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال أهل الكتاب حدثنا

في أخرى عقيبها والواو للقسم وشرف المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه واضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم باجماع المفسرين تفخيم لشأنه ورفع من مقداره والواو في (والشياطين) اما للعطف واما بمعنى مع بناء على أن كل كافر مقرون مع شيطانه في سلسلة واذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكري البعث فقط فلا اشكال وكذا في قوله (لنحضرنهم حول جهنم جثيا) (٩٠) أي جثيا على الركب غير مشاة على أقدامهم لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على الأرجل أو على العادة المعهودة في مواقف مطالبات الملوك ومقاولاتهم (ثم لننزعن) لنميزن (من كل شيعة) طائفة شاعت أي تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره في الانعام (أيهم أشد) قرئ بالنصب وهو ظاهر وأما المقتصرون على الضم فذهب سيبويه الى أنها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين أحدهما اعراب أي مع أن من حق الموصول أن يبنى والآخر حذف المبتدا مع أن الاصل فيه أن يكون مذكورا والتقدير أيهم هو أشد وذهب الخليل الى أنها معربة ولكنها لم تنصب على أن تكون مفعول لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية أي من كل شيعة يقول فيهم أيهم أشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك أكلت من كل طعام أي بعض من كل ويجوز أن يقدر لننزعن الذين يقال فيهم أيهم أشد قال سيبويه لو جاز اضرب أيهم أفضل على الحكاية لجاز اضرب الفاسق الخبيث أي الذي يقال له الفاسق الخبيث وهذا باب قل ما يصار اليه في سعة الكلام ومذهب يونس في مثله أن الفعل الذي قبل أي معلق عن العمل ويجيز التعليق في غير أفعال القلوب ثم ان علقت فعله لاسبيل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه أن يقال انه بيان للمحذوف فكأنه سئل ان عتوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام في أولى بها صليا تعلق المجرور بأفعل من غير تأويل أو بصليا على التأويل صلى فلان النار يصلى صليا اذا احترق أخبرا أولا أنه يميز من كل فرقة ضالة من هو أضل ثم بين بقوله (ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا) أنه يطرحهم أي أهل الضلال البعيد في النار على

القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاختلف الاحزاب من بينهم ذكر لنا أنه لما رفع ابن مريم انتحبت بنو اسرائيل أربعة من فقهائهم فقالوا للأول ما تقول في عيسى قال هو والله هبط الى الارض فخلق وأمات أحيانا أحيا ثم صعد الى السماء فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت اليعقوبية من النصارى وقال الثلاثة الآخرون نشهد أنك كاذب فقالوا للثاني ما تقول في عيسى قال هو ابن الله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت النسطورية من النصارى وقال الاثنان الآخران نشهد أنك كاذب فقالوا للثالث ما تقول في عيسى قال هو الله وأمه الله والله الله فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت الاسرائيلية من النصارى فقال الرابع أشهد أنك كاذب ولكنه عبد الله ورسوله هو كلمة الله وروحه فاختصم القوم فقال المرء المسلم أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام وأن الله تبارك وتعالى لا يطعم الطعام قالوا اللهم نعم قال هل تعلمون أن عيسى كان ينام قالوا اللهم نعم قال فجعلهم المسلم قال فاقتتل القوم قال فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلمون فأنزل الله في ذلك القرآن ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم حدثنا الحسن قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فاختلف الأحزاب من بينهم اختلفوا فيه فصاروا أحزابا وقوله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يقول فوادي جهنم الذي يدعى ويلا للذين كفروا بالله من الزاعمين أن عيسى لله ولد وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه وذلك يوم القيامة وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم شهدوا هولا اذا عظيما ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به الجاعلين له أندادا والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه في الآخرة أنهم كانوا في الدنيا عميا عن ابصار الحق والنظر الى حجج الله التي تدل على وحدانيته صما عن سماع آي كتابه ومادعتهم اليه رسل الله فيها من الاقرار بتوحيده ومابعث به أنبياءه فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة وأبصرهم يومئذ حين لا ينفعهم الابصار والسماع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أسمع بهم وأبصر ذلا والله يوم القيامة سمعوا حين لا ينفعهم السمع وأبصروا حين لا ينفعهم البصر حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أسمع بهم وأبصر قال أسمع قوم وأبصرهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة قال أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا يوم القيامة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع

 (على الرحمن) بأشد كقولهم هو أشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك

الترتيب يقدم أولاهم بالعذاب فأولاهم ولا ريب أن الضال المضل يكون أولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين فى شدة العتو ويجوز أن يراد بالذين هم أولى المتنزعين كأنه قال ثم لنحن أعلم بتصلية هؤلاء وأنهم أولى بالصلى لكون دركاتهم أسفل (وان منكم) الخطاب للناس من غير التفات أو للانسان المذكور فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان أريد الجنس كله لم يكن فى قوله (ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها (٦٦) جثيا) اشكال ولكنه يشكل بأن المؤمنين كيف يردون النار وأجيب بما روى عن جابر بن عبد الله أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض أليس وعدنا ربنا أن نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهى خامدة وعنه أيضا رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للناس ضجيجا من بردها وأما قوله أولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن عباس يردونها كأنها هالة ومنهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشئ ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ومعلوم أن موسى لم يدخل الماء ولكنه قرب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود حثوهم حولها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده فى الدنيا قال عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفى رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وان أريد بالناس أو بالانسان الكفرة فلا اشكال فى ورودهم النار ولكنه لا يطابق قوله ثم ننجى الذين اتقوا ووجهه بأن أراد أن المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لأنهم يوردونها ثم يتخلصون * أسئلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند من فسر الورود بالدخول زعم بعضهم أن اليقظة المسماة بالبعث لا يمتنع أن يكون فى خلالها مواضع خالية عن النار أشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك المواضع والأصح أنه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شئ قدير ولهذا لا تضر النار الملائكة الموكلين بالعذاب * ما الفائدة فى ايراد المؤمنين النار اذا لم يعذبوا بها فيه وجوه منها أن يزدادوا سرورا اذا رأوا الخلاص منها ومنها

ابن أنس عن أبى العالية قال أسمع بحديثهم اليوم وأبصر كيف يصنع بهم يوم يأتوننا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا قال هذا يوم القيامة فأما الدنيا فلا كانت على أبصارهم غشاوة وفى آذانهم وقر فى الدنيا فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا وقرأ بنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون. وقوله لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين يقول تعالى ذكره لكن الكافرون الذين أضافوا اليه ما ليس من صفته وافتروا عليه الكذب اليوم فى الدنيا فى ضلال مبين يقول فى ذهاب عن سبيل الحق وأخذ على غير استقامة مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى لمن تأمله وفكر فيه فهدى لرشده ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم على ما فرطوا فى جنب الله وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الايمان بالله والطاعة له وأدخلوا هم مساكن أهل الايمان بالله من النار وأيقن الفريقان بالخلود الدائم والحياة التى لا موت بعدها فيالها حسرة وندامة * ونحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله فى قصة ذكرها قال ما من نفس الا وهى تنظر الى بيت فى الجنة وبيت فى النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل النار البيت الذى كان قد أعده الله لهم لو آمنوا فيقال لهم لو آمنتم وعملتم صالحا كان لكم هذا الذى ترونه فى الجنة فتأخذهم الحسرة ويرى أهل الجنة البيت الذى فى النار فيقال لولا أن من الله عليكم حدثنا أبو السائب قال ثنا معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار كأنه كبش أملح قال فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت ثم يؤمر به فيذبح قال فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت ثم يؤمر به فيذبح قال فيقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت قال ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده فى الدنيا حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا أبى عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية وأنذرهم يوم الحسرة قال ينادى يا أهل الجنة فيشرئبون فينظرون ثم ينادى يا أهل النار فيشرئبون فينظرون فيقال هل تعرفون الموت قال فيقولون لا قال فيجاء بالموت فى صورة كبش أملح فيقال هذا الموت ثم يؤخذ فيذبح قال ثم ينادى يا أهل النار خلود فلا موت ويا أهل الجنة خلود فلا موت قال ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس فى قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يصور الله الموت فى صورة كبش أملح فيذبح

اهتضاح الكافرين إذا اطلع المؤمنون عليهم ومنها أن المؤمنين يوبخون الكفار ويسخرون منهم كما سخروا في الدنيا ومنها أن يزيد التذاذهم بالجنة فبضدها تتبين الأشياء * هل ثبت في الأخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها قد ثبت أن المحاسبة تكون في الأرض أو في موضعها لقوله يوم تبدل الأرض غير الأرض وجهنم قريبة من الأرض والجنة في السماء فالاجتماع يكون في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله أهل الجنة ويبقى أهل النار فيها قلت هذا على رأي (٦٧) الفلاسفة الاسلاميين ظاهر فالمحاسبة تكون

قال فييأس أهل النار من الموت فلا يرجونه فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار وفيها أيضا الفزع الأكبر ويأمن أهل الجنة الموت فلا يخشونه وأمنوا الموت وهو الفزع الأكبر لأنهم يخلدون في الجنة قال ابن جريج يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون فذلك قوله اذ قضي الأمر قال ذبح الموت وهم في غفلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن أبيه أنه أخبره أنه سمع عبيد بن عمير في قصصه يقول يؤتى بالموت كأنه دابة فيذبح والناس ينظرون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنذرهم يوم الحسرة قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وأنذرهم يوم الحسرة من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده وقوله اذ قضي الأمر يقول اذ فرغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها ولأهل الجنة بمقام الأبد فيها يذبح الموت وقوله وهم في غفلة يقول وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين اليه من قبورهم من تخليدهم اياهم في جهنم وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم وهم لا يؤمنون يقول تعالى ذكره وهم لا يصدقون بالقيامة والبعث وجازاة الله اياهم على سيئ أعمالهم بما أخبر أنه مجازيهم به ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا نحن نرث الارض ومن عليها واليناير جعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين لك ياأحمد فيما أتيتهم به من الحق فان الينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس يفنيهم منها ويفنيها الا مالك لها غيرنا ثم علينا جزاء كل عامل منهم بعمله عند مرجعه الينا المحسن منهم باحسانه والمسيء باساءته ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه واذكر ياأحمد في كتاب الله ابراهيم خليل الرحمن فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه انه كان صديقا يقول كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب والصديق هو الفعيل من الصدق وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع نبيا يقول كان الله قد نبأه ووحى اليه وقوله اذ قال لأبيه يقول اذكر حين قال لابيه ياأبت لم تعبد مالا يسمع يقول ما تصنع بعبادة الوثن الذي لا يسمع ولا يبصر شيأ ولا يغني عنك شيأ يقول ولا يدفع عنك ضرشيء انما هو صورة مصورة لا تضر ولا تنفع يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته اعبد الذي اذا دعوته سمع دعاءك واذا أحيط بك أبصرك فنصرك واذا نزل بك ضر دفع عنك واختلف أهل العربية في وجه دخول الهاء في قوله ياأبت فكان بعض نحويي أهل البصرة يقول اذا وقفت عليها قلت ياأبه وهي هاء زيدت نحو قولك ياأمه ثم يقال ياأم اذا وصل ولكنه لما كان الأب على حرفين كان كأنه قد أخل به فصارت الهاء لازمة وصارت الياء كأنها بعدها فلذلك قالوا ياأبة أقبل وجعل التاء للتأنيث ويجوز الترخيم

في الأرض ومرور الكل يكون على كرة النار ثم يرفع أهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله (كان) أي الورود (على ربك حتما) أي محتوما مصدر بمعنى المفعول (مقضيا) قضى به وعزم أن لا يكون غيره وذلك أن العبور من جميع الحيوانات على كرة النار وأجمعت المعتزلة بذلك على أن العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد سبق أن المتقي عند المعتزلة من يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالآية قاعدة الفساق بمنزلة بين المنزلتين وأجيب أن نجاة المتقين أعم من أن تكون الى الجنة أولى غيرها وجب أن تتجيتهم الى الجنة الا أن الذي طاعته ومعصيته سيان غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فيبقى حكمه مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله (ونذر الظالمين) ومنع أن الصيغة للعموم ولو سلم فتخصص بآيات الوعد لما رد على منكري البعث وقرر كيفية الحشر قال (واذا تتلى عليهم آياتنا) الآية والمراد أنهم عارضوا حجة الله بكلام أعوج فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به أن يهين أولياءه ويعز أعداءه يروى أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين أنهم أكرم على الله عز وجل منهم قال جار الله معنى بينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات أو تبيين الرسول قولا أو فعلا أو ظاهرات الاعجاز تتحدى بها فلم يقدر على معارضتها أو حججا وبراهين وعلى التقادير تكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان آيات الله لا تكون الا بهذه الأوصاف ومعنى (للذين آمنوا) أنهم

يخاطبونهم بذلك أو يفوهون به لأجلهم وفي شأنهم والمقام بالضم موضع الاقامة أي المنزل وبالفتح موضع القيام والندي المجلس ومجتمع القوم حيث يتندون وقوله (أي الفريقين) يعني المؤمنين بالآيات والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم والمقصود نحن أو فرحظا على ما يظهر منا في أحوال فيما منا وقعودنا وحسن الحال في الدنيا دليل ظاهر على الفضل والرفعة وضده أمارة على النقص والضعة فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا) أي كثيرا من القرات أهلكنا قبلهم أهل عصر فمن بيان المهلك ويجوز أن تكون زائدة للتأكيد وكم استفهامية لتقرير التكثير أو خبرية عند من يجوز زيادتها في الموجب وزعم أحسن) في محل النصب صفة لكم أو الجر صفة قرن والأثاث متاع البيت وقد مر في النحل في قوله أثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري من همز رئيا جعله من رأيت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة ومن لم يهمزه فاما أن يكون على تخفيف الهمز أي قلب الهمزة ياء وأدغم أو يكون من رويت ألوانهم وجلودهم ريا أي امتلأت وحسنت وقال جار الله الري هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمز قبله ياء على القلب كقولهم راء في رأى وقرئ بالزاي المنقوطة واشتقاقه من الزي بالفتح وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة وفي الآية حذف والتقدير أحسن من هؤلاء والحاصل أنه تعالى أهلك من كان أكثر مالا وجمالا منهم وذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهي أن كل من وجد الدنيا كان حبيب الله أو على فساد المقدمة الاخرى وهي أن كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل اليه الا بما هم بين أن ما آل الضال الى الخزي والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله (فليمدد له الرحمن) خبر مخرج على لفظ الأمر ايذانا بوجوب الامهال وأنه مفعول لاجله لتقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيامة أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وازدادوا اثما كقوله

من يا أب أقبل لانه يجوز أن تدعو ما تضيفه الى نفسك في المعنى مضموما نحو قول العرب يا رب اغفر لي وتقف في القرآن يا أبه في الكتاب وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء وقال بعض نحويي الكوفة الهاء مع أيه وأمه هاء وقف كثرت في كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث وأدخلوا عليها الاضافة فمن طلب الاضافة فهي بالتاء لا غير لانك تطلب بعدها الياء ولا تكون الهاء حينئذ إلا تاء كقولك يا أبت لا غير ومن قال يا أبه فهو الذي يقف بالهاء لانه لا يطلب بعدها ياء ومن قال يا أبتا فانه يقف عليها بالتاء ويجوز بالهاء فأما بالتاء فلطلب ألف الندبة فصارت الهاء تاء لذلك والوقف بالهاء بعيد الا فيمن قال يا أمية ناصب فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم وكأن هذا طرف الاسم قال وهذا بعيد ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿يا أبت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا﴾ يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لأبيه يا أبت اني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك فاتبعني يقول فاقبل مني نصيحتي أهدك صراطا سويا يقول أبصرك هدى الطريق المستوى الذي لا تضل فيه ان لزمته وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ يقول تعالى ذكره يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان لله عاصيا والعصي هو ذو العصيان كما العليم ذو العلم وقد قال قوم من أهل العربية العصي هو العاصي والعليم هو العالم والعريف هو العارف واستشهدوا لقولهم ذلك بقول طريف بن تميم العنبري

أو كلما وردت عكاظ قبيلة * بعثوا الي عريفهم يتوسم

وقالوا قال عريفهم وهو بريء عارفهم والله أعلم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا﴾ يقول يا أبت اني أعلم أنك ان مت على عبادة الشيطان أن يمسك عذاب من عذاب الله فتكون للشيطان وليا يقول تكون له وليا دون الله ويتبرأ الله منك فالك والخريف في هذا الموضع بمعنى العلم كالخشية بمعنى العلم في قوله انما يخشى الله من عباده العلماء طغيانا وكفرا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾ يقول تعالى ذكره قال أبو ابراهيم لابراهيم حين دعاه ابراهيم الى عبادة الله وترك عبادة الشيطان والبراءة من الأوثان والأصنام أراغب أنت يا ابراهيم عن عبادة آلهتي لئن أنت لم تنته عن ذكرها بسوء لأرجمنك يقول لأرجمنك بالكلام وذلك السب والقول القبيح * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك بالشتيمة والقول حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله لئن لم تنته لأرجمنك قال بالقول لأشتمنك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا

عبيد

اغتاظ على لهم ليزدادوا اثما أو هو في معنى الدعاء بأن يمهل الله عز وجل وينفس في مدة حياته والغاية أحد الأمرين المذكورين أي انقطاع العذر أو ازدياد الاثم أما قوله (حتى اذا رأوا) الى آخره فقد قال في الكشاف انه يحتمل أن يكون متصلا بقوله أي الفريقين الى آخره وما بينهما اعتراض يعني بقوله أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا حتى اذا رأوا ما يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى أن يشاهدوا

عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لأرجمنك يعني لأقتلنك وأما قوله واهجرني مليا فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك واهجرني حينا طويلا ودهرا ووجهوا معنى المليّ الى الملاوة من الزمان وهو الطويل منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو داود قال ثنا محمد بن أبي الوضاح عن عبد الكريم عن مجاهد في قوله واهجرني مليا قال دهرا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقا جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله مليا قال حينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن واهجرني مليا تالله لأعصينك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله واهجرني مليا قال زمانا طويلا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واهجرني مليا يقول دهرا والدهر المليّ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبي حصين عن سعيد بن جبير واهجرني مليا قال دهرا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي واهجرني مليا قال أبدا * وقال آخرون بل معنى ذلك واهجرني سويا سالما من عقوبتي اياك ووجهوا معنى المليّ الى قول الناس فلان ملي بهذا الأمر اذا كان مضطلعا به غير مائيه وكأن معنى الكلام كان عندهم واهجرني وعرضك وافرا من عقوبتي وجسمك معافى من أذاي ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس واهجرني مليا يقول اجتنبني سويا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واهجرني مليا قال اجتنبني سالما قبل أن يصيبك مني عقوبة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واهجرني مليا قال سالما حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان قال ثنا قرة بن خالد عن عطية الجدلي واهجرني مليا قال سالما حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله واهجرني مليا اجتنبني سالما لا يصيبك مني معرة * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال معنى ذلك واهجرني سويا سليما من عقوبتي لأنه عقيب قوله لئن لم تنته لأرجمنك وذلك وعيد منه له ان لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيئ والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدم اليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال سلام عليك سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون

الموعود رأي عين (اما العذاب) في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر وتغيير أحوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيامة ويحتمل أن تتصل بما يليها والمراد أنهم لا ينفكون عن ضلالتهم وسوء مقالتهم الى أن يعاينوا عذاب الدنيا أو الساعة ومقدماتها وقوله (فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) في مقابلة قولهم خير مقاما وأحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم والجند الاعوان ولا ريب أن مكان القتل والاسر شر مكان في الدنيا ومكان عذاب النار شر مكان في الآخرة ولا شك أيضا أنه لو كان لهم في الوقتين ناصر قوي لم يلحقهم من الخزي والنكال ما لحقهم وحين بين حال أهل الضلال أراد أن يبين حال أهل الكمال فقال (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) وذلك أن بعض الاهتداء يجر الى البعض الآخر كالايمان يجر الى الاخلاص فيه كما أن بعض الغواية يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو في ويزيد للاستئناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى فليمدد أي يزيد في ضلال الضال خذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر في سورة الكهف أن الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هي أعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله (خير) يقتضي غيرا يكون مشاركا له في أصل الخيرية ويكون هذا خيرا منه فان قدرنا ذلك شيأ فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة أو كسائر الأعمال الصالحة عند من يفسر الباقيات بمعنى الأخص فظاهر أنها خير (ثوابا وخير مردا) أي مرجعا وعاقبة أو منفعة من قولهم هل لهذا الأمر مرد وان قدرنا ذلك شيأ لا ثواب فيه ولا خيرية كما زعم جار الله أن المراد هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع * ويكون وجه التفضيل في الخير ما قيل في قولهم الصيف أحر من الشتاء أي هو أبلغ في حره من الشتاء في برده ثم أردف مقالتهم الحمقاء بأخرى مثلها قائلا على سبيل التعجب (أفرأيت) كأنه قال أخبر أيضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث أولئك وانما استعملوا أرأيت بمعنى أخبر لأن رؤية الشيء من أسباب صحة الخبر عنه عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور أنها في العاص بن وائل

قال خباب بن الأرت كان لى عليه دين فاقتضيته وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فأنا أقضيك ثم فانى أوتى مالا وولدا حينئذ من قرأ ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرأ بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد فى أسد أو بمعنى الولد كالعرب والعرب فأنكر الله سبحانه عليه بقوله مستفهما (أطلع الغيب) من قولهم اطلع الجبل أى ارتقى الى أعلاه ولاختيار هذه الكلمة شأن كأنه قال أوقد بلغ من عظمة شأنه أن ارتقى الى عالم الغيب الذى تفرد به علام الغيوب (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) عن الكلبى هل عهد الله اليه أن يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة (كلا) ردع وتنبيه على الخطا فيما تصوره لنفسه وتمناه وفى قوله (سنكتب) بسين التسويف مع أن الحفظة يكتبون ما قاله فى الحال دليل على أن السين ترد ههنا لمعنى الوعيد أو أراد سنظهر له نبأ الكتابة بالتعذيب والانتصار يؤيده قوله (ونمد له) أى نطول له (من العذاب) ما يستأهله أمثاله من المستهزئين أو نزيده من العذاب وأضاعفه له من المد مد وأمده بمعنى ثم أكد المد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب أعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله (ونرثه ما يقول) أى نمنع عنه منتهى ما زعم أنه يناله فى الآخرة من المال والولد لانه تألى على الله فى قوله لأوتين ومن يتأل على الله يكذبه لان ذلك غاية الجراءة ونهاية الاشعبية والمراد هب أنا أعطيناه ما اشتهاه أنانرثه منه فى العاقبة (ويأتينا) غدا (فردا) بسلا مال ولا ولد وكلام صاحب الكشاف فى الوجهين ملخبط فلتتأمل فيه وكذا فى قوله فردا على الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين يأتى ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك أن الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول أما انفراده فيتحقق فى حالة الاتيان وتتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل فى الاتيان منفردا لا مدخل له فى المقصود فلا أدرى ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل أن هذا القول انما يقوله مادام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين أن يقوله ويأتينا منفردا عنه غير قائل له أو أراد أن هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب به وجهه فى الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نعطه سؤله وتمناه فيجتمع عليه خطبان تبعة قوله وفقد سؤله وحسبن فرغ من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة

بدعائى ربى شقيا) يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لأبيه حين توعده على نصيحته اياه ودعائه الى الله بالقول السيئ والعقوبة سلام عليك يا أبت يقول أمنة منى لك أن أعاودك فيما كرهت ولدعائك الى ما توعدتنى عليه بالعقوبة ولكنى سأستغفر لك ربى يقول ولكنى سأسأل ربى أن يستر عليك ذنوبك بعفوه وايالك عن عقوبتك علما انه كان بى حفيا يقول ان ربى عهد بى لطيفا يجيب دعائى اذا دعوته يقال منه تحفى بى فلان وقد بينت ذلك بشواهده فيما مضى عما أغنى عن اعادته ههنا * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انه كان بى حفيا يقول لطيفا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انه كان بى حفيا قال انه كان بى لطيفا وان الحفى اللطيف وقوله وأعتزلكم وما تدعون من دون الله يقول وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والاصنام وأدعو ربى يقول وأدعو ربى باخلاص العبادة له وافراده بالربوبية عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا يقول عسى أن لا أشقى بدعاء ربى ولكن يجيب دعائى ويعطينى ما أسأله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا﴾ يقول تعالى ذكره فلما اعتزل ابراهيم قومه وعبادتهما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم وأبدلناه منهم عن هو خير منهم وأكرم على الله منهم فوهبنا له ابنه اسحق وابن ابنه يعقوب بن اسحق وكلا جعلنا نبيا يقول وجعلنا هم كلهم يعنى بالكل ابراهيم واسحق ويعقوب أنبياء وقال تعالى ذكره وكلا جعلنا نبيا فوحد ولم يقل أنبياء لتوحيد لفظ كل ووهبنا لهم من رحمتنا يقول جل ثناؤه ورزقنا جميعهم يعنى ابراهيم واسحق ويعقوب من رحمتنا وكان الذى وهب لهم من رحمته ما بسط لهم فى عاجل الدنيا من سعة رزقه وأغناهم بفضله وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يقول تعالى ذكره ورزقناهم الثناء الحسن والذكر الجميل من الناس كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا يقول الثناء الحسن وانما وصف جل ثناؤه اللسان الذى جعل لهم بالعلو لان جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم والعرب تقول قد جاءنى لسان فلان تعنى ثناءه أو ذمه ومنه قول عامر بن الحرث

انى أتتنى لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر

ويروى لا كذب فيها ولا سخر

جاءت مريحة قد كنت أحذرها * لو كان ينفعنى الاشفاق والحذر مريحة يظن بها

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد فى كتابنا الذى أنزلناه اليك موسى بن عمران

الاصنام فبين أولا غرضهم وذلك أن يتعززوا بآلهتهم و يتقووا بشفاعتهم ثم أنكر عليهم وردعهم بقوله (كلا) ثم أخبر عن مآل حالهم بقوله (سيكفرون) فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملائكة كقوله قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام فلا بعد أن ينطق الله الجماد بذلك كقوله وألقوا اليهم القول انهم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقولهم ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين أما الضمير في يكونون فللمعبودين وقوله عليهم في مقابلة قوله لهم (٧١) عزا وضد العز الهوان كأنه قيل و يكونون عليهم ذلا لانالهم عزا و يحتمل أن يراد بالضد العون لانه يضاد العدو ووحد لاتفاق كلمتهم وفرط تضامهم وتوافقهم كقوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم ومعنى كون الآلهة أضدادا أي أعوانا عليهم أنهم وقود النار وأن المشركين عذبوا بسبب عبادتها و يحتمل أن يكون الضمير في يكونون للمشركين أي يكون المشركون كفرة بآلهتهم وأعداء لهم بعد أن كانوا يعبدونها وحيث بين مذاهب الفرق الضالة أراد أن يبين منشأ فاقتفال (ألم تر أنا أرسلنا) الآية والأز الهز والتهييج قالت الأشاعرة في الآية دلالة على أنه تعالى مريد لجميع الكائنات لأن قول القائل أرسلت فلانا على فلان يفيد أنه سلطه عليه منذ قوله صلى الله عليه وسلم سلم الله وأرسل كلبك عليه و يؤيده قوله تؤزهم أي تغريهم على المعاصي وتحثهم عليها بالوساوس والتسويلات وقالت المعتزلة أراد بهذا الارسال التخلية بينهم و بينهم كما اذا منع الرجل من دخول بيت جيرانه وحاصل كلامهم أنه أرسل الأنبياء وأرسل الشياطين ثم خلى بين المكلفين و بين الانبياء والشياطين الا أنه خص أولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا قول الأنبياء ومنع أعداءه تلك الألطاف وهو المسمى بالخذلان فقبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا لهلاك الكفار عداه بعلى لا بالى قلت لا يخفى أن استناد الكل الى الله تعالى فنزاع الفريقين لفظي أو قريب منه (فلا تعجل عليهم) يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجل منه أي لا تعجل عليهم بأن يهلكوا فتستريح أنت والمسلمون من شرورهم فليس بينك و بين ما تطلب من هلاكهم الا أيام محصورة وأنفاس معدودة قال ابن عباس نزلت في المستهزئين وهم خمسة فرمط وعنه أنه كان اذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك وآخر العدد فراق أهلك وآخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك أنه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الأنفاس بالعدد

واقصص على قومك نبأه انه كان مخلصا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض الكوفيين انه كان مخلصا بكسر اللام من المخلص بمعنى انه كان يخلص لله العبادة و يفرده بالالوهة من غير أن يجعل له فيها شريكا وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة خلا عاصم انه كان مخلصا بفتح اللام من مخلص بمعنى ان موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته وجعله نبيا ورسلا * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أنه كان صلى الله عليه وسلم مخلصا عبادة الله مخلصا للرسالة والنبوة فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وكان رسولا يقول وكان الله رسولا الى قومه بني اسرائيل ومن أرسله اليه نبيا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا﴾ يقول تعالى ذكره وناديناه موسى من ناحية الجبل و يعني بالأيمن يمين موسى لان الجبل لا يمين له ولا شمال وانما ذلك كما يقال قام عن يمين القبلة وعن شمالها * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله من جانب الطور الأيمن قال جانب الجبل الأيمن وقد بينا معنى الطور واختلاف المختلفين فيه ودللنا على الصواب من القول فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله وقربناه نجيا يقول تعالى ذكره وأدنيناه مناجيا كما يقال فلان نديم فلان ومنادمه وجليس فلان وحيا نسه وذكر أن الله جل ثناؤه أدناه حتى سمع صريف القلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقربناه نجيا قال أدنى حتى سمع صريف القلم حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال ثنا يحيى بن أبي بكر قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال أراه عن مجاهد في قوله وقربناه نجيا قال بين السماء الرابعة أو قال السابعة و بين العرش سبعون ألف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة فما زال يقرب موسى حتى كان بينه و بينه حجاب(١) وسمع صريف القلم قال رب أرني أنظر اليك حدثنا علي بن سهل قال ثنا حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال قربه منه حتى سمع صريف القلم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ميسرة وقربناه نجيا قال أدنى حتى سمع صريف القلم في اللوح وقال شعبة أراد فيه جبرائيل عليه السلام وقال قتادة في ذلك ما حدثنا به الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وقربناه نجيا قال نجيا بصدقه وقوله و وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون يقول و وهبنا لموسى رحمة منا أخاه هرون نبيا يتول أيدناه بنبوته وأعناه بها كما حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس قوله و وهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهبنا له نبوته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان

---

(١) عبارة الدر حتى كان بينه و بينه حجاب فلما رأى مكانه وسمع الخ فتنبه كتبه مصححه

ولم يكن لها مدد فما أسرع ما تنفد وقال بعضهم شعر ان الحبيب من الاحباب مختلس * لا يمنع الموت بواب ولا حرس

وكيف يفرح بالدنيا ولذتها * فتى يعد عليه اللفظ والنفس

ثم لما قرر أمر الحشر وأجاب عن شبه منكريه أراد أن يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال (يوم نحشر) وانتصابه بمضمر متقدم أو متأخر أي اذكر يوم كذا وكذا نفعل بالفريقين مالا يحيط به الوصف ويجوز أن ينتصب بلا يملكون خص المتقون بالجمع الى محل كرامة الرحمن وافدين يقال وفد فلان على الامير وفادة أي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد كصاحب وصحب عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يحشرون على أرجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وخص المجرمون بالسوق الى جهنم وردا أي وراداوهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كأنهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال مار الله حقيقة الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قال بعض العلماء في الآية دلالة على أن أهوال يوم القيامة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فكيف ينالهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل أن يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن أي الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة لقوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا وهذا بعد امتياز الفريقين فالأمن الكلي فيما بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله (الى الرحمن) دون أن يقول الينا من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسيم للتأويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم

(١) وفاعله من اتخذ على البدلية لانه في معنى الجمع ويجوز أن تكون الواو علامة لجمع كالتي في أكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء أبا مفرغا ويجوز أن ينتصب من اتخذ على الاستثناء أو على تقدير حذف المضاف أي الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون أن يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك غيرهم أن يشفعوا لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل أو بكلمة الشهادة وحدها والاول يناسب أصول المعتزلة والثاني يناسب أصول الاشاعرة وعن ابن مسعود (١) راجع الكشاف يظهر لك الخلط في الاعراب

صادق الوعد وكان رسولا نبيا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد في هذا الكتاب اسمعيل بن ابراهيم فاقصص خبره انه كان لا يكذب وعده ولا يخلف ولكنه كان اذا وعد به أو عبدا من عباده وعدا وفى به كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله انه كان صادق الوعد قال لم يعد به عدة الا أنجزها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث أن سهل بن عقيل حدثه أن اسمعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه فأتاه ونسي الرجل فظل به اسمعيل وبات حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا قال لا قال اني نسيت قال لم أكن لأبرح حتى تأتي فبذلك كان صادقا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾ يقول تعالى ذكره وكان يأمر أهله باقامة الصلاة وايتاء الزكاة وكان عند ربه مرضيا عمله محمودا فيما كلفه ربه غير مقصر في طاعته ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد في كتابنا هذا ادريس انه كان صديقا لا يقول الكذب نبيا نوحي اليه من أمرنا ما نشاء ورفعناه مكانا عليا ذكر أن الله رفعه وهو حي الى السماء الرابعة فذلك معنى قوله ورفعناه مكانا عليا يعني به الى مكان ذي علو وارتفاع وقال بعضهم رفع الى السماء السادسة وقال آخرون الرابعة ذكر الرواية بذلك حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الأعمش عن شمر ابن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله تعالى لادريس ورفعناه مكانا عليا قال كعب أما ادريس فان الله أوحى اليه اني رافع لك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم فأحب أن تزداد عملا فأتاه خليل له من الملائكة فقال ان الله أوحى الي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملا فحمله بين جناحيه ثم صعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منحدرا فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه ادريس فقال وأين ادريس فقال هو ذا على ظهري قال ملك الموت فالعجب بعثت أقبض روح ادريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض فقبض روحه هناك فذلك قول الله تبارك وتعالى ورفعناه مكانا عليا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ورفعناه مكانا عليا قال ادريس رفع فلم يمت كما رفع عيسى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال ولم يمت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ورفعناه مكانا عليا قال رفع الى السماء السادسة فمات فيها حدثت عن الحسين قال سمعت

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ذات يوم أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني أعهد اليك في هذه الحياة بأني أشهد أن لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك و رسولك فلا تكلني الى نفسي فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا أثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى منادأين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز أن يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا أمره به أي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها كقوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله وحين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من أثبت له ولدا من اليهود والنصارى والعرب ومنهم من خص الآية بالرد على العرب القائلين بأن الملائكة بنات الله لأن الرد على النصارى تقدم في أول السورة وفي قوله (لقد جئتم) التفات من الغيبة الى الخطابة تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخطه والادّ الامر العجيب أو المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه أدت الناقة تؤاد اذا رجعت الجنين في جوفها ويقال فطره بالتخفيف اذا شقه ومطاوعه انفطر وبالتشديد للتكثير ومطاوعه تفطر وهذا البناء للتكثير والتعجب (هدا) اما على المصدر لان الخرور في معناه واما لأن التقدير يهدهدا أو على الحال أي مهدودة أو على العلة أي لأنها تهد ومحل (أن دعوا) اما الجر و بدلا من الهاء في منه واما النصب بنزع الخافض أي هيدا لأن دعوا علل الخرور بالهدو والهد بالدعاء واما مرفوع بأنه فاعل هد أي هدها الدعاء وخير الوجوه أوسطها كما مر في الوقوف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي ولدا له واما بمعنى النسبة أي نسبوا الى الرحمن ولدا (وما ينبغي) لا يصح ولا يستقيم وهو في الاصل مطاوع بغى بمعنى الطلب وانما لا يصير مطلوبا لانه محال أما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها وأما التبني فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد

أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله ورفعناه مكانا عليا ادريس أدركه الموت في السماء السادسة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال السماء الرابعة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيان عن سفيان عن أبي هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري ورفعناه مكانا عليا قال في السماء الرابعة حدثنا علي بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر الرازي، قال لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم صعد به جبرائيل الى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبرائيل قالوا ومن معه قال محمد قالوا أوقد أرسل اليه قال نعم قالوا حيا الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء قال فدخل فاذا هو برجل قال هذا ادريس رفعه الله مكانا عليا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ورفعناه مكانا عليا قال حدثنا أنس بن مالك أن نبي الله حدث أنه لما عرج به الى السماء قال أتيت على ادريس في السماء الرابعة ذكر القول في تأويل قوله تعالى (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين اقتصصت عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه فهداهم لطريق الرشد من الانبياء من ذرية آدم ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفلك ومن ذرية ابراهيم خليل الرحمن ومن ذرية اسرائيل وممن هدينا للايمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا يقول وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا فالذي عني به من ذرية آدم ادريس والذي عني به من ذرية من حملنا مع نوح ابراهيم والذي عني به من ذرية ابراهيم اسحق و يعقوب واسمعيل والذي عني به من ذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا وعيسى وأمه مريم ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وان كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو ادريس وادريس جد نوح وقوله تعالى ذكره اذا تتلى عليهم آيات الرحمن يقول اذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه خروا لله سجدا استكانة له وتذللا وخضوعا لأمره وانقيادا و بكيا يقول خروا سجدا وهم باكون والبكي جمع باك كالعتي جمع عات والجثي جمع جاث فجمع وهو فاعل على فعول كما يجمع القاعد قعودا والجالس جلوسا وكان القياس أن يكون و بكوا وعتوا ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء كما قيل في جمع دلو أدل وفي جمع البهو أبه وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو فقلبت الواو ياء لخبثها بعد الضمة استثقالا وفي ذلك لغتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة علماء من القراء بالقرآن بكيا وعتيا بالضم و بكيا وعتيا بالكسر وقد يجوز أن يكون البكي هو البكاء بعينه وقد حدثنا ابن بشار قال

فمن أضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه وأخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن المختص به فليس أصول النعم وفروعها الا منه كما قيل
لينكشف عن بصرك غطاؤه فأنت وجميع ما عندك عطاؤه وهذا من فوائد تكرير هذا الاسم في هذا المقام * سؤال كيف تؤثر هذه الكلمة
في الجمادات حتى تنفطر وتنشق وتخر أجيب بأنه سبحانه كأنه يقول كدت أفعل هذا بالسموات والارض والجبال عند دعائهم الولد لي غضبا
مني على من تفوه بها لولا حلمي أو هو تصوير لأثر (٧٤) هذه الكلمة في الدنيا أو المراد أن هذا الاعتقاد يوجب أن لا تكون هذه الاجرام على

ماترى من النظام كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال أبو مسلم أراد أن هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل كادت تفعل ذلك ثم بين أن العابدين والمعبودين في السموات أو في الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا وفي الآخرة وأنه محيط بجمل أحوالهم وتفاصيلها فقال (ان كل) ان نافية أي ليس فرد من أفراد الخلائق (الا آتي الرحمن) الا وهو ملتجئ الى ربوبيته مقر بعبوديته ثم أجمل حال المؤمنين بما لامزيد عليه في باب الكرامة قائلا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي سيحدث لهم في القلوب مودة من غير ما سبب من الاسباب المعهودة كقرابة أو اصطناع وذلك كما يقذف في قلوب أعدائهم الرعب والسين اما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند اظهار الاسلام واما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي ياعلي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين مودة فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل ياجبرائيل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادي في أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما أقبل العبد الى الله عز وجل الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في التوراة لا محبة لأحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن أبي مسلم أن المراد أنه سهل لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير

ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم قال قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأين البكي يريد فأين البكاء * القول في تأويل قوله تعالى ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا﴾ يقول تعالى ذكره فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الانبياء الذين أنعمت عليهم ووصفت صفتهم في هذه السورة خلف سوء خلفوهم في الارض أضاعوا الصلاة * ثم اختلف أهل التأويل في صفة اضاعتهم الصلاة فقال بعضهم كانت اضاعتموها تأخيرهم اياها عن مواقيتها وتضييعهم أوقاتها ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعد الكندي قال ثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال انما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا حدثنا اسحق بن زيد الخطابي قال ثنا الفريابي عن الاوزاعي عن القاسم بن مخيمرة نحوه حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ثني الوليد بن مسلم عن أبي عمرو عن القاسم بن مخيمرة قال أضاعوا المواقيت ولو تركوها لصاروا بتركها كفارا حدثني يونس ابن عبد الأعلى قال ثنا الوليد بن مسلم عن الاوزاعي عن القاسم نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني عيسى عن الاوزاعي عن ابراهيم بن يزيد أن عمر بن عبد العزيز بعث رجلا الى مصر في أمر أجمله للمسلمين فخرج الى حرسه وقد كان تقدم اليهم أن لا يقوموا اذا رأوه قال فأوسعوا له فجلس بينهم فقال أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه الى مصر فقالوا كلنا نعرفه قال فليقم أحدثكم سنا فليدعه فأتاه الرسول فقال لا تعجلني أشد علي ثيابي فأتاه فقال ان اليوم الجمعة فلا تبرحن حتى تصلي وانا بعثناك في أمر أنجاه للمسلمين فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها فانك مصلم الاعمال ثم قرأ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم قال لم يكن اضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن مسعود عن ابن مسعود أنه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن الذين هم عن صلاتهم ساهون وعلى صلاتهم دائمون وعلى صلاتهم يحافظون فقال ابن مسعود رضي الله عنه على مواقيتها قالوا ما كنا نرى ذلك الا على الترك قال ذاك الكفر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عمر أبو حفص الابار عن منصور بن المعتمر قال قال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين وفي افراطهن الهلكة وافراطهن اضاعتهن عن وقتهن * وقال آخرون بل كانت اضاعتهموها تركها ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا أبو صخر عن القرظي أنه قال في هذه الآية فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يقول تركوا الصلاة * قال أبو جعفر وأولى التأويلين في ذلك عندي بتأويل الآية قول من قال اضاعتهموها تركهم اياها

وانما صار الى هذا القول لان المسلم التقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون أكثرهم وقد يحصل مثل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرزوقين بميل الناس الى اختلاطهم ومحبتهم فكيف يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين وأيضا ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله فحمل الكلام على اعطاء المنافع به أولى وأجيب بأن المراد محبة الملائكة والانبياء والصالحين ومثل هذه لا تحصل للكافر والفاسق وبأنه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامه في قلوبهم ثم عظم شأن ما في هذه السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة قائلا (فانما يسرناه) كأنه قال بلغ هذا المنزل أو بشر به وأنذر فانما أنزلناه بلسانك أي بلغتك وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الألد الشديد الخصومة بالباطل كقوله في البقرة وهو ألد الخصام يريد أهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية في الانذار ونهاية في التخويف لانباله عن انقضاء القرون الخالية بالفناء أو بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص يرى ولا صوت يسمع فيعلم منه أن ما آل حال الباقين أيضا الى ذلك فيجتهدوا في تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا همتهم الى ما هو بصدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفي وركز الرمح تغييب طرفه في الارض والركاز المال المدفون بين التأويل ويقول النفس الانسانية لجهلها بالحقائق اذا مات عن الصفات البشرية أخرج حيا بالصفات الروحانية لنحشرنهم والشياطين فلكل شخص قرين من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو واردها وهي الهوى بتقدم الطبيعة حتما مقضيا الان حكمته الأزلية اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوي والسفلي ثم ننجي الذين اتقوا الهوى بتقدم الشريعة على طريق الطريقة للوصول الى الحقيقة آياتنا من الحقائق والاسرار قال الذين كفروا ستروا الحق للذين آمنوا تحقيقا وايقانا وكم أهلكنا بحب الدنيا والاغراق في بحر الشهوات والاحراق بنار المناصب للعرضيات اما العذاب وهو الموت على الانكار والغفلة واما الساعة وهي الاماتة عن الصفات البشرية عند قيام قيامة الشوق والمحبة فسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان وبر بالله بالترقي من الايمان الى الايقان ومن الايقان الى العيان أن دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا أن الرحمانية أمهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا

اياها لدلالة قول الله تعالى ذكره بعده على أن ذلك كذلك وذلك قوله جل ثناؤه الا من تاب وآمن وعمل صالحا فلو كان الذين وصفهم بأنهم ضيعوها ومنهم من لم يستحق منهم من آمن وهم مؤمنون ولكنهم كانوا كفارا لا يصلون لله ولا يؤدون له فريضة فسقة قد آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقد قيل ان الذين وصفهم الله بهذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون في آخر الزمان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال عند قيام الساعة وذهاب صالحي أمة محمد صلى الله عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الأزقة قال محمد بن عمرو زنا وقال الحرث زناة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال زنا كما قال ابن عمرو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عيلة عن أبي حمزة عن جابر عن عكرمة ومجاهد وعطاء عن أبي رباح فخلف من بعدهم خلف الآية قال هم أمة محمد وحدثني الحرث قال ثنا الأشيب قال ثنا شريك عن أبي نعيم بن مهاجر في قول الله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال هم في هذه الامة يتراكبون تراكب الأنعام والحمر في الطرق لا يخافون الله في السماء ولا يستحيون الناس في الارض وأما قوله فسوف يلقون غيا فانه يعني أن هؤلاء الخلف الذين خلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين سيدخلون غيا وهو اسم واد من أودية جهنم أو اسم بئر من آبارها كما حدثني عباس بن أبي طالب قال ثنا محمد بن زياد بن (٥) زبان قال ثنا شرقي بن قطامي عن لقمان بن عامر الخزاعي قال جئت أبا أمامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثنا حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قدعا بطعام ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما بلغت قعرها خمسين خريفا ثم تنتهي الى غي وآثام قال قلت وما غي وما آثام قال بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار وهما اللتان ذكر الله في كتابه أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا وقوله في الفرقان ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو فسوف يلقون غيا قال واد في جهنم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله فسوف يلقون غيا قال واد في النار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية فسوف يلقون غيا قال نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الأحوص عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن أبيه في قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال الغي نهر في جهنم

فالالوهية مقتضية لاعدامهم في الحال وكلهم آتيه يوم القيامة فردا عن مشيئة وارادة بخلافهم في الدنيا فانهم يظنون أن لهم ارادة واختيارا فاعلم ايسرناه فيما أنه لولا تيسير الله درايته على قلب النبي صلى الله عليه وسلم والا فكيف يسع طروف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلامه الازلية غير المتناهية وكم أهلكنا في تيه الضلالة أو توسع لهم ركزا بالثناء الحسن عليهم والله أعلم بالصواب

﴿ سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف (٧٦) ومائتان واثنان وأربعون وكلماتها ألف وثلثمائة واحدى وأربعون وآياتها مائة وخمس وثلاثون ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ولى فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك أنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ القراآت طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرأ أبو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وفى الكشاف أن أبا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وأمال الهاء والآخرون بتفخيمها الا هله امكثوا بضم الهاء وكذلك فى القصص سآتى أنى آنست انى أنا الله بفتح ياء المتكلم فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ولعلى آتيكم بفتح

فى النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن أبيه فى قوله فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال الغى نهر جهنم فى النار يعذب فيه الذين اتبعوا الشهوات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو الأحوص عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا قال نهر فى النار يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات * وقال آخرون بل عنى بالغى فى هذا الموضع الخسران ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فسوف يلقون غيا يقول خسرانا * وقال آخرون بل عنى به الشر ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فسوف يلقون غيا قال الغى الشر منه قول الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغى لائما

* قال أبو جعفر وكل هذه الاقوال متقاربات المعانى وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبى صلى الله عليه وسلم والوادى الذى ذكره ابن مسعود فى جهنم فدخل ذلك فقد لاقى خسرانا وشرا حسبه به شرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيأ ﴾ يقول تعالى ذكره فسوف يلقى هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا إلا الذين تابوا فراجعوا أمر الله والايمان به ورسوله وعمل صالحا يقول وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه وأدى فرائضه واجتنب محارمه فأولئك يدخلون الجنة يقول فان أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة دون من هلك منهم على كفره واضاعته الصلاة واتباعه الشهوات وقوله ولا يظلمون شيأ يقول ولا ينقصون من جزاء أعمالهم شيأ ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم وقبل انابتهم الى طاعة ربهم فى جهنم ولكنهم يدخلون مدخل أهل الايمان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب انه كان وعده مأتيا ﴾ يقول تعالى ذكره فأولئك يدخلون الجنة جنات عدن وقوله جنات عدن نصب ترجمة عن الجنة ويعنى بقوله جنات عدن بساتين اقامة وقد بينت ذلك فيما مضى قبل بشواهده المغنية عن اعادته وقوله التى وعد الرحمن عباده بالغيب يقول هذه الجنات هى الجنات التى وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب لانهم لم يروها ولم يعاينوها فهى غيب لهم وقوله انه كان وعده مأتيا يقول تعالى ذكره ان الله كان وعده ووعده فى هذا الموضع موعوده وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله وقال بعض نحويى الكوفة خرج الخبر على ان الوعد هو المأتى ومعناه أنه هو الذى يأتى ولم يقل وكان وعده آتيا لان كل ما أتاك فأنت تأتيه وقال ألا ترى

ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر غير ابن مجاهد على النار هدى ممالة على غير ليث وأبي حمدون وحمدويه وحمزة في رواية ابن معدان وأبي عمرو والنجاري عن ورش وأبي عمرو وغير ابراهيم وابن حماد أني أنار بك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وأبو عمرو ويزيد بكسر الهمزة وفتح الياء نافع الباقون بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل اذكرني اني لي أمري عيني برأسي انى بفتح الياآت أبو جعفر ونافع وأبو عمرو لي فيها بالفتح حفص والمفضل والاعشى والبرجمي والاصبهاني عن ورش خبيرا أخي اشدد بفتح الياء موصولة ابن كثير غير الخزاعي عن ابن فليح وأبو عمرو وأشدد بفتح الهمزة وأشركه بضمها على التكلم ابن عامر والباقون بضم الاول وفتح الثاني على الامر سولك بالواو أبو عمرو غير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف الآخرون بالهمز ۞ الوقوف طه ○ كوفي ومن قال معناه يا رجل أو يا طالب أو يا هادي لم يقف للتشقي ○ لا للاستثناء يخشى ○ لا بناء على أن تنزيلا بدل تذكرة العلى ○ لان الرحمن مبتدأ استوى ○ الثرى ○ وأخفى ○ الاهو ط الحسنى ○ حديث موسى ○ لئلا يوهم أن اذ ظرف للاتيان هدى ○ يا موسى ○ تعليل ج للابتداء بان مع اتحاد القول طوى ○ ط الا لمن قرأ انا اخترناك يوحى ○ فاعبدني ○ لا للعطف لذكري ○ تسعى ○ فتردى ○ يا موسى ○ عصاي ج لامكان أن يجعل أتوكأ مستأنفا أو حالا والعامل أضمر أو أشير بناء على أن هي بمعنى هذه أخرى ○ يا موسى ○ تسعى ○ ولا تخف قد لحق السين الاولى ○ آية أخرى ○ لا لتعلق اللام الكبرى ○ ج للآية والاستئناف بالامر على أن المقول متصل طغى ○ صدري ○ أمري ○ لساني ○ لا قولي ص لطول الكلام أهلي ○ لا أخي ○ لا وقف لمن قرأ أشدد بفتح الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح الياء فله الوصل ومن قرأ اشدد بضم الهمزة فله الجواز لاتساق الدعاء على الدعاء بلا عاطف أزري ○ لا أمري ○ لا لتعلق كي كثيرا ○ بصيرا ○ يا موسى ○ ۞ التفسير في طه فوقان للمفسرين أحدهما أنه من حروف التهجي وقد سلف البحث في أمثالها والذي زادوه ههنا أمور منها قول الثعلبي الطاء شجرة طوبى والهاء الهاوية

أنك تقول أتيت على خمسين سنة وأنت على خمسون سنة وكل ذلك صواب وقد بينت القول فيه والهاء في قوله انه من ذكر الرحمن ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ يقول تعالى ذكره لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا وهو الهذي والباطل من القول والكلام الا سلاما وهذا من الاستثناء المنقطع ومعناه ولكن يسمعون سلاما وهو تحية الملائكة اياهم وقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يقول ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البكرة ووقت العشي من نهار أيام الدنيا وانما يعني أن الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشائه وذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لا ليل في الجنة ولا نهار وذلك كقوله خلق الارض في يومين وخلق السموات والارض في ستة أيام يعني به من أيام الدنيا كما حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب حدثنا علي قال ثنا الوليد عن خليد عن الحسن وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم وتكلم فتهمهم انفتحي انغلقي فتفعل حدثني ابن حرب قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا عامر بن يساف عن يحيى قال كانت العرب في زمانهم من وجدهم عشاء وغداء فذلك التاعم في أنفسهم فأنزل الله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قدر ما بين غدائكم في الدنيا الى عشائكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قال كانت العرب اذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء عجب له فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا قدر ذلك الغداء والعشاء حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ليس ببكرة ولا عشي ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فيها ساعتان بكرة وعشي فان ذلك لهم ليس ثم ليل انما هو ضوء ونور ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ يقول تعالى ذكره هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها هي الجنة التي نورثها يقول نورث مساكن أهل النار فيها من عبادنا من كان تقيا يقول من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحي وقد ذكرت بعض الرواية ونذكر ان شاء الله باقي ما حضرنا ذكره مما لم نذكر قبل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن أبان العجلي وفيضة ووكيع و حدثنا سفيان بن وكيع

وكأنه أقسم بالجبل والنار ومنها ما روى عن جعفر الصادق رضي الله عنه أن الطاء طهارة أهل الدين والهاء هدايتهم وقيل أراد يا طاهرا من الذنوب يا هاديا إلى علام الغيوب ومنها قيل سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل الطاء تسعة في الحساب والهاء خمسة ومعناه يا أيها البدر القول الثاني أنها كلمة مفيدة ومعناها يا رجل مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي ثم قال سعيد بن جبير بلسان (٧٨) القبطية وقال قتادة بلسان اليونانية والسريانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبي بلسان عك وهو عك ابن عدنان أخو معد وهو اليوم في اليمن وعن الحسن أن طه أمر وأصله طأ أمرا بالوطء فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على إحدى رجليه فأمر بأن يطأ الأرض بقدميه معاويؤكده ما روي أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى اسمعدت قدماه أي تورمتا فقال له جبرائيل ارفق على نفسك وإن لها عليك حقا فنزلت طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي تتعب بالعبادة ولكنك بعثت بالحنيفية السهلة وعند الأكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وتحسرك على أن يؤمنوا والشقاء يجيء بمعنى التعب ومنه المثل أشقى من رائض مهر وأتعب وقيل إن أبا جهل والنضر بن الحرث قالا له إنك تشقى لأنك تركت دين آبائك فرد الله عليهم بأن القرآن هو السبب في نيل كل سعادة قال جار الله إن جعلت طه تعديد الأسماء الحروف فقوله ما أنزلنا ابتداء الكلام وإن جعلته اسما للسورة فمبتدأ وما بعده خبر وقد أقيم الظاهر وهو القرآن مقام الضمير الرابط وإن جعلته قسما فما نافية وجواب وكل واحد من الشقي والتذكرة علة للفعل الأول وجب شيئه مع اللام لأنه ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل والثاني جاز قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا

قال ثنا أبي جميعا عن عمر بن ذر قال سمعت أبي يذكر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن محمدا قال لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت هذه الآية وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا قال هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن معمر قال ثنا عبد الملك بن عمرو قال ثنا عمر بن ذر قال ثني أبي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما نتنزل الا بأمر ربك الى وما كان ربك نسيا قال احتبس جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن فأتاه جبرائيل فقال يا محمد وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لبث جبرائيل عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن النبي استبطأه فلما أتاه قال له جبرائيل وما نتنزل الا بأمر ربك الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا قال هذا قول جبرائيل احتبس جبرائيل في بعض الوحي فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ما جئت حتى اشتقت إليك فقال له جبرائيل وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تبارك وتعالى وما نتنزل الا بأمر ربك قال قول الملائكة حين استراثهم محمد صلى الله عليه وسلم كالتي في الضحى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال لبث جبرائيل عن محمد اثنتي عشرة ليلة ويقولون قلى فلما جاءه قال أي جبرائيل لقد رثت علي حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما نتنزل الا بأمر ربك احتبس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون في ذلك واشتد ذلك على نبي الله فأتاه جبرائيل فقال اشتد عليك احتباسنا عنك وتكلم في ذلك المشركون وانما انا عبد الله ورسوله اذا أمرني بأمر أطعته وما نتنزل الا بأمر ربك يقول بقول ربك ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فقال بعضهم يعني بقوله ما بين أيدينا من الدنيا وبقوله وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع له ما بين أيدينا يعني الدنيا وما خلفنا الآخرة وما بين ذلك النفختين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال ما بين أيدينا من الدنيا وما خلفنا

من

يجوز أن يكون تذكرة بدلا من تشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن أن تحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي في معنى الا يعني لكن وفي قوله لتشقى والا تذكرة وجه آخر وهو أنه ما أنزلنا عليك القرآن لتتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة أي ما أنزلنا عليك هذا التعب الشاق الا لهذا الغرض كما يقال ما شافهنا لك بذلك الكلام لتتأذى الا ليعتبر بذلك غيرك فانتصب

تذكرة على أنه حال أو مفعول له واذا كانت حالا جاز أن يكون (تنزيلا) بدلا منها واذا كانت مفعولا لأجله لم يجز أن يكون تنزيل بدلا منها لان الشيء لا يعلل بنفسه فالانزال لا يعلل بالتنزيل في الظاهر ويجوز أن ينتصب تنزيلا بمضمر أي نزل تنزيلا أو بأنزلناه لان معنى ما أنزلناه إلا تذكرة أنزلناه تذكرة أو على المدح والاختصاص أو بيخشى مفعولا به أي أنزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل أي لمن يؤل أمره الى الخشية لانه هو المنتفع به ومعنى كون القرآن تذكرة أنه صلى الله عليه وسلم كان يعظهم به وببيانه و (ممن خلق) متعلق بتنزيلا فيكون الظرف لغوا أو بكائنا صفة له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا أمور منها الافتنان في الكلام على عادتهم ومنها تنسيق الصفات مع لفظ الغيبة ومنها التفخيم بالاسناد أولا الى ضمير المتكلم المطاع في أنزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل أنزلنا حكاية كلام جبرائيل فلا التفات و (العلى) جمع العليا تأنيث الاعلى وفي وصف السموات بها دلالة على عظم قدرة من خلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها ويحصل منه تعظيم شأن القرآن بالضرورة فعلى قدر المرسل يكون حال الرسالة ومنه قول الحكماء عقول الرجال تحت لسان أقلامهم وارتفع (الرحمن) على المدح على تقدير هو الرحمن أو هو مبتدأ مشار بلامه الى من خلق والبحث في الاستواء على العرش من جانبي المشبهة والموحدة قدمر مشبعا في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وفي الاعراف في قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم أكد كمال ملكه وملكه بقوله (له ما في السموات) الآية عن محمد بن كعب أن ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وقيل الثور أو الحوت والتحقيق أن الثرى هو التراب الندي وهو ما جاور البحر من جرم الارض فالذي تحته هو ما بقي من جرم الارض الى المركز فيحتمل أن يكون هنالك أشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب أن الكل لله سبحانه ثم بين كمال علمه بقوله (وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى) فالسر ما أسررته الى غيرك وأخفى من ذلك ما أخطرته ببالك أو السر هو ما أخفيته والاخفى منه ما استسره وقيل أخفى فعل ماض أي يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلم هو قلت هذا المعنى صحيح لانه تعالى محيط بجميع الاشياء فلا يعزب

من أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين * وقال آخرون ما بين أيدينا الآخرة وما خلفنا الدنيا وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بين أيدينا الآخرة وما خلفنا من الدنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة له ما بين أيدينا من أمر الآخرة وما خلفنا من أمر الدنيا وما بين ذلك ما بين الدنيا والآخرة وما كان ربك نسيا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة له ما بين أيدينا من الآخرة وما خلفنا من الدنيا وما بين ذلك ما بين النفختين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله له ما بين أيدينا من الآخرة وما خلفنا من الدنيا * وقال آخرون في ذلك بما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ما بين أيدينا قال ما مضى أمامنا من الدنيا وما خلفنا ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة وما بين ذلك قال ما بين ما مضى أمامهم وبين ما يكون بعدهم وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأول ذلك له ما بين أيدينا قبل أن نخلق وما خلفنا بعد الفناء وما بين ذلك حين كنا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة لان ذلك لم يجئ وهو جاء فهو بين أيديهم فان الاغلب في استعمال الناس اذا قالوا هذا الامر بين يديك أنهم يعنون به ما لم يجئ وأنه جاء فلذلك قلنا ذلك أولى بالصواب وما خلفنا من أمر الدنيا وذلك ما قد خلفوه فمضى فصار خلفهم بتخليفهم اياه وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه ووراءه وما بين ذلك ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا الى الآخرة لان ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين وانما قلنا ذلك أولى التأويلات به لان ذلك هو الظاهر الأغلب وانما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له فتأويل الكلام اذا فلا تسبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك فانا لا ننزل من السماء الى الارض الا بأمر ربك لنا بالنزول اليها له ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية وما قد مضى فخلفنا منه من أمر الدنيا وما بين وقتنا هذا الى قيام الساعة بيده ذلك كله وهو مالكه ومصرفه لا عالم ذلك غيره فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا الا بأمره ايانا به وما كان ربك نسيا يقول ولم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولي اليك بنسيانه اياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الارض تبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه جل ثناؤه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وما كان ربك نسيا قال ما نسيك ربك ثم القول في تأويل قوله تعالى ﴿رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا﴾ يقول تعالى ذكره لم يكن ربك يا محمد رب السموات والارض وما بينهما نسيا لانه لو كان نسيا لم يستقم ذلك وله هلك لو لاحفظه اياه فالرب مرفوع ردا على قوله ربك

عنه شيء قلا ولا يحيط به شيء من الاشياء فلا يطلع على غيوبه أحد الا أن اللفظ يحصل فيه بشاعة اذا حمل على هذا التفسير فلهذا قال صاحب الكشاف وليس بذاك وكيف طابق الجزاء الشرط وأجيب بأن معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء أو غيره فاعلم أنه غني عن جهرك فاما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك واما أن يكون تعليما للعباد أن الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر كأن يقتدى غيره به ومن فوائد الآية تزجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة وترغيبه في الطاعات ظاهرة و باطنة وقد شرحنا

شيئا من حقيقة عليه تعالى في تفسير قوله وعلم آدم الاسماء كلها وفي غير ذلك من المواضع المناسبة فلنقتصر الآن على ذلك ثم ذكر أن الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة دون غيره واعلم أن مراتب التوحيد أربع الاقرار باللسان ثم الاعتقاد بالقلب ثم تأكيد ذلك الاعتقاد بالحجة ثم الاستغراق في بحر المعرفة بحيث لا يدور في خاطره سوى الاحد الصمد والاول دون الثاني نفاق والثاني دون الاول غير مفيد الا اذا لم يجد مهلة كما اذا نظر وعرف شهادة و يروى ان ملك الموت مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى اذا رآه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيكفيه ذلك و يؤيده ما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان والاقرار دون الثالث اعني المقلد وفيه خلاف مشهور والاصح أنه مقبول وأما المقام الرابع فهو مقام الصديقين والخاصة من عباد الله وبتمامه تفرق ونقص وترك ورفض على ما مر ربما تحققون واخره الفناء في الله والبقاء به قال النحويون لا اله الا الله تقدير لا اله في الوجود الا الله وقال أهل العرفان معناه لا اله في الامكان الا الله روى أن موسى بن عمران قال يا رب علمني شيأ أذكرك به فقال قل لا اله الا الله فقال كل عبادك يقول فقال قل لا اله الا الله قال انما أردت شيأ تخصني به قال يا موسى لو أن السموات السبع ومن فوقهن في كفة ولا اله الا الله في كفة لمالت بهن لا اله الا الله والبحث عن أسماء الله تعالى تقدم في تفسير البسملة وعن أسمائه الحسنى قدم في آخر الاعراف في قوله ولله الاسماء الحسنى واعلم أن الموجودات على ثلاثة أقسام كامل لا يحتمل الزيادة والنقصان وهو الله تقدس وتعالى وناقص لا يحتمل الكمال سوى الصورة الكمالية التي جبل عليها كصغير

وقوله فاعبده يقول فالزم طاعته وذل لامره ونهيه واصطبر لعبادته يقول واصبر نفسك على النفوذ لامره ونهيه والعمل بطاعته تفز برضاه عنك فانه الاله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله هل تعلم له سميا يقول هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرتك بعبادته والصبر على طاعته مثلا في كرمه وجوده فتعبده رجاء فضله وطوله دونه كلا ما ذلك بموجود * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هل تعلم له سميا يقول هل تعلم للرب مثلا أو شبيها حدثني سعيد بن عثمان التنوخي قال ثنا ابراهيم بن مهدي عن عباد بن عوام عن شعبة عن الحسن ابن عمارة عن رجل عن ابن عباس في قوله هل تعلم له سميا قال شبيها حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مجاهد في هذه الآية هل تعلم له سميا قال هل تعلم له شبيها هل تعلم له مثلا تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تعلم له سميا لا سمي لله ولا عدل له كل خلقه يقر له و يعرف أنه خالقه و يعرف ذلك ثم يقر أهذه الآية ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله هل تعلم له سميا قال يقول لا شريك له ولا مثل

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ ﴾ يقول تعالى ذكره و يقول الانسان الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت أخرج حيا فأبعث بعد الممات و بعد البلاء والفناء انكارا منه ذلك يقول الله تعالى ذكره أولا يذكر الانسان المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على احيائه بعد فنائه وايجاده بعد عدمه في خلق نفسه أن الله خلقه من قبل مماته فأنشأه بشرا سويا من غير شيء ولم يك من قبل انشائه اياه شيأ فيعتبر بذلك و يعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن احيائه بعد مماته واعادته بعد فنائه وقد اختلفت القراء في قراءة قوله أولا يذكر الانسان فقرأه بعض قراء المدينة والكوفة أولا يذكر بتخفيف الذال وقد قرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة والحجاز أولا يذكر بتشديد الذال والكاف بمعنى أولا يتذكر والتشديد أعجب الي وان كانت الاخرى جائزة لان معنى ذلك أولا يتفكر فيعتبر

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فوربك يا محمد لنحشرن هؤلاء القائلين أئذا مت لسوف نخرج أحيا يوم القيامة من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا والجثي جمع الجاثي كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا يعني القعود وهو مثل قوله وترى كل أمة جاثية

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا ﴾ يقول تعالى ذكره ثم لنأخذن من كل جماعة

الانسان من المخلوقات وناقص يتقلب بين الامرين فتارة يصعد الى حيث يخبر عنه بأنه في مقعد صدق عند مليك مقتدر وتارة يسفل الى أن يقال له ثم رددناه أسفل سافلين والكمال بالحقيقة لما ليس معرض الزوال فلا كمال في الصحة والجاه والمال وانما الكمال في الانتساب الى الكبير المتعال وهو تحقيق نسبة العبدية المنبئة عن عزة الربوبية وكل منتسب الى بلد أو قبيلة فانه يبالغ في مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف أن يذكر ربه بالاسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره (٨١) الهنا حسن الاسم دليل حسن المسمى وحسن المسمى يدل على أنه لا يفعل القبيح ولا يزال مواظبا على الاحسان كما قيل

يا حسن الوجه توقى الخطا *

لا تخلطن الزين بالشين فيا حسن الأسماء والصفات لا تردنا عن خوان احسانك محرومين ذكر أن صيادا اصطاد سمكة وكانت له بنت فأخذتها وألقتها في البحر وقالت انها اما وقعت في الشبكة الا لغفلتها الهنا تلك المرأة رحمت سمكة بسبب غفلتها ونحن قد اصطادنا ابليس وأخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا الى مقرنا وأنت أرحم الراحمين

عن محمد بن كعب القرظي أن موسى عليه السلام قال يا رب أي خلقك أكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطبا من ذكري قال اي خلقك أعلم قال الذي يلتمس علما الى علمه قال وأي خلقك أعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال وأي خلقك أعظم جرما قال الذي ينهى وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا انا لا نتهمك فانا نعلم أن كل ما أحسنت فهو فضل وكل ما لا تفعله بنا من الاحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا ومن الحسن اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ سيعلم الجمع من أهل الكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر

منهم أشدهم على الله عتوا وتمردا فلنبدأن بهم * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علي بن الأقمر عن أبي الأحوص ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا قال نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا يقول أيهم أشد للرحمن معصية وهي معصيته في الشرك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أيهم أشد على الرحمن عتيا يقول عصيا **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من كل شيعة قال أمة وقوله عتيا قال كفرا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وزاد فيه ابن جريج فلنبدأن بهم * قال أبو جعفر والشيعة هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور يقال من ذلك تشايع القوم اذا تعاونوا ومنه قولهم للرجل الشجاع انه لمشيع أي هو معان فمعنى الكلام ثم لننزعن من كل جماعة تشايعت على الكفر بالله أشدهم على الله عتوا فلنبدأن باصلائه جهنم والتشايع في غير هذا الموضع التفرق ومنه قول الله عز ذكره وكانوا شيعا يعني فرقا ومنه قول ابن مسعود أو سعد اني أكره أن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول شيعت بين أمتي يعني فرقت ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾ يقول تعالى ذكره ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كل شيعة أولاهم بشدة العذاب وأحقهم بعظيم العقوبة وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول في ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا قال أولى بالخلود في جهنم * قال أبو جعفر وهذا الذي قاله ابن جريج قول لا معنى له لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كل شيعة من الكفرة أشدهم كفرا أولاشك أنه لا كافر بالله الا مخلد في النار فلا وجه لجميعهم مخلدون في جهنم لأن يقال ثم لنحن أعلم بالذين هم أحق بالخلود من هؤلاء المخلدين ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا وقد يحتمل أن يكون معناه ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا والصلي مصدر صليت أصلى صليا والصلي فعول ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل فصارت ياء مشددة ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾ يقول تعالى ذكره وان منكم أيها الناس الا واردها جهنم كان على ربك يا محمد ايرادهموها قضاء مقضيا قد قضى ذلك وأوجبه في أم الكتاب واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع فقال بعضهم الدخول ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو قال أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الازرق فقال ابن عباس الورود

الله ثم ينادي أين الحامدون الله على كل حال ثم تكون التبعة والحساب على من بقي الهنا فنحن حمدناك وأثنينا عليك بمقدار قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك وحسن أسمائك وحين عظم شأن القرآن وبين حال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما كلف من أعباء الرسالة قفاه بقصة موسى تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبي معنى (وهل أتاك) أي لم يأتك الى الآن وقد أتاك الآن فتنبه له ويقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا ليتطلع السامع لما يوحى اليه وعن مقاتل والضحاك عن ابن

عباس أن المراد منه تقرر الخبر في قلبه أي قد أتاك ذلك في الزمان المتقدم واذ ظرف للحديث لانه حدث أو المراد اذكر وقت وكذا ومظروفه محذوف أي حين رأى نارا كان كيت وكيت قال أهل السير استأذن موسى شعيبا عليهما السلام في الخروج الى أمه وخرج بأهله وولده في الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من يسار الطريق من بعيد قال السدي ظن أنها من نيران الرعاة وقال الآخرون انه رآها في شجرة واختلفوا أيضا في أن الذي رآه كان نارا أم لا قالوا والصحيح أنه كان نارا ليكون صادقا في خبره اذ الكذب لا يجوز (٨٣) على الانبياء ويمكن أن يقال اطلاق اللفظ على ما يشبه مسماه ليس بكذب قيل النار أربعة أقسام نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر جعل لكم من الشجر الاخضر نارا ونار تأكل وتشرب وهي نار المعدة ونار لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى عليه السلام وبعبارة أخرى نور بلا حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الاشجار (فقال لأهله امكثوا) انما جمع لان أهله جمع وهم المرأة والخادم والولد ويجوز أن يخاطب المرأة وحدها ولكن أخرج الخطاب على ظاهر لفظ الاهل فانه اسم جمع وأيضا فقد يخاطب الواحد بلفظ الجماعة تفخيما أي أقيموا في مكانكم فقد (آنست نارا) أي أبصرت ابصارا لا شبهة فيه أو ابصارا يؤنس به والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك انسان العين لانه يظهر الاشياء ومنه الانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الأنس ضد الوحشة لظهور المطلوب وهو المأنوس به قال جار الله لما وجد الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة إن ليوطن أنفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الامر فيهما على الرجاء دون الجزم قائلا (لعلي آتيكم) قال المحققون فيه دلالة على أن ابراهيم عليه السلام لم يكذب البتة لان موسى قبل نبوته احترز عن الكذب المظنون فلم يقل اني آتيكم لئلا يعد عبد مالم يستيقن الوفاء به فابراهيم وهو أبو الانبياء أولى بالاحتراز من الكذب الصريح والقبس النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة ونحوهما و (هدى) على حذف المضاف أي ذوي هدى أو اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى والظاهر أنه أراد قوما يهدونني الطريق وعن مجاهد وقتادة قريبا من بعض يهدلهم في أبواب الدين وذلك أن همم الابرار معقودة في جميع أحوالهم بالامور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء في على النار وهو مفعول ثان لاجد أو حال من ذوي هدى أن أهل النار يشغلون المكان القريب منها أو المصطلون بها تكنفوها فاما

الدخول وقال نافع لافقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون أو ردوهو أم لا وقال يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود أو ردوهو أم لا أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل تخرج منها أم لا وما أرى الله مخرجك منها بكذيبك قال فضحك نافع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال قال أبو راشد الحروري ذكروا هذا فقال الحروري لا يسمعون حسيسها قال ابن عباس ويلك أمجنون أنت أين قوله تعالى يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله وان منكم الا واردها والله ان كان دعا من مضى اللهم أخرجني من النار سالما وأدخلني الجنة غانما قال ابن جريج يقول الورود الذي ذكره الله في القرآن الدخول ليردنها كل بر وفاجر في القرآن أربعة أوراد فأوردهم النار وحصب جهنم أنتم لها واردون ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وقوله وان منكم الا واردها حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا يعني البر والفاجر ألم تسمع الى قول الله تعالى لفرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود وقال ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فسمى الورود في النار دخولا وليس بصادر حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة ألم يعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررتم عليها وهي خامدة قال ابن عرفة قال مروان بن معاوية قال بكار بن أبي مروان أو قال خامدة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا مرحوم بن عبد العزيز قال ثني أبو عمران الجوني عن أبي خالد قال تكون الارض يوما نارا فما أعددتم لها قال فذلك قول الله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب تمسك النار للناس كأنها متن اهالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق برهم وفاجرهم ثم ينادي منادا أن أمسكي أصحابك ودعي أصحابي قال فيخسف بكل ولي لها والهيها أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون نقية أبدانهم قال وقال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود له شعبتان يدفع به الدفعة فيصرع به في النار سبعمائة ألف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن أبي اسحق قال كان أبو ميسرة اذا أوى الى فراشه قال يا ليت أمي لم تلدني ثم يبكي فقيل وما يبكيك يا أبا ميسرة قال أخبرنا أنا واردوها ولم يخبرنا أنا صادرون عنها حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن اسمعيل عن قيس قال بكى

وقعودا فهم مشرفون عليها وان كان المكانان مستويين (فلما أتاها) أى أتى النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من أسفلها الى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت فألقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى أنها أوقدت فأخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت اليه كأنها تريده فتأخر عنها وهابها ثم لم يزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن أسرع من خمودها فكأنها لم تكن ثم رمى موسى بنظره الى فرعها فاذا خضرته ساطعة فى السماء واذا نور بين السماء والارض له شعاع تكل عنه الأبصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودى (ياموسى) من (٨٣) قرأ (أنى) بالفتح فتقديره نودى بأنى ومن قرأ بالكسر فلأن النداء فى معنى القول أولان التقدير نودى فقيل ياموسى وتكرير الضمير فى انى (أنا ربك) لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى أنه لما نودى ياموسى قال من المتكلم فقال الله عزوجل انى أنا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأنى أسمعه من جميع جهاتى الست وأسمعه بجميع أعضائى حتى كأن كل جارحة منى صارت أذنا وقيل لعله سمع النداء من جماد كالحصا والشجرة فيكون معجزا وأيضا انه رأى النار فى الشجرة الخضراء بحيث ان الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة فعرف أنه لا يقدر عليه أحد الا الله وجوز الاشاعرة أن يكون قد خلق الله تعالى علما ضروريا بذلك والمعتزلة منعوا منه قالوا ان حصول العلم الضرورى بأن ذلك المتكلم هو الله يستلزم العلم الضرورى بوجود الصانع لاستحالة أن تكون الصفة معلومة بالضرورة والذات معلوما بالاستدلال وحصول العلم الضرورى بوجود الصانع ينافى التكليف وبالاتفاق لم يخرج موسى عن التكليف قال القاضى ان كانت النبوة قد تقدمت لموسى فلا كلام فى حصول هذه الخوارق والا وجب أن تكون المعجزات لغيره من الانبياء فى زمانه كشعيب مثلا قال وهذا أولى لان قوله وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى دليل على أنه أول وحى يوحى اليه وعند أهل السنة الارهاص جائز فلم يوجبوا احالة تلك الخوارق الى غيره وعندهم أن الله تعالى أسمعه الكلام الذى ليس بحرف ولا صوت والمعتزلة أنكروا وجود ذلك الكلام وقالوا انه تعالى خلق ذلك النداء فى جسم من الاجساد كالشجرة وهو قادر على ذلك وأهل السنة مما وراء النهر أثبتوا الكلام القديم الا أنهم زعموا أن الذى سمعه موسى صوت خلقه الله فى الشجرة لانه تعالى رتب النداء على أنه أتى النار والمرتب على المحدث محدث ومثله استدلال المعتزلة بقوله (فاخلع نعليك) على أن كلامه تعالى ليس بقديم

عبد الله بن رواحة فى مرضه فبكت امرأته فقال ما يبكيك قالت رأيتك تبكى فبكيت قال ابن رواحة انى قد علمت أنى وارد النار فما أدرى أنا ج منها أنا أم لا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان قال سمعت السدى يذكر عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وان منكم إلا واردها قال داخلها **حدثنا** القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله وان منكم الا واردها قال يدخلها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن ابن عيينة عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه فى حجر امرأته فبكى فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكى فبكيت قال انى ذكرت قول الله وان منكم إلا واردها فلا أدرى أنجو منها أم لا * وقال آخرون بل هو المر عليها ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان منكم إلا واردها يعنى جهنم مر الناس عليها **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان منكم الا واردها قال هو المر عليها **حدثنا** خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر قال أخبرنا اسرائيل قال أخبرنا أبو اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله فى قوله وان منكم إلا واردها قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فمر الطبقة الأولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم عرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم * وقال آخرون بل الورود هو الدخول ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة قال أخبرنى عبد الله بن السائب عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها وان منكم إلا واردها يعنى الكفار قال لا يردها مؤمن **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمر بن الوليد الشنى قال سمعت عكرمة يقول وان منكم إلا واردها يعنى الكفار * وقال آخرون بل الورود عام لكل مؤمن وكافر غير أن ورود المؤمن المرور وورود الكافر الدخول ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان منكم إلا واردها ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم الزالون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط الجسر سماطان من الملائكة دعواهم يومئذ يا الله سلم سلم * وقال آخرون ورود المؤمن ما يصيبه فى الدنيا من حمى ومرض ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحمى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ وان منكم الا واردها **حدثنى** عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم قال ثنا اسمعيل بن عبيد الله عن أبى صالح عن أبى هريرة

لان الامر والنهي والمأمور معدوم سفه فلا بد أن يكون هذا الامر عند وجود موسى فيكون محدثا أجابت الاشاعرة بأن كلامه الازلي ليس بأمر ولا نهي ولو سلم فأمره بالازل مستمر الى أن صار الشخص مأمورا من غير تغير في أمره كالقدرة الازلية تتعلق بالمقدور الحادث وأما الحكمة في الامر بخلع النعلين قال المفسرون لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ وهو قول علي ومقاتل والكلبي والضحاك وقتادة والسدي وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد لنباشر الوادي بقدميه متبركا به وقيل عظم البقعة عن وطئها الاحافيا يؤيده قوله (انك بالواد المقدس) ومن هنا كره بعضهم الصلاة والطواف (٨٤) في النعل وكان السلف يطوفون بالكعبة حفاة ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا وقع منه ذلك تصدق وعلى القول الاول لا يكره الا اذا كان غير مدبوغ وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم خلعهما في الصلاة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال مالكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت خلعنا قال فان جبرائيل أخبرني أن فيهما قذرا يروى أن موسى خلع نعليه وألقاهما من وراء الوادي قال الجوهري (طوى) بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشئ المثنى أي طوى مرتين أي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل أن يراد نودي نداءين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه العلي وعن ابن عباس أنه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالواد المقدس الذي طويته طيا أي قطعته حتى ارتفعت الى أعلاه (وأنا اخترتك) اصطفيتك للنبوة قيل فيه دلالة على أن النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله وفي هذه الأخبار غاية اللطف والرحمة ولكن في قوله (فاستمع) نهاية الجلال والهيبة ففي الاول جلال وفي الثاني خوف كأنه قال اقدسناك لأمر عظيم فتأهب له واجعل جميع همتك مصروفة اليه و (لما يوحى) أي للذي هو يوحى أو للوحي متعلق باستمع أو باخترتك ثم قال (انني أنا الله لا اله الا أنا) ورتب عليه (فاعبدني) ليعلم أن عبادته انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء ان الله معلل والمستحق للعبادة قال الاصوليون تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه أمر بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وأيضا قال (وأقم الصلاة) ولم يبين هنا أنها أي جاب القاضي عن هذا الأخير بأنه لا يمتنع أن موسى عليه السلام قد عرف الصلاة التي تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بأن حمل الخطاب متوجها الى

قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال ان الله يقول هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة * وقال آخرون يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال ثني السدي عن مرة عن عبد الله وان منكم الا واردها قال يردونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا شعبة عن السدي عن مرة عن عبد الله بنحوه **حدثني** محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له يا ابن عباس أرأيت قول الله وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها أم لا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يسئل عن الورود فقال نحن يوم القيامة على كوى أو كرى فوق الناس فتسدعى الامم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالاول فينطلق بهم ويتبعونه قال ويعطى كل انسان منافق ومؤمن نورا ويغشى ظلمة ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله فيطفأ نور المنافق وينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفا لا حساب عليهم ثم الذين يلونهم كأضوإ نجم في السماء ثم كذلك ثم تحل الشفاعة فيشفعون ويخرج من النار من قال لا اله الا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير ثم يلقون تلقاء الجنة ويهريق عليهم أهل الجنة الماء فينبتون نبات الشئ في السيل ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن المبارك عن الحسن قال قال رجل لأخيه هل أتاك بأنك وارد النار قال نعم قال فهل أتاك أنك صادر عنها قال لا قال ففيم الضحك قال فما رؤي ضاحكا حتى لحق بالله **حدثنا** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحرث أن بكيرا حدثه أنه قال لبسر بن سعيد ان فلانا يقول ان ورود النار القيام عليها قال بسر أما أبو هريرة فسمعته يقول اذا كان يوم القيامة يجتمع الناس نادى مناد ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون فيقوم هذا الى الحجر وهذا الى الفرس وهذا الى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله فيأتيهم الله فاذا رأوه قاموا اليه فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط وفيه عليق فعند ذلك يؤذن بالشفاعة فيمر الناس والنبيون يقولون اللهم سلم سلم قال بكير فكان ابن عمير يقول فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش ثم ناج * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون فينجيهم الله ويهوي فيها الكفار وورودهم

التأسيس أولى قال لعله قد بين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر ورد بأن البيان أكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان أولى بالحكاية واقائل أن يقول سلمنا أن المبين أكثر فائدة للمخاطب ولكن لانسلم أن حكاية المبين أولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغيره لضرورة بعض هيآت ذلك التكليف منسوخا وان كان أصله باقيا وفي قوله (لذكري) وجوه لأن اللام اما بمعنى الوقت أو هي للتعليل والذكر اما بالجنان أو هو ضد النسيان وياء المتكلم فاعل في الاصل أو مفعول وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف أم لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فنها أن اللام للتعليل والياء منصوب أي لتذكرني فان ذكري أن أعبد (٨٥) ويصلي لي أو أراد لتذكرني في الصلاة

هو ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم فناج مسلم ومكدس فيها * ذكر الاخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك

حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقالت حفصة يا رسول الله أليس الله يقول وان منكم إلا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ثم ينجي الله الذين اتقوا

حدثني الحسن بن مدرك قال ثنا يحيى بن حماد قال ثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله

حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لأرجو أن لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية قالت فقلت يا رسول الله أليس الله يقول وان منكم إلا واردها قال قد سمعته يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن محمد بن اسحق قال ثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب عن سليمان بن عمرو بن عبد العتواري أحد بني ليث وكان في حجر أبي سعيد قال سمعت أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومجروح به ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها حتى اذا فرغ الله من القضاء بين العباد تفقد المؤمنون رجالا كانوا معهم في الدنيا يصلون صلاتهم ويزكون زكاتهم ويصومون صيامهم ويحجون حجهم ويغزون غزوهم فيقولون أي ربنا عبادك من عبادك كانوا معنا في الدنيا يصلون صلاتنا ويزكون زكاتنا ويصومون صيامنا ويحجون حجنا ويغزون غزونا لا نراهم فيقول اذهبوا الى النار فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه فيجدونهم فد أخذتهم النار على قدر أعمالهم فمنهم من أخذته النار الى قدميه ومنهم من أخذته الى نصف ساقيه ومنهم من أخذته الى ركبتيه ومنهم من أخذته الى ثديه ومنهم من أخذته الى عنقه ولم تغش الوجوه فيستخرجونهم منها فيطرحونهم في ماء الحياة فيل وما ماء الحياة يا رسول الله قال غسل أهل الجنة فينبتون كما تنبت الزرعة في غثاء السيل ثم تشفع الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا اله الا الله مخلصا فيستخرجونهم منها ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدا في قلبه مثقال ذرة من الايمان الا أخرجه منها

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث بن خالد عن يزيد ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله

لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والفرق أن اطلاق الذكر على العبادة والصلاة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجاز أو نقول في الاول تكون نفس الصلاة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر أو أراد لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري ومنها أن المضاف مع ذلك محذوف أي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها أن الياء فاعل أي لاني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أولان أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق ومنها أن اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا أي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة ومنها أن يحمل الذكر على ضد النسيان أي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطاب اللسان في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو أراد ذكر الصلاة بعد نسيانها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كقوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها اذا ذكرها فلعل المضاف محذوف أي لذكر صلاتي أو ذكر الصلاة هو ذكر الله فالياء في الاصل منصوب أو الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعي من فاتته صلاة يستحب أن يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب أن يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلاة الوقت جاز الا اذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلاة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلاة الوقت أتمها ثم قضى الفائتة ويستحب أن يعيد صلاة الوقت بعدها وقال أبو حنيفة يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم تزد على صلاة يوم وليلة حتى لو تذكر خلال صلاة الوقت بطلت الا أن يكون الوقت ضيقا فلا تبطل حجة الشافعي ما روي في حديث قتادة أنهم ناموا عن صلاة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يقودوا ركبهم

ثم صلاها ولو كان وقت الانتباه متعينا للصلاة لما فعل كذلك نعم انه وقت لتقرير الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة أبي حنيفة قوله تعالى أقم الصلاة لذكرى وقوله صلى الله عليه وسلم فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر أن عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق يسب كفار قريش و يقول يارسول الله ماصليت صلاة العصر حتى كادت تغيب الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا والله ماصليتها بعد قال فنزل في البطحاء وصلى العصر بعد ماغابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها وأما القياس فهما صلاتان فريضتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلاتي عرفة ومزدلفة فلما لم (٨٦) يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب أن يكون كذلك حكم الفوائت فيما دون اليوم والليلة وأما اذا دخل في حد الكثرة فيسقط هذا الترتيب ثم لما أمر موسى بالعبادة عامة و بالصلاة التي هي أفضلها خاصة علل ذلك بقوله (ان الساعة آتية) * سؤال كاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله (أكاد أخفيها) يكون معناه لا أخفيها وهو باطل لقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله (لتجزى كل نفس) انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيامة وكذا وقت الموت اشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية والجواب لانسلم أن كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بأنها آتية وان كان وقتها غير معين كأنه قال أكاد لا أقول هي آتية لفرط ارادة الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به و بالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال أراد أكاد أخفيها من نفسي أي لو صح اخفاؤها من نفسي لأخفيتها مني وأكدوا ذلك بأنهم وجدوه في مصحف أبي كذلك فقال قطرب هذا على عادة العرب في المخاطبة اذا بالغوا في كتمان الشيء قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب وأراد أنا أخفيها من الخلق كقوله عسى أن يكون قريبا أي هو قريب قاله الحسن وعن أبي مسلم اتقوا أن أكاد بمعنى أريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومنه قولهم لا أفعل ذلك ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله وقيل أكاد صلة والمعنى أن الساعة آتية أخفيها وقال أبو الفتح الموصلي الهمزة للازالة أي أكاد أظهرها معناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله ما روي عن أبي الدرداء وسعيد بن جبير أخفيها بفتح الهمزة من خفاه اذا أظهره وقوله (لتجزى) متعلق بأخفيها كما قلنا أو بآتية فلولا القيامة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وذلك خلاف قضية العدالة والحكمة واحتجاج المعتزلة بالآية ظاهر لانه قال (بما تسعى) أي بسعيها فلو لم يكن

عليه وسلم قال يؤتى بالجسر يعني يوم القيامة فيجعل بين ظهري جهنم قلنا يارسول الله وما الجسر قال مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان يمر المؤمنون عليها كالطرف والبرق وكالريح وكأجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مسلم ومكدوس في جهنم ثم يمر آخرهم يسحب سحبا فما أنتم بأشد مناشدة لي في الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار تبارك وتعالى اذا رأوهم قد نجوا وبقي اخوانهم **حدثني** أحمد بن عيسى قال ثنا سعيد بن كثير بن عفير قال ثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير قال سألت جابر بن عبد الله عن الورود فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو الدخول يردون النار حتى يخرجوا منها فآخر من يبقى رجل على الصراط يزحف فيرفع الله له شجرة قال فيقول أي رب أدنني منها قال فيدنيه الله تبارك وتعالى منها قال ثم يقول أي رب أدخلني الجنة قال فيقول سل قال فيسأل قال فيقول ذلك لك وعشرة أضعافه أو نحوها قال فيقول يارب تستهزئ بي قال فيضحك حتى تبدو لهواته وأضراسه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن أيوب ح **وحدثنا** أبو كريب قال ثنا محمد بن زيد عن رشدين جميعا عن زياد بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من حرس وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا يأخذه سلطان يحرس لهم النار بعينه الا تحلة القسم فان الله تعالى يقول وان منكم الا واردها **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات له ثلاثة لم تمسه النار الا تحلة القسم يعني الورود وأما قوله كان على ربك حتما مقضيا فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه كان على ربك قضاء مقضيا ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حتما قال قضاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج حتما مقضيا قال قضاء * وقال آخرون بل معناه كان على ربك قسما واجبا ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان قال سمعت السدي يذكر عن مرة الهمداني عن ابن مسعود كان على ربك حتما مقضيا قال قسما واجبا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كان على ربك حتما مقضيا يقول قسما واجبا * قال أبو جعفر وقد بينت القول في ذلك ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾ يقول تعالى ذكره ثم ننجي من النار بعد ورود جميعهم اياها الذين

أعمال العباد بسعيهم لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب أن اعتبار الوسط لا ينافي انتهاء الكل الى الله واستناد الجزاء الى عنايته الأزلية التي لا علة لها ومعنى الفاء في (فلا يصدنك) أنه اذا صح عندك اني أخبرتك بإتيان الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذي يصدك عن التصديق بالساعة لان قوله ناشئ عن الهوى واتباعه وجوز أبو مسلم أن يكون الضمير في (عنها) للصلاة والعرب تذكر شيئين ثم ترجع بضميرهما الى السامع اعتمادا على أنه يرد كلا منهما الى ما هو له وزيف بأن هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا وأما الخطاب فالظاهر أنه لموسى لان الكلام أجمع معه وجوز (٨٧) بعضهم أن يكون لنبينا عليه السلام والمقصود الامة والنهي عن الصد في الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهي لموسى عن التكذيب والوجه فيه أن صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب أو صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كأنه قيل كن في الدنيا صلبا حتى لا يطمع في اغوائك الكافر والذي دعا الى هذا النهي البالغ في معناه هو أن في المبطلين والجاحدين كثرة وهي مزلة قدم فعلى المرء أن يكون مع المحقين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوي عن التقليد والانذار بأن الردى والهلاك مع اتباع الهوى * وههنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعلمه كيلا يمكن الخصم من تشكيكه وزعم القاضي أن في نسبة الصد الى الكافر بالبعث دليلا على أن القبائح انما تصدر عن العباد وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا قال أهل التحقيق قوله أولا لموسى اخلع نعليك اشارة الى التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغي تحصيله وأصول ذلك

اتقوا الخافوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ونذر الظالمين فيها جثيا يقول جل ثناؤه وندع الذين ظلموا أنفسهم فعبدوا غير الله وعصوا رسله وخالفوا أمره ونهيه في النار جثيا يقول بروكا على ركبهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ونذر الظالمين فيها جثيا على ركبهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونذر الظالمين فيها جثيا قال الجثي شر الجلوس لا يجلس الرجل جاثيا الا عند كرب ينزل به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ان الناس وردوا جهنم وهي سوداء مظلمة فأما المؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم فأنجوا منها وأما الكفار فأوبقتهم أعمالهم واحتبسوا بذنوبهم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على الناس آياتنا التي أنزلناها على رسولنا محمد بينات يعني واضحات لمن تأملها وفكر فيها أنها أدلة على ما جعلها الله أدلة عليه لعباده قال الذين كفروا بالله وبكتابه وآياته وهم قريش للذين آمنوا بذلك فصدقوا به وهم أصحاب محمد أي الفريقين خير مقاما يعني بالمقام موضع اقامتهم وهي مساكنهم ومنازلهم وأحسن نديا وهو المجلس يقال منه ندوت القوم أندوهم ندوا اذا جمعتهم في مجلس ويقال هو في ندي قومه وفي نادهم بمعنى واحد ومن الندي قول حاتم

ودعيت في أولى الندي ولم * ينظر الي بأعين خزر

وتأويل الكلام واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا وأنعم بالا وأفضل مسكنا وأحسن مجلسا وأجمع عددا وعاشية في المجلس نحن أم أنتم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قوله خير مقاما وأحسن نديا قال المقام المنزل والندي المجلس حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن أبي ظبيان عن ابن عباس بمثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال المقام المسكن والندي المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم في القرآن فقال كم تركوا من

ترجع الى علم المبدا وهو قوله اني أنا الله والى علم الوسط وهو قوله فاعبدني وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكري رمز مشتمل على الأعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة آتية وأيضا انه افتتح الخطاب بقوله وأنا اخترتك وهو غاية اللطف وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى آخره وهو قهر تنبيها على أن رحمته سبقت غضبه وأن العبد لا بد أن يكون سلوكه على قدمي الرجاء والخوف قوله (وما تلك) مبتدأ وخبر و (بيمينك) حال منتصب بمعنى الاشارة أو الاستفهام وجوز الكوفيون أن يكون تلك اسما موصولا لصلته بيمينك أي ما التي بيمينك قيل لم يقل بيدك لأنه يحتمل أن يكون في يساره خاتم أو شيء آخر وكان يلتبس عليه الجواب ﴿ أسئلة ما الفائدة في

جوابه أن الصانع الماهر اذا أراد أن يظهر من الشئ الحقير كقطعة من حديد شيأ شريفا كاللبوس المسرد عرضه على الحاضرين ويقول ما هذا حتى انه بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويقول خذوا هذا من ذلك الذى قلتم فكأنه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما فى يمينك وأنه خشبة يابسة حتى اذا قلبه ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة وقال أهل الخطابة انه سبحانه لما أطلعه على تلك الأنوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء وأسمعه تسبيح الملائكة ثم أسمعه كلام نفسه مما زجابا للطف والقهر والتكاليف تحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك (٨٨) يا موسى ليعرف موسى أن يمينه هى التى فيها العصا وأيضا انه لما تكلم معه بالكلام الالهية وقرب موسى أن يدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة لا لأن المسؤل عنه مما يقع فيه الغلط كما أن السائل لا يجوز عليه الغلط تظيره حال المؤمن فى القبر يغلبه الوجل والخجل والحياء فيسئل عن أمر لا يشك فيه فى الدنيا وهو التوحيد دفعا للايحاش وجلبا للاستئناس وأيضا لما عرف موسى كمال الالهية أراد أن يعرفه نقصان البشرية فسأله عن منافع العصا فذكر ما ذكر فعرفه الله تعالى أن فيها منافع أجل مما ذكر تنبيها على أن عقول البشر قاصرة عن خفيات الأمور ولا التوفيق والارشاد * آخر خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا صلى الله عليه وسلم بواسطة جبرائيل فيلزم أن يكون موسى أفضل وجواب المنع بدليل فأوحى الى عبده ما أوحى وبيان الأفضلية أن كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سر لم يسأل له سواه وأيضا حصل لأمته فى الدنيا شرف التكليم المصلى يناجى ربه وفى الآخرة شرف التسليم والتسليم سلام قولا من رب رحيم وأيضا ان موسى كان عند استغراقه فى بحر المحبة متعلقا بالعصا ومنافعها ومحمد عليه السلام لم يلتفت الى الكونين حين عرضا عليه مازاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد القهار ولهذا لم يزد فى الثناء حينئذ على قوله أنت كما أثنيت على نفسك * ومنها أنكت منها أنه سبحانه لما أشار الى العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى حصل فى كل منهما برهان باهر ومعجز ماهر فصار أحدهما وهو الجماد حيوانا والآخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر فى كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاى عجب أن ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا ومنها أن العصا صارت بين عين موسى حيا فكيف لم يضئ بيت المؤمن الذى هو بين اصبعين من أصابع الرحمن حيا ومنها أن العصا باشارة واحدة صارت بحيث ابتلعت سحر السحرة كلهم

جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين فالمقام المسكن والنعيم والندى المجلس والمجمع الذى كانوا يجتمعون فيه وقال الله فيما قص على رسوله فى أمر لوط اذ قال وتأتون فى ناديكم المنكر والعرب تسمى المجلس النادى حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأحسن نديا يقول مجلسا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أى الفريقين قال قريش تقولها لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأحسن نديا قال مجالسهم يقولونه أيضا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى عيشهم خشونة وفيهم قشافة فعرض أهل الشرك بما تسمعون قوله وأحسن نديا يقول مجلسا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا قال الندى المجلس وقرأ قول الله تعالى فليدع ناديه قال مجلسه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا﴾ يقول تعالى ذكره وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين اذا تتلى عليهم آيات الرحمن أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا فأهلكنا أموالهم وغيرنا صورهم ومن ذلك قول علقمة بن عبدة

كيف كلون الارجوان نشرته * لبيع الرئى فى الصوان المكعب

يعنى بالصوان التخت الذى تصان فيه الثياب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس أحسن أثاثا ورئيا قال الرئى المنظر والاثاث المتاع حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمن عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال الرئى المنظر حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أحسن أثاثا ورئيا يقول منظرا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أحسن أثاثا ورئيا الاثاث المال والرئى المنظر حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله أثاثا ورئيا قال الاثاث أحسن المتاع والرئى قال المال حدثنا بشر

فقلب المؤمن أولى أن يصير بمدد نظر الرب في كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى عليه السلام يتم بقوله (هي عصاي) الا أنه زاد على ذلك لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كأنه سئل فما تصنع بها فأخذ في ذكر منافعها وقيل خاف أن ينكر عليه استصحاب العصا كالنعلين ومعنى (أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة والتركيب يدور على الشد والايثاق (وأهش بها) أي أخبط الورق بها على رؤس غنمي لتأكله والتركيب يدل على الرخاوة (٨٩) واللين ومنه رجل هش المكسر أي سهل الشأن فيما يطلب من الحوائج وهو مدح وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان يتكسر لرخاوته قال المحققون ان موسى عليه السلام كان يتوكأ على العصا وتحمد صلى الله عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا مع أمته حسبنا الله ونعم الوكيل فورد في حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أي حسبك وحسب من اتبعك وأيضا انه بدأ بصالح نفسه في قوله أتوكأ عليها ثم بصالح رعيته بقوله وأهش بها على غنمي وتحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل في الدنيا الا باصلاح أمر أمته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول موسى يوم القيامة نفسي نفسي وتحمد يقول أمتي أمتي ثم قال (ولي فيها مآرب) هي جمع المأربة بضم الراء الحاجة وقد تفتح الراء وحكى ابن الاعرابي وقطرب بكسر الراء أيضا ومثله الارب بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال (أخرى) لان المآرب في معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن آياتنا الكبرى قالوا انما أجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب فتطول مكالمته وقالوا انقطع بالهيبة كلامه فأجمل وقيل

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يقول الله تبارك وتعالى وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا أي أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرا فأهلك الله أموالهم وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله أحسن أثاثا ورئيا قال أحسن صورا وأكثر أموالا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أثاثا قال المتاع ورئيا قال قميا يرى الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ قالا ثنا جرير بن قابوس عن أبيه عن ابن عباس الأثاث المال والرئي المنظر الحسن حدثنا القاسم قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس ورئيا منظرا في اللون والحسن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أحسن أثاثا ورئيا قال الرئي المنظر والأثاث المتاع أحسن متاعا وأحسن منظرا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول في قوله أحسن أثاثا يعني المال ورئيا يعني المنظر الحسن * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وربا غيرهم مهموز وذلك اذا قرئ كذلك يتوجه لوجهين أحدهما أن يكون قارئه أراد الهمزة فأبدل منها ياء فاجتمعت الياء المبدلة من الهمز والياء التي هي لام الفعل فأدغمتا فجعلتا ياء واحدة مشددة ليلحقوا ذلك اذ كان رأس آية بنظائر ممن سائر رؤس الآيات قبله وبعده والآخر أن يكون من رويت أروى رؤية وريا واذا أريد به ذلك كان معنى الكلام وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن متاعا وأحسن نظرا لماله ومعرفة لتدبيره وذلك أن العرب تقول ما أحسن رؤية فلان في هذا الأمر اذا كان حسن النظر فيه والمعرفة به وقرأ ذلك عامة قراء العراق والكوفة والبصرة ورئيا بهمزها بمعنى رؤية العين كأنه أراد أحسن متاعا ومرآة وحكي عن بعضهم أنه قرأ أحسن أثاثا وزيا بالزاي كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا وذلك أن الزي هو الهيئة والمنظر من قولهم زي بيت الجارية بمعنى زينتها وهيأتها * قال أبو جعفر وأولى القراآت في ذلك بالصواب قراءة من قرأه أثاثا ورئيا بالراء والهمز لاجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه المنظر وذلك هو من رؤية العين لا من الروية فلذلك كان المهموز أولى به فان قرأ قارئ ذلك بترك الهمز وهو يريد هذا المعنى فغير مخطئ في قراءته وأما قراءته بالزاي فقراءة خارجة عن قراءة القراء فلا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءتهم وان كان لهم في التأويل وجه صحيح واختلف أهل العربية في الأثاث أجمع هو أم واحد فكان الأحمر فيما ذكر لي عنه يقول هو جمع واحدتها أثاثة كما الحام جمع

في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جنى بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار ألقاها على عاتقه فعلق بها أدواته من القوس والكنانة والجراب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها وألقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل ان موسى عليه السلام كان أحس بأنه تعالى انما سأله عن أمر العصا لمنافع عظيمة فقال الهي ما هذه العصا الا كغيرها ولكنك لما سألت عنها وكلتني بسببها عرفت أن لي فيها مآرب أخرى وقيل كان فيها من المعجزات أنه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا وتكونان شعبتين

بالليل واذا ظهر عدو حاربه عنه واذا استهى عمره زرعها فاورقت واعمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام وان كانت قبلها ففي صحة الرواية بعد والا كان الأنسب تقديمها عند تعداد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص أو من معجزات شعيب على ما روي أنه كان قد أعطاها اياه قال أهل النكت ان موسى لما قال ولي فيها مآرب أخرى أراد الله سبحانه أن يعرفه أن فيها مأربة أخرى لا يفطن لها و (قال ألقها يا موسى) وجوه آخر كان في رجله شئ وهو النعل وفي يده شئ وهو العصا والرجل آلة الهرب واليد آلة الطلب فأمر بتركهما تنبيها على أن السالك ما دام في مقام الطلب والهرب كان مشتغلا بنفسه وطالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق في بحر العرفان وفيه أن موسى عليه السلام مع جلالة منصبه وعلو شأنه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل وألقى العصا فأنت مع ألف وقر من المعاصي كيف يمكنك الوصول الى جنابه قال الكلبي الاستطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما أن توجد والعصا في يده فذلك قولنا أو توجد وهي خارجة عن يده وذلك تكليف بأنه يلقي ما ليس في يده وهكن أن يجاب بأن القدرة مع القاء العصا قوله (فاذا هي حية تسعى) وفي موضع آخر فاذا هي ثعبان وفي آخر كأنها جان عبارات عن معبر واحد لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم وأما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف في الظاهر لا في الحقيقي لانها حين انقلابها كانت تكون حية صغيرة دقيقة كالجان ثم تتورم وتتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا آخر الامر أو أنها كانت في شخص ثعبان وسرعة حركتها كالجان ولهذا وصفت بالسعي وهو المشي بسرعة وخفة حركة والعجب أن موسى قال أتوكأ عليها فصدقه الله تعالى في ذلك وجعلها معجزة له بأن كانت أعظم معجزاته وانما فعلها حية في ذلك الوقت لتكون معجزة لموسى عليه السلام يعرف بها نبوته نفسه بيان النداء والنور والكلام لم يكن في ظهور الدلالة كهذه ولان توالي المعجزات كتتابع الخلع والكرامات وأيضا لانه عرضها عليه ليشاهدها ويوطن نفسه عليها حتى لا يخافها عند عدوه فالولي يستر العيوب والعدو يبرز المناقب في صورة المثالب فكيف اذا وجد محال طعن وقدح وقد مر في الاعراف أن الحية كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها أربعون ذراعا فلما رأى ذلك الامر العجب فيما

واحدتها حمامة والسحاب جمع واحدتها سحابة وأما الفراء فانه كان يقول لا واحد له كما أن المتاع لا واحد له قال والعرب تجمع المتاع أمتعة وأماتيع ومتع قال ولو جمعت الاثاث لقلت ثلاثة آثة وأثث وأما الرئي فان جمعه آراء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم القائلين اذا تتلى عليهم آياتنا أي الفريقين منا ومنكم خير مقاما وأحسن نديا من كان منا ومنكم في الضلالة جائرا عن طريق الحق سالكا غير سبيل الهدى فليمدد له الرحمن مدا يقول فليطول له الله في ضلالته وليمله فيها إملاء ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فليمدعه الله في طغيانه وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله حتى اذا رأوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة يقول تعالى ذكره قل لهم من كان منا ومنكم في الضلالة فليمدد له الرحمن في ضلالته الى أن يأتيهم أمر الله اما عذاب عاجل أو يلقوا بهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها فانهم اذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين فسيعلمون من هو شر مكانا ومسكنا منكم ومنهم وأضعف جندا أهم أم أنتم ويتبينون حينئذ أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا﴾ يقول تعالى ذكره ويزيد الله من سلك قصد المحجة واهتدى لسبيل الرشد فآمن بربه وصدق بآياته فعمل بما أمره به وانتهى عما نهاه عنه هدى عا يتجدد له من الايمان بالفرائض التي يفرضها عليه ويقربلزوم فرضها اياه ويعمل بها فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه وذلك نظير قوله واذا أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقد كان بعضهم يتأول ذلك ويزيد الله الذين اهتدوا هدى بناسخ القرآن ومنسوخه فيؤمن بالناسخ كما آمن من قبل بالمنسوخ فذلك زيادة هدى من الله له على هداه من قبل والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا يقول تعالى ذكره والاعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات خير عند ربك جزاء لأهلها وخير مردا عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الايمان في الدنيا ، وقد بينا معنى الباقيات الصالحات وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك ودللنا على الصواب من القول فيه

الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال حتى ذهل عن الدلائل وأخذ يفر ولو أنه بلغ حينئذ مقام ففروا الى الله لم يفر عن شئ أو لعله لما حصل له مقام المكالمة بقى فى قلبه عجب فأراه الله تعالى أنه بعد فى نقص الامكان ولم يفاوت عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده فقد روى أنه لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحيها قال الشيخ أبو القاسم الانصارى ذلك الخوف من أقوى الدلائل على صدقه فى النبوة لان الساحر يعلم أن الذى أتى به عصاه فلا يخافه البتة وعن بعضهم أنه خافها لانه عرف ما لقى آدم منها قلت يحتمل أن يكون خوف موسى وهجرها ياها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله

فيما مضى عما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال جلس النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فأخذ عودا يابسا فحفظ ورقه ثم قال ان قول لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء اذا ذكر هذا الحديث قال لأهلان الله ولأكبرن الله ولأسبحن الله حتى اذا رآنى الجاهل حسب أنى مجنون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفرأيت ياأحمد الذى كفر بآياتنا حجدنا فلم يصدق بها وأنكر وعيدنا من أهل الكفر وقال وهو بالله كافر برسوله لأوتين فى الآخرة مالا وولدا وذكر أن هذه الآيات أنزلت فى العاص بن وائل السهمى أبى عمرو بن العاص ذكر الرواية بذلك **حدثنا** أبو السائب وسعيد بن يحيى قالا ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب قال كنت رجلا قينا وكان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فقال فاذا أنا مت ثم بعثت كما تقول جئتنى ولى مال وولد فقال فأنزل الله تعالى أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا الى قوله ويأتينا فردا **حدثنى** به أبو السائب وقرأ فى الحديث وولدا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاص بن وائل السهمى بدين فأتوه يتقاضونه فقال ألستم تزعمون أن فى الجنة فضة وذهبا وحريرا ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولدا ولأوتين مثل كتابكم الذى جئتم به فضرب الله مثله فى القرآن فقال أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا الى قوله ويأتينا فردا **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لأوتين مالا وولدا قال العاص بن وائل يقوله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا فذكر لنا أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوا رجلا من المشركين يتقاضونه دينا فقال أليس يزعم صاحبكم أن

(سنعيدها سيرتها الاولى) قال جار الله السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز أن ينتصب على الظرف أى فى طريقتها الاولى حال ما كانت عصا أو يكون أعاد منقولا بالهمزة من عاده بنزع الخافض بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين أو يكون المراد بالاعادة الانشاء ثانيا ونصب سيرتها بفعل مضمر فى موضع الحال أى سنعيدها تسير سيرتها الأولى حيث كنت تتوكأ عليها وتلك بالمآرب التى عرفتها ثم قوى أمره بمعجزة ثانية فقال (واضمم يدك الى جناحك) يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيهما والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما عند الطيران أى يميلهما فقيل المراد بالآية تحت العضد بدليل قوله (تخرج) وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بأنه لا يطابقه قوله تخرج قلت لا شك أن الصدر مستور بالقميص فيظهر عند ذلك معنى الخروج ويفسره قوله فى موضع آخر وأدخل يدك فى جيبك والسوء الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة والبرص أبغض شئ عند العرب بحيث تجبه أسماعهم فكان جديرا بأن يكنى عنه ومعنى (بيضاء) أنها تنور كشعاع الشمس قال فى الكشاف من غير سوء من صلة البياض كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعله أراد أن من للتعليل أى ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته ترجع الى الابتداء وبيضاء وآية حالان معا أو متداخلتان واحتمل أن ينتصب آية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ دونك وقوله (لنريك) اما أن يتعلق بهذا المحذوف أو بمحذوف آخر أى لنريك (من آياتنا) فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندى أن يتعلق بالامرين المذكورين أى ألقها واضمم لنريك قال الحسن اليدى الايدى أمثال

الرداءة والقبح فى كل شئ فكنى به عن البرص كما كنى عن العورة بالسوءة والبرص أبغض شئ عند العرب بحيث تجبه أسماعهم فكان جديرا بأن يكنى عنه ومعنى (بيضاء) أنها تنور كشعاع الشمس قال فى الكشاف من غير سوء من صلة البياض كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعله أراد أن من للتعليل أى ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته ترجع الى الابتداء وبيضاء وآية حالان معا أو متداخلتان واحتمل أن ينتصب آية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ دونك وقوله (لنريك) اما أن يتعلق بهذا المحذوف أو بمحذوف آخر أى لنريك (من آياتنا) فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندى أن يتعلق بالامرين المذكورين أى ألقها واضمم لنريك قال الحسن اليدى الايدى أمثال

من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بأنه ليس فى اليد الا تغير اللون وأما فى العصا ففيه تغير اللون والزيادة فى الحجم وخلق الحياة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى وجوز فى الكشاف أن يكون المراد لنريك بهما الكبرى من آياتنا ورد عليه لزوم أن تكون الآيات الكبرى منحصرة فيهما وليس كذلك فان معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أكبر من الكل وكفانا بالقرآن شاهدا على ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال (اذهب الى فرعون) وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة فى ذلك فقال (انه طغى) وعن وهب أن الله تعالى قال لموسى استمع كلامى واحفظ وصيتى وانطلق برسالتى فانك بعينى وبسمعى وان معك يدى وبصرى والى أبلستك حجة من سلطانى لتستكمل بها القوة فى أمرى بعثتك الى خلقى ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وغره الدنيا حتى جحدنى وأنكر تقديسى وانى أقسم بعزتى لولا الحجة والعذر الذى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار شديدة ولكن هان على وسقط من عينى فبلغ عنى رسالتى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا وان ناصيته بيدى لا يطرف ولا يتنفس الا بعلمى فى كلام طويل قال فمكث موسى سبعة أيام ثم ياءه ملك فقال له أجب ربك فيما أمرك فعند (قال رب اشرح لى صدرى) قال علماء المعانى أبهم أولا بقوله رب اشرح لى ويسر لى فعلم ان ثمة مشروحا وميسرا ثم بين فرفع الابهام بذكر الصدر والامر وكان أوكد من جهة الاجمال ثم التفصيل كان فى صدر موسى ضيق كما جاء فى موضع آخر ويضيق صدرى فسأل الله أن يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما أنزل عليه من الوحى وقيل أراد شجعنى على مخاطبة فرعون وعلى تحمل أعباء الرسالة واعلم أن الكلام فى الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق مستوفى فى البقرة فى تفسير قوله سبحانه واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ولنذكر ههنا نكتا شريفة الأولى أنه تعالى كامل عن

فى الجنة حريرا وذهبا قالوا بلى قال فيعادكم الجنة فوالله لا أومن بكتابكم الذى جئتم به استهزاء بكتاب الله ولأوتين مالا وولدا يقول الله أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال قال خباب بن الأرت كنت قينا بمكة فكنت أعمل للعاص بن وائل فاجتمعت لى عليه دراهم فجئت لأتقاضاه فقال لى لا أقضيك حتى تكفر بمحمد قال قلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاذا بعثت كان لى مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الى ويأتينا فردا * واختلفت القراء فى قراءة قوله وولدا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وولدا بفتح الواو من الولد فى كل القرآن غير أن أبا عمرو بن العلاء خص التى فى سورة نوح بالضم فقرأها مالهو ولده وأما عامة قراء الكوفة غير عاصم فانهم قرؤا من هذه السورة من قوله مالا وولدا الى آخر السورة واللتين فى الزخرف والتى فى نوح بالضم وسكون اللام * وقد اختلف أهل العربية فى معنى ذلك اذا ضمت واوه فقال بعضهم ضمها وفتحها واحدوا نما هما لغتان مثل قولهم العدم والعدم والحزن والحزن واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر

فليت فلانا كان فى بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار

وبقول الحرث بن حلزة

ولقد رأيت معاشرا * قد ثمروا مالا وولدا

وقول رؤبة

الحمد لله العزيز فردا * لم يتخذ من ولد شيئا ولدا

وتقول العرب فى مثلها ولدك من دمى عقيبك قال وهذا كله واحد بمعنى الولد وقد ذكر لى أن قيسا تجعل الولد جمعا والولد واحدا ولعل الذين قرؤا ذلك بالضم فيما اختار وافيه الضم انما قرؤه كذلك ليفرقوا به بين الجمع والواحد * قال أبو جعفر والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك عندى أن الفتح فى الواو من الولد والضم فيها بمعنى واحد وهما لغتان فبأيتهما قرأ القارئ فصيب الصواب غير أن الفتح أشهر اللغتين فيهما والقراءة به أعجب الى لذلك وقوله أطلع الغيب يقول عز ذكره أعلم هذا القائل هذا القول علم الغيب فعلم أن له فى الآخرة مالا وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه أم اتخذ عند الرحمن عهدا يقول أم آمن بالله وعمل بما أمره به وانتهى عما نهاه عنه فكان له بذلك عند الله عهد أن يؤتيه ما يقول من المال والولد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

فى الازل الا أنه غير كامل فى الازل لان التكميل عود جعل الشئ كاملا ولا شئ معه فى الازل فلا تكميل وذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم عددا مفصلا لحركات أهل الجنة لان كل ما له عدد مفصل فهو متناه وحركات أهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا لقصور فى العلم بل لكونه فى نفسه ممتنع الحصول ولما كان الغرض من التكوين تكميل الناقصين وكان الوجود أول صفة من صفات الكمال أجلس الله سبحانه على [illegible] بعض المعدوم ما لا نهاية له أجلس الكل على الدخول فى الوجود ما لا نهاية له ولانتهت القدرة الذاتية لامتناع ايجاد الموجود وكما

أن رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات دون بعض حتى صار ذلك البعض حيا مدركا للمنافي والملائم واللذة والألم والخير والشر فقال الأحياء عند ذلك يارب الأرباب شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحياة ولكن ازدادت حاستنا الا تحال العدم وحال الجمادية ما كنا نحتاج الى الملائم والمخالف والموافق وما كنا نخاف المنافي والمؤذي والآن احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد في الطريق عرضة للآفات وعدة للسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص بعض الموجودات بالحياة فقال القادرون عند ذلك الهنا الجواد الكريم ان الحياة والقدرة بلا عقل لا تكون الا للبهائم المسخرة في حمل الاثقال فافض علينا من العقل الذي هو أشرف مخلوقاتك فاعطى بعضهم العقل فصل في أرواحهم نور البصيرة وجوهر الهداية ختامه مسك كما أن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم كان أفضل المخلوقات فنظر العقل في نفسه فرأى نفسه كالحقيقة المملوءة من الجواهر بل كسماء مزينة بالزواهر وهي العلوم الضرورية البديهية المركوزة في بداية العقول وصرائح الأذهان يهتدي بها السائرون في ظلمات براري الشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الأرقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فغلبته دهشة الأنوار الأزلية وكاد يغرق في بحر الفكر ويضيق عليه نطاق التأمل والتدبر ويقع في تجاذب أيدي الأعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري فانتهاء جميع الحوادث اليه وتيسير الأمور الكلية والجزئية من عنده وهو الذي يعطي القابل قابليته والفاعل فاعليته * الثانية ان تعالى خاطبه أولا بالتوحيد فقال أنا الله لا اله الا أنا وثانيا بالعبادة فاعبدني وثالثا بمعرفة المعاد ان الساعة آتية ورابعا بمعرفة الحكمة في جملة أفعاله وما تلك بيمينك وخامسا بعرض المعجزات الباهرة عليه لتريك من آياتنا الكبرى وسادسا بارساله الى أعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا لضيق العطن وانحلال عقدة الصبر فلا جرم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وههنا دقيقة هي أن شرح الصدر مقدمة لسطوع الأنوار الالهية في القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما أعطى موسى المقدمة بقوله فاستمع لنسج موسى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لي صدري ولما آل الأمر الى محمد وكان خاتم النبيين ومقصودا من الكائنات ومخاطبا بقوله ألم نشرح لك صدرك أوتي النتيجة فقيل له وقل رب زدني علما ووصف بقوله ويسر امامنيرا

عن قتادة أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا بعمل صالح قدمه * القول في تأويل قوله تعالى ﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾ يعني تعالى ذكره بقوله كلا ليس الأمر كذلك ما اطلع الغيب فعلم صدق ما يقول وحقيقة ما يذكر ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالايمان بالله ورسوله والعمل بطاعته بل كذب وكفر ثم قال تعالى ذكره سنكتب ما يقول أي سنكتب ما يقول هذا الكافر به القائل لأوتين في الآخرة مالا وولدا ونمد له من العذاب مدا يقول ونزيده من العذاب في جهنم بقيله الكذب والباطل في الدنيا زيادة على عذابه بكفره بالله وقوله ونرثه ما يقول يقول عز ذكره ونسلب هذا القائل لأوتين في الآخرة مالا وولدا ما له وولده ويصير لنا ماله وولده دوننا ويأتينا هو يوم القيامة فردا وحده لا مال معه ولا ولد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ونرثه ما يقول ماله وولده وذلك الذي قال العاصي ابن وائل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونرثه ما يقول ويأتينا فردا لا مال له ولا ولد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ونرثه ما يقول قال ما عنده وهو قوله لأوتين مالا وولدا وفي حرف ابن مسعود ونرثه ما عنده حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونرثه ما يقول قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال ويأتينا فردا قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ونرثه ما يقول (١) نرثه * القول في تأويل قوله تعالى ﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا﴾ يقول تعالى ذكره واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله ليكون هؤلاء الآلهة لهم عزا يمنعونهم من عذاب الله ويتخذون عبادتهم اياها عند الله زلفى وقوله كلا يقول عز ذكره ليس الامر كما ظنوا وأملوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله في أنها تنقذهم من عذاب الله وتنجيهم منه ومن سوء ان أراده بهم ربهم وقوله سيكفرون بعبادتهم يقول عز ذكره ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة اياها وكفرهم بها قيلهم لربهم تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك وتبرؤا منهم وذلك كفرهم بعبادتهم وأما قوله ويكونون عليهم ضدا فان

(١) كذا في ابن كثير أيضا والذي في الدر عن ابن عباس ونرثه ما يقول ماله وولده كتبه مصححه

فشرح الصدر هو أن يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطى للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين الآخذ والمعطى ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من أمة محمد * الثالثة انه تعالى ذكر عشرة أشياء ووصفها بالنور أحدها وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذي أنزل معه ورابعها الايمان يريدون أن يطفؤا نور الله وخامسها عدل الله وأشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا أنزلنا (٩٤) التوراة فيها هدى ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكاة فيها مصباح فكأن موسى عليه السلام قال أولا رب اشرح لي صدري بمعرفة أنوار جلالك كما يائك وثانيا رب اشرح لي صدري بالتخلق بأخلاق رسلك وأنبيائك وثالثا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال أمرك ونهيك ورابعا رب اشرح لي صدري بنور الايمان واليقان بالهيتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على أسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا رب اشرح لي صدري بالانتقال من نور تمثيلك وقربك الى أنوار جلالك وعزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لي صدري عن مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على محامع آياتك ومعاقد بيناتك في أرضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري في أن أكون خلف صدق أنبيائك المتقدمين متشبها بهم في الانقياد لحكم رب العالمين وعاشرا رب اشرح لي صدري بأن تجعل سراج الايمان كالمشكاة التي فيها المصباح * الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج يحتاج الى سبعة أشياء زند وحجر وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند الجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر الحجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق * وبنحو

أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وتكون آلهتهم عليهم عونا وقالوا الضد العون ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويكونون عليهم ضدا يقول أعوانا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويكونون عليهم ضدا قال عونا عليهم تخاصمهم وتكذبهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ويكونون عليهم ضدا قال أوثانهم يوم القيامة في النار * وقال آخرون بل عني بالضد في هذا الموضع القرناء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ويكونون عليهم ضدا يقول يكونون عليهم قرناء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويكونون عليهم ضدا قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ضدا قال قرناء في النار * وقال آخرون معنى الضد ههنا العدو ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ويكونون عليهم ضدا قال أعداء * وقال آخرون معنى الضد في هذا الموضع البلاء ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويكونون عليهم ضدا قال يكونون عليهم بلاء الضد البلاء والضد في كلام العرب هو الخلاف يقال فلان يضاد فلانا في كذا اذا كان يخالفه في صنيعه فيفسد ما أصلحه ويصلح ما أفسده واذ كان ذلك معناه وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرؤن منهم ويتفون يومئذ صاروا لهم أضدادا فوصفوا بذلك * وقد اختلف أهل العربية في وجه توحيد الضد وهو صفة لجماعة فكان بعض نحويي البصرة يقول وحد لانه يكون جماعة وواحدا مثل الرصد والأرصاد قال ويكون الرصد أيضا الجماعة وقال بعض نحويي الكوفة وحد لان معناه عونا وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك الأزدي يقرأ كلا سيكفرون يعني الآلهة كلها انهم سيكفرون بعبادتهم * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله تؤزهم يقول تحركهم بالاغواء والاضلال فتزعجهم الى معاصي الله وتغريهم بها حتى يواقعوها أزا ازعاجا واغواء

منع الهوى ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وأنيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلاة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لأزيدنكم والدهن الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا صلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي أن تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لي صدري فهنالك تسمع قد أوتيت سؤلك يا موسى * الخامسة هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر أفضل من الشمس الجسمانية لوجوه أحدها الشمس يحجبها الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب

وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي أسرى بعبده ليلا الليل للعاشقين ستير بالليت أوقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى أصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر انكسفت وشمس توحيد المعرفة وهي أشهد أن لا اله الا الله اذا لم تقرن بقمر النبوة وهي أشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل نوره الى عالم الجوارح وخامسها الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجوه يوم تبيض وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق جزيا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وسابعها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وبوجه آخر الشمس زينة لأهل الارض والمعرفة زينة لأهل السماء وتاسعها الشمس فوقاني الصورة تحتاني المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه أن الخيبة مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف أحوال الخلق والمعرفة تصل القلب الى الخالق والشمس تقع على الولي والعدو والمعرفة لا تحصل الا الاولى ولما كان شرح الصدر الذي هو أول مراتب الروحانيات أشرف من أعلى مراتب الجسمانيات بدأ موسى بطلبه فقال رب اشرح لي صدري السادسة الشمس سراج أوقدها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقده للبقاء يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق يحدله شهابا رصدا والذي خلقه للبقاء كيف يقرب منه الشيطان رب اشرح لي صدري وأيضا الشمس في السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها الا نها في قلبك أولى أن تزيل ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وأيضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده وعمده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان فأفلاعده وهو معنى قوله رب اشرح لي صدري وأيضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانه سبحانه قد أوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب الشيطان منه رب اشرح لي صدري وأيضا المجوس اذا أوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا أوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى باطفائها رب اشرح لي صدري * السابعة أنه سبحانه أعطى قلب المؤمن تسع كرامات أحدها أن من كان مسلما فاحسن الله

---

* ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أزا يقول تغريهم اغراء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تؤزهم تزعجهم اغراء في الشر لتمضن امض في هذا الامر حتى توقعهم في النار امضوا في الغي امضوا حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس عن جويبر عن الضحاك في قوله تؤزهم أزا قال تزعجهم اغراء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تؤزهم أزا قال تزعجهم ازعاجا في معصية الله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن عفة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة في قول الله تؤزهم أزا قال تزعجهم الى معاصي الله ازعاجا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله تؤزهم أزا قال تزعجهم ازعاجا في معاصي الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا فقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال تؤزهم أزا قال تسلطهم اشلاء على معاصي الله تبارك وتعالى وتغريهم عليها كما يغري الانسان الآخر على الشيء يقال منه أزرت فلانا بكذا اذا أغريته به أؤزه أزا وأزيزا وسمعت أزيز القدر وهو صوت غليانها على النار ومنه حديث مطرف عن أبيه أنه انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وقوله فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا يقول عز ذكره فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك يا محمد انما نعد لهم عدا يقول فانما نؤخرهم لاهلاكهم ليزدادوا اثما ونحن نعد أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما نعد لهم عدا يقول أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا فهي معدودة كسنهم وآجالهم * القول في تأويل قوله تعالى ﴿يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا﴾ يقول تعالى ذكره يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه فاجتنبوا ذلك معاصيه وأدوا فرائضه الى ربهم وفدا يعني بالوفد الركبان يقال وفدت على فلان اذا قدمت عليه وأوفد القوم وفدا على أميرهم اذا بعثوا من قبلهم بعثا والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع ولكنه وحد لانه مصدر واحدهم وافد وقد يجمع الوفد الوفود كما قال بعض بني حنيفة

انى لمتدح فما هو صانع * رأس الوفود مزاحم بن جساس

عليه وسلم من أحيا أرضا ميتة فهي له فيعلم أنه لما خلق أرض القلب فأحياها بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب. وثانيها الشفاء و يشفى صدور قوم مؤمنين وفيه أنه اذا وضع الشفاء في العسل بقيت تلك الخاصية فيه أبدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى أبدا وثالثها الطهارة أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه أن الصائغ اذا امتحن الذهب فبعد ذلك لا يدخله في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعده ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم يهدي نفسك والقرآن يهدي روحك والمولى يهدي قلبك والاول قد يحصل (٩٦) وقد لا يحصل انك لا تهدي من أحببت وكذا الثاني يضل به كثيرا و يهدي به كثيرا وأما هداية القلب فلا تزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة أولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه أن القرطاس اذا كتب فيه القرآن لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع أحكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وأيضا ان بشرا الحافي أكرم قرطاسا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله أولى بذلك وأيضا ان القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم قدره حتى انه لا يجوز للجنب والحائض مسه فانظر قلب الذي فيه أكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث أن يمسه وسادسها هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين وفيه أن أبا بكر لما نزلت عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه فلا بد أن يقال له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفيه أن الدهقان اذا ألقى في الارض حبة فهو لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين ألقى حبة المحبة في أرض القلب كيف يحرقها وثامنها وألف بين قلوبكم وفيه أن محمدا حين ألف بين قلوب أصحابه

وقد يكون الوفود في هذا الموضع جمع وافد كالجلوس جمع جالس * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا ابن فضيل عن عبد الرحمن بن اسحق عن النعمان بن سعد عن علي في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال أما والله ما يحشرون على أرجلهم ولا يساقون سوقا ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحال الذهب وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن اسمعيل عن رجل عن أبي هريرة يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا يقول ركبانا حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس الملائي قال ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة وأطيبها ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا أن الله طيب ريحك وحسن صورتك فيقول كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة الى الرحمن وفدا قال وفدا الى الجنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على النجائب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال سمعت سفيان الثوري يقول يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال على الابل النوق وقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يقول تعالى ذكره ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا الى جهنم عطاشا والورد مصدر من قول القائل وردت كذا أرده وردا ولذلك لم يجمع وقد وصف به الجمع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا يقول عطاشا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة عن اسمعيل عن رجل عن أبي هريرة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا حدثني يعقوب والفضل بن صباح قالا ثنا اسمعيل بن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول في قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن يونس عن الحسن مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الى جهنم وردا قال ظماء الى النار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونسوق المجرمين الى جهنم وردا سوقا والله بهم ظمء عطاش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال سمعت سفيان وذكر الليل في قوله

ق

ما تركهم غيبة ولا حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرمين وأرحم الراحمين كيف يتركهم سلام فولا من رحيم وتاسعها الطمأنينة ألا بذكر الله تطمئن القلوب وفيه أن الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي للهمات لا يكون الا من له كمالات غير متناهيات فلا يزيل قلق الحوائج واضطراب الاماني الا الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات ورد في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ثم انصرفوا انصرف الله قلوبهم في قلوبهم مرض فلوبهم قاسية انا جعلنا

على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ختم الله على قلوبهم أم على قلوب أقفالها بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والهرب من أضدادها قال موسى رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى * الثامنة فى حقيقة شرح الصدر وذلك أن لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بأن يكون متعلق القلب الاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بأن يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل فى موضع واحد ظهر أثرها وقويت فائدتها فسأل موسى ربه أن يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها (٩٧) بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا

ونسوق المجرمين الى جهنم وردا قال عطاشا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ يقول تعالى ذكره لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد يوم يحشر الله المتقين اليه وفدا الشفاعة حين يشفع أهل الايمان بعضهم لبعض عند الله فيشفع بعضهم لبعض إلا من اتخذ منهم عند الرحمن فى الدنيا عهدا بالايمان به وتصديق رسوله والاقرار بما جاء به والعمل بما أمره به كما حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال العهد شهادة أن لا اله الا الله و يتبرأ الى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال عملا صالحا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا أى بطاعته وقال فى آية أخرى لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان فى أمتى رجلا ليدخلن الله بشفاعته الجنة أكثر من بنى تميم وكنا نحدث أن الشهيد يشفع فى سبعين من أهل بيته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى المليح عن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شفاعتى لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيأ ومن فى قوله الا من فى موضع نصب على الاستثناء ولا يكون خفضا بضمير اللام ولكن قد يكون نصبا فى الكلام فى غير هذا الموضع وذلك كقول القائل أردت المرور اليوم الا العدو فانى لا أمر به فيستثنى العدو من المعنى وليس ذلك كذلك فى قوله لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا لأن معنى الكلام لا يملك هؤلاء الكفار الا من آمن بالله فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا فانه ينبغى أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا فيكون معناه عند ذلك إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا فأما اذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين فان من تكون حينئذ نصبا على أنه استثناء منقطع فيكون معنى الكلام لا يملكون الشفاعة لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الكافرون بالله اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه لقد جئتم أيها الناس شيأ عظيما من القول منكرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال

معنى قوله رب اشرح لى صدرى أو نقول انه لما كلف بضبط الوحى فى قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق فى قوله فاعبدنى فكأنه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى أحدهما يمنع من الاشتغال بالآخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لى صدرى أو نقول معدن النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم فى الدارين صغروا فى عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة الى شئ مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شئ من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب بل الصدر للنور رب اشرح لى صدرى * التاسعة لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والفؤاد كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذى يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهيد الذى يشتغل بالضرب والتأديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك مطاع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا أخرج الروح وزيره وهو العقل أخرج الشيطان فى مقابله الهوى فجعل العقل يدعو الى الله تعالى والهوى الى الشيطان ثم ان الروح أخرج الفطنة اعانة للعقل فأخرج الخصم فى مقابلته الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تحسن لذات الدنيا ثم ان الروح أمد الفطنة بالفكرة لتوقفك على الحاضر والغائب من المعايب على ما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة فأخرج الشيطان فى مقابلة الفكرة الغفلة ثم أخرج

الروح الحلم والثبات فان العجلة ترى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فأخرج الشيطان بازائه العجلة والسرعة فلهذا قال صلى الله عليه وسلم ما دخل الرفق فى شئ الا زانه وما دخل الخرق فى شئ الا شانه وخلق السموات والارض فى ستة أيام ليتعلم منه الرفق والثبات فهذه هى الخصومة الواقعة بين الصفين وقلبك وبيدك هو المعركة ثم ان لهذا الصدر الذى هو القلعة خندقا وهو الزهد فى الدنيا وله سور وهو الرغبة فى الآخرة فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده فانهزموا وان كان بالضد دخل الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء الظن بالله ومن البهيمة والغيبة وسائر الخصال الذميمة وينحصر الملك فى القصر ويضيق

الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق وأخرج هذا العسكر من القلعة انفسح وانشرح رب اشرح لى صدرى * النكتة العاشرة فى الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام أفمن شرح الله صدره للاسلام والقلب مقر الايمان حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما رأى واللب مقام التوحيد انما يتذكر أولوا الالباب أى الذين خرجوا من قشر الوجود المجانى وبقوا بلب الوجود الحقيقى ثم ان القلب كاللوح المحفوظ فى العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة التوفيق وألقاها فى بحار أمواج المعقولات من عالم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رياح السعادة تارة وتدبر الادبار أخرى فحينئذ يضطر الراكب الى التماس أنوار الهدايات وطلب افتتاح أبواب السعادات فيقول رب اشرح لى صدرى وانما سأل موسى شرح الصدر دون القلب لان انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وأيضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحوادث يكفيه الاشارة فاذا

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله شيأ إدا يقول قولا عظيما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لقد جئتم شيأ إدا يقول لقد جئتم شيأ عظيما وهو المنكر من القول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا ثنا ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله شيأ إدا قال عظيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله شيأ إدا قال عظيما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد جئتم شيأ ادا قال جئتم شيأ كبيرا من الامر حين دعوا للرحمن ولدا وفى الادّ لغات ثلاث يقال لقد جئت شيأ ادّا بكسر الالف وأدّا بفتح الالف وآدّا بفتح الالف ومدها على مثال مادّ فاعل وقرأه قراء الامصار بكسر الالف وبها نقرأ وقد ذكر عن أبى عبد الرحمن السلمى أنه قرأ ذلك بفتح الالف ولا أرى قراءته كذلك خلافا قراءة قراء الامصار والعرب تقول لكل أمر عظيم ادّ وإمر ونكر ومنه قول الراجز

لقد لقى الاعداء منى نكرا * داهية دهياء إدّا إمرا

ومنه قول الآخر (١) * فى لهث منه وحش ادّا *

وقوله تكاد السموات يتفطرن منه يقول تعالى ذكره تكاد السموات يتشققن قطعا من قيلهم اتخذ الرحمن ولدا ومنه قيل فطر نابه اذا انشق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا أن دعوا للرحمن ولدا قال ان الشرك فزعت منه السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت أن تزول منه اعظاما لله وكما لا ينفع مع الشرك احسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة قالوا يا رسول الله فمن قالها فى صحته قال ثلاث أوجب وأوجب ثم قال والذى نفسى بيده لو جئ بالسموات والأرضين وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن فى كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا اله الا الله فى الكفة الأخرى لرجحت بهن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدّا

(١) لم نعثر عليه فحرره

علم أنه طالب لمقدمة فلا يليق بكرمه أن يمنعه النتيجة وأيضا انه راعى الادب فى الطلب فاقتصر على طلب الادنى ذكر فلاجرم أعطى المقصود فقال قد أوتيت سؤلك يا موسى وحين اجترأ فى طلب الرؤية بقوله أرنى أنظر اليك أجيب بقوله لن ترانى واعلم أن جميع المهيآت الممكنة كالبلور الصافى الموضوع فى مقابلة شمس القدس ونور العظمة ومشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة اليها بأسرها فتنعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحرق القلب ومعلوم أن المحرق كلما كان أكثر كان الاحتراق أتم فلهذا قال موسى رب اشرح لى صدرى حتى أقوى على ادراك درجات الممكنات وأصل الى مقام الاحتراق بأنوار الجلال كما قال

نبينا صلى الله عليه وسلم أرنى الاشياء كما هى وههنا دقيقة وهى أن موسى لما زاد لفظة لى فى قوله رب اشرح لى دون أن يقول رب اشرح صدرى علم أنه أراد أن تعود منفعة الشرح اليه فلاجرم يقول يوم القيامة نفسى نفسى وان نبينا صلى الله عليه وسلم لما لم ينس أمته فى مقام القرب اذ قيل له السلام عليك أيها النبى فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلاجرم يقول يوم القيامة أمتى أمتى وشتان ما بين نبى يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لى صدرى وبين نبى يخاطب أولا بقوله ألم نشرح لك صدرك ولا يخفى أن المراد بالشرح والتيسير عند أهل السنة هو خلقهما وعند المعتزلة تحريك الدواعى والبواعث بفعل الالطاف المسهلة (٩٩) فانه يحتمل أن يكون هناك من الالطاف مالا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال أما قوله سبحانه (واحلل عقدة من لسانى) فاعلم أن النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بغير توسيط العاطف كأنه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفى لسان الشاعر وهو زهير

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم يبق الا صورة اللحم والدم

وعن على كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة مصورة أو بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء بأصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفى مناظرة آدم والملائكة لم تظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق وهذا النطق وان كان فى التحقيق هو ادراك المعانى الكلية لكن النطق اللسانى لا ريب أنه أظهر خواص الآدمى وقد نبط به أمر تعلمه والتعبير عما فى ضميره فقول موسى رب اشرح لى صدرى اشارة الى طلب النور الواقع فى القلب وقوله ويسر لى أمرى رمز الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل عقدة لسانى طلب لسهولة أسباب التكميل لان اللسان آلة الافاضة والافادة وبه يتيسر ذلك الخطب الجسيم والمنصب العظيم

ذكرنا أن كعبا كان يقول غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا وقوله وتنشق الارض يقول وتكاد الارض تنشق فتنصدع من ذلك وتخر الجبال هدا يقول وتكاد الجبال يسقط بعضها على بعض سقوطا والهد السقوط وهو مصدر هددت فأنا أهد هدا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتخر الجبال هدا يقول هدما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وتخر الجبال هدا قال الهد الانقضاض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخر الجبال هدا قال غضبا لله قال ولقد دعه هؤلاء الذين جعلوا لله هذا الذى غضبت السموات والارض والجبال من قولهم لقد استتابهم ودعاهم الى التوبة فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قالوا هو وصاحبته وابنه جعلوهما الهين معه ومامن اله الا اله واحد الى قوله ويستغفرونه والله غفور رحيم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا﴾ يقول تعالى ذكره وتكاد الجبال أن تخر انقضاضا لأن دعوا للرحمن ولدا فأن فى موضع نصب فى قول بعض أهل العربية لانصالها بالفعل وفى قول غيره فى موضع خفض بضمير الخافض وقد بينا الصواب من القول فى ذلك فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقال أن دعوا للرحمن ولدا يعنى بقوله أن دعوا أن جعلوا له ولدا كما قال الشاعر

ألا رب من تدعو نصيحا وان تغب * تجده بغيب غير مستصح الصدر

وقال ابن أحمر

أهوى لها مشقصا حشرا فشبرقها * وكنت أدعو قذاها الاثمد الفردا

وقوله وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا يقول وما يصلح لله أن يتخذ ولدا لأنه ليس كالخلق الذين تغلبهم الشهوات وتضطرهم اللذات الى جماع الاناث ولا ولد يحدث الا من أنثى والله يتعالى عن أن يكون كخلقه وذلك كقول ابن أحمر

فى رأس خلقاء من عنقاء مشرقة * ما ينبغى دونها سهل ولا جبل

يعنى لا يصلح ولا يكون ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا يقول ما جميع من فى السموات من الملائكة وفى الارض من البشر والانس والجن الا آتى الرحمن عبدا يقول الا يأتى ربه يوم القيامة عبدا له ذليلا خاضعا مقرا له بالعبودية لا نسب بينه وبينه وقوله آتى الرحمن انما هو

وحسبك بافتى شرفا وفخرا * سكوت الحاضرين وأنت قائل

ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم الصمت حكمة وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفى نوابغ الكلم يابنى قال لا تقرع قفاك ومنها أن الكلام خمسة أقسام فالذى ضرره خالص أو غالب أو مساو للنفع واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذى نفعه خالص أو غالب عسر المرام فالاولى تركه ومنها أنه ما من موجود أو معدوم معلوم أو موهوم الا واللسان يتناوله باثبات أو نفى بحق أو بباطل بخلاف سائر الاعضاء فالعين لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات والحروف واليد لا تصل الا الى الاجسام وكذا باقى الجوارح أما اللسان فانه رحب الميدان واسع

المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى آلات وأدوات للعصمة به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصاف أن الصمت في نفسه ليس بفضيلة لانه أمر عدمي والنطق في نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عدد هاذلك القائل فيرجع الحق الى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قال خيرا فغنم أو سكت فسلم قالوا ترك الكلام له أربعة أسماء الصمت وهو أعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق كقولهم مال ناطق أو صامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وأنصتوا (١٠٠) والاصاخة وهو الاستماع الى ما يصعب ادراكه بالسر والصوت من المكان البعيد أما العقدة فقيل انها كانت في أصل خلقته وعن ابن عباس أنه في حال صباه أخذ بلحية فرعون ونتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذي يزول ملكي على يده فقالت آسية انه صبي لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمرة والجمرة وقيل بالياقوت والجمر فاحضرا بين يديه فأراد مد اليد الى الياقوت فحول جبرائيل يده الى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه فظهر به تعقد وتحبس عن بعض الحروف فان صحت هذه الرواية فالنار انما أحرقته وأثرت فيه اطفاء لثائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكما في حق موسى حين ألقي في التنور ويروى أن يده احترقت أيضا وأن فرعون اجتهد في علاجها فلم ير أولما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عذرت عنها وعن بعض العلماء أنه لم تبرأ يده لئلا يتعقد بينه وبين فرعون حرمة المؤاكلة من قصعة واحدة وقيل لم تحرق يده لان الصولة تظهرت باليد وانما احترق اللسان لانه خاطبه بقوله يا أبت ﴿ وما الحكمة في طلب حل العقدة الأظهر كيلا يقع في أداء الرسالة خلل فلهذا (قال يفقهوا قولي) وقيل لان العقدة في اللسان قد تقتضي الاستيناف بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهار المعجزة فكما أن يعمل

فاعل من أتيته فانا آتيه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ يقول تعالى ذكره لقد أحصى الرحمن خلقه كلهم وعدهم عدا فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم وعرف عددهم فلا يعزب عنه منهم أحد وكلهم آتيه يوم القيامة فردا يقول وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله ولا دافع عنه فيقضي الله فيه ما هو قاض ويصنع به ما هو صانع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين آمنوا بالله ورسله وصدقوا بما جاءهم من عنده فعملوا به فأحلوا حلاله وحرموا حرامه سيجعل لهم الرحمن ودا في الدنيا في صدور عباده المؤمنين ﴿ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن مسلم الملائي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال حبا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن واللسان الصادق حدثني يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن عبيد المكتب عن مجاهد في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في المسلمين في الدنيا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحببهم ويحببهم الى خلقه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحببهم ويحببهم الى المؤمنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا علي بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يحببهم ويحببهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو عن قتادة في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال ما أقبل عبد الى الله الا أقبل الله بقلوب العباد اليه وزاد من عنده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا إي والله في قلوب أهل الايمان ذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه الى الله الا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن عثمان بن عفان كان يقول ما من الناس عبد

حبس لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله (قد أوتيت سؤلك يا موسى) والاصح أنه بقي بعضها لقوله تعالى حكاية عن فرعون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين أي يقارب أن لا يبين وكان في لسان الحسين بن علي رضي الله عنه رتة أي عجمة في الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثها من عمه موسى وفي تنكير عقدة أي عقدة من عقد لالة على أنه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة وقال أهل

التحقيق وذلك لان حل العقدة بالكلية نصيب محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن فلما كان ذلك حقا لليتيم أبي طالب لاجرم ما دار حوله ومن مطالب موسى قوله (واجعل لي وزيرا من أهلي هرون) قال أهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر فالكون لانه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوزر بالفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلجئ اليه أموره أو من الموازرة وهي المعاونة فيكون من الأزر والقوة ومنه قوله تعالى (اشدد به أزري) أي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري آزرت فلانا أي عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس أزير ابالهمز على ما حكي عن الاصمعي ووجه القلب حمل فعيل على مفاعل لاتحاد معنييهما في نحو عشير وجليس وصديق وغيرها وحمله على أخواته من نحو الموازرة ويوازر والاستعانة بالوزير وبحسن رأيه دأب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال اذا أراد الله بالملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا أعانه عليه وان أراد شرا كفه وكان أنوشروان يقول لا يستغني أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير وكفى عرتبة الوزارة منقبة وفخرا وشرفا وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات الباهرة امتثل الى الله سبحانه في مقام القرب والمكالمة يطلبه منه فيجب على من أوتي هذه الرتبة أن يؤدي الى الله حقها ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزرع في أرض الوزارة ما لم يندم عليه وقت حصاده وقيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك الامر العظيم والخطب الجسيم فطلب المعين والأظهر أنه رأى أن التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية أبعد عن التهمة وأعون على الغرض ولهذا حكي عن عيسى أنه قال من أنصاري الى الله وخوطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فالذان في السماء جبرائيل وميكائيل والذان في الارض أبو بكر وعمر ثم ان موسى طلب أن يكون ذلك الوزير من أهله أي من أقاربه ليكون الثقة به أكثر وليكون الشرف في بيته أوفر وانه كان وانقا بأخيه هرون فأراد أن يجعله بهذا المنصب الشريف قضاء لحقوق الاخاء فمن منع المستوجبين فقد ظلم وكان أفصح منه لسانا وأكبر سنا وأين جانبا قال جار الله نزيرا وهرون مفعولا اجعل قدم ثانيهما عناية بأمر الوزارة أو لي ووزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير وأخي في الوجهين بدل من هرون أو عطف بيان

يعمل خيرا ولا شرا الا كساه الله رداء عمله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة * وذكر أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال أخبرنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمن بن جبير ابن مطعم عن أبيه عن أمه أم ابراهيم ابنة أبي عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيها عن عبد الرحمن بن عوف أنه لما هاجر الى المدينة وجد في نفسه على فراق أصحابه بمكة منهم شيبة ابن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف فأنزل الله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وقوله فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين يقول تعالى ذكره فانما يسرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بالجنة وتنذر به قوما لدا يقول ولتنذر بهذا القرآن عذاب الله قوما لدا من قريش فانهم أهل لدد وجدل بالباطل لا يقبلون الحق والالد شدة الخصومة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لدا قال لا يستقيمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتنذر به قوما لدا يقول لتنذر به قوما ظلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتنذر به قوما لدا أي جدلا بالباطل ذوي لدد وخصومة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد في قوله وتنذر به قوما لدا قال كفارا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله قوما لدا قال جدلا بالباطل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتنذر به قوما لدا قال الألد الظلوم وقرأ قول الله وهو ألد الخصام حدثنا أبو صالح الصراري قال ثنا العلاء بن عبد الجبار قال ثنا مهدي بن ميمون عن الحسن في قول الله عز وجل وتنذر به قوما لدا قال صما عن الحق حدثني ابن سنان قال ثنا أبو عاصم عن هرون عن الحسن مثله وقد بينا معنى الألد فيما مضى بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾ يقول تعالى ذكره وكثيرا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش من قرن يعني من جماعة من الناس اذ سلكوا في خلاف

آخر وقيل يجوز فيمن قرأ اشدد على الامر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد خبره فيوقف على هرون وشد الازر به عبارة عن تقويته به وأن يجعله ناصرا له فيما عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله وسيلة له في أمر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك في قوله وأشركه في أمري ثم ذكر غاية الادعية فان المقصد الاسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد ونفي الاشراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال (كي نسبحك كثيرا) أي تسبيحا كثيرا (ونذكرك) ذكرا (كثيرا) وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي مقدم على الاثبات فبالأول تزول العقائد (١٠٢) الفاسدة وبالثاني ترتسم النقوش الحسنة المفيدة ثم ختم الادعية بقوله (انك كنت بنا بصيرا) وفيه فوائد منها أنه فوض استجابة الدعوات الى علمه بأحوالهما وأنهما بصدد أهلية الاجابة أم لا وفيه من حسن الادب ما لا يخفى ومنها أنه عرض فقره واحتياجه على علمه وأنه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سأل ما سأل ومنها أنه أعلم بأحوال أخيه هل يصلح لوزارته أم لا وأن وزارته هل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من دقائق الآداب وأنواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلا جرم أجاب الله تعالى مطالبه وأنجح مآربه قائلا (قد أوتيت سؤلك) والسؤل بمعنى المسؤل كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول وزيادة قوله (يا موسى) بعد رعاية الفاصلة لاجل كمال التمييز والتعيين والله أعلم بصالح عبيده ﴿ التأويل ﴾ يا من طاب بطهارته بساط النبوة ما أنزلنا عليك القرآن الا لتسعد بتخلقك بخلقه وبسعد بسببك الاولون والآخرون من أهل السموات وأهل الارضين تنزيلا ممن خلق أرض بشريتك وسموات روحانيتك التي هي أعلى الموجودات المكنات كما قال أول ما خلق الله روحي استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك ليكون معه وقت لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل له ما في السموات الروحانية من الصفات الحميدة وما في الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما أي بين سماء الروح وأرض النفس وهو القلب عما فيه من الايمان والايقان والصدق والاخلاص وما تحت الثرى أي ما هو مركوز في جبلة الانسانية وان تجهر بالقول ان تظهر شيئا من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سيرتك وأخفى هو ما أخفى الله من يخفين ﴿ والسر في اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفى لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط أنوار الربوبية وأسرارها وجلياتها المعقولات وقد يحصل لكل انسان عند نشأته الاولى وان كان كافرا والأخفى

وركوب معاصي مسلكهم هل تحس منهم من أحد يقول فهل تحس أنت منهم أحدا يا محمد فتراه وتعاينه أو تسمع لهم ركزا يقول أو تسمع لهم صوتا بل بادوا وهلكوا وخلت منهم دورهم وأوحشت منهم منازلهم وصاروا الى دار لا ينفعهم فيها الا صالح من عمل قدموه فكذلك قومك هؤلاء صائرون الى ما صار اليه أولئك ان لم يعاجلوا التوبة قبل الهلاك ﴿ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو تسمع لهم ركزا قال صوتا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا قال هل ترى عينا أو تسمع صوتا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا يقول هل تسمع من صوت أو ترى من عين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أو تسمع لهم ركزا يعني صوتا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال ركز الناس أصواتهم قال أبو كريب قال سفيان هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا قال أو تسمع لهم حسا قال والركز الحس ﴿ قال أبو جعفر والركز في كلام العرب الصوت الخفي كما قال الشاعر

فتوجست ركز الأنيس فراعها ﴿ عن ظهر غيب والأنيس سقامها

﴿ آخر تفسير سورة مريم والحمد لله رب العالمين ﴾

﴿ تفسير سورة طه ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى ﴾ قال أبو جعفر محمد بن جرير اختلف أهل التأويل في تأويل قوله طه فقال بعضهم معناه يا رجل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة عن الحسن بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس طه بالنبطية يا رجل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فان قومه قالوا لقد شقي هذا الرجل بربه فأنزل الله تعالى ذكره طه يعني يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى

لطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى ولا يحصل الا لمؤمن موحد صار مهبط الانوار الربانية ومحلها المشاهدات والمكاشفات وحقائق العلوم اللدنية ولهذا قال عقيب الله لا اله الا هو لان مظهر الالوهية وصفاته العليا وأسمائه الحسنى هو الخلق الذى لا شئ أقرب الى الحضرة منه الا وهو سر وعلم آدم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق آدم فتجلى فيه وهل أتاك حديث موسى القلب إذ رأى نارا هو نور فى الحقيقة مأنوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا فى ظلمة الطبيعة الحيوانية انى آنست نار المحبة التى لا تبقى ولا تذر من حطب الوجود المجازى شيأ لعلى آتيكم منها بقبس (١٠٣) يخرجكم من ظلمات الطبيعة الى أنوار الشريعة أو أجد على النار هدى بآداب الطريقة الى الحقيقة فلما أتاها نودى من شجرة القدس بخطاب الانس فاخلع نعليك أى اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل يعبر فى الرؤيا بهما أو اترك الالتفات الى الكونين انك واصل الى جناب القدس أوهما المقدمتان فى نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك أنه اذا غرق فى لجة العرفان بقيت المقدمات على ساحل الوسائل وأنا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلقى وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع بسمع الطاعة والقبول انى لما تجليت بأنانية الوهيتى لأنانية وجودك المجازى لا يبقى الا أنا فاعبدنى بافنائه وجودك وأدم المناجاة معى لنيل ذكرى اياك بالتجلى أن قيامة العشق آتية أكاد أخفيها لعظم شأنها الا أن مقتضى الكرم اقتضى اظهارها لأخص عبيدى لتجزى كل نفس بما تسعى فى العبودية من الروح والسر والقلب والنفس والقالب فلما كان سعى الروح بحب الوطن الاصلى للرجوع الى أمكن اضافة ونفخت فيه من روحى فجزاؤه من تجلى صفات الجلال بانعدام الناسوتية فى اللاهوتية وكان سعى السر بالخلو عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه باقاضة الفيض الالهى عليه وسعى القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلى صفات الجمال والجلال فجزاؤه دوام التجلى له أن يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذى يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب لكشف حقائق القلوب وسعى النفس بتبديل الاخلاق وانتفاء الاوصاف الحيوانية فجزاؤه باشراق نور ربها لازالة ظلمة صفاتها واطمئنانها الى ذكر ربها التصيير قابلة لجذبة ارجعى الى ربك وسعى القالب باستعمال أركان الشريعة وآداب الطريقة فجزاؤه رفعة الدرجات ونيل الكرامات فى الدارين فبذلك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التى لا تؤمن بها ويحتمل أن يقال أكاد أخفى الساعة ودخول الجنة والنار لئلا تكون عبادتى مشوبة

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن مسلم أو يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير أنه قال طه يا رجل بالسريانية * قال ابن جريج وأخبرنى زمعة ابن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس بذلك أيضا * قال ابن جريج وقال مجاهد ذلك أيضا حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا عمارة عن عكرمة فى قوله طه قال يا رجل كلمة بالنبطية حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد الله عن عكرمة فى قوله طه قال بالنبطية يا انسان حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم عن قرة بن خالد عن الضحاك فى قوله طه قال يا رجل بالنبطية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حصين عن عكرمة فى قوله طه قال يا رجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طه قال يا رجل وهى بالسريانية حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن فى قوله طه قالا يا رجل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد يعنى ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله طه قال يا رجل * وقال آخرون هو اسم من أسماء الله وقسم أقسم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله طه قال فانه قسم أقسم الله به وهو اسم من أسماء الله * وقال آخرون هو حروف هجاء * وقال آخرون هو حروف مقطعة بدل كل حرف منها على معنى واختلفوا فى ذلك اختلافهم فى الم وقد ذكرنا ذلك فى مواضعه وبينا ذلك بشواهده والذى هو أولى بالصواب عندى من الاقوال فيه قول من قال معناه يا رجل لانها كلمة معروفة فى عك فيما بلغنى وأن معناها فيهم يا رجل أنشدت لتميم بن نويرة

هتفت بطه فى القتال فلم يجب * فخفت عليه أن يكون موائلا

(وقال آخر)

ان السفاهة طه من خلائقكم * لا بارك الله فى القوم الملاعين

فاذا كان ذلك معروفا فافهم على ما ذكرنا فالواجب أن يوجه تأويله الى المعروف فيهم من معناه ولا سيما اذ وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين فتأويل الكلام اذا يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه عليك فتكلف ما لا طاقة لك به من العمل وذكر أنه قيل له ذلك بسبب ما كان يلقى من النصب والعناء والسهر فى قيام الليل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء

يطمع الجنة وخوف النار قالوا أخطأ موسى فى قوله هى عصاى وكان عليه أن يقول أنت أعلم بحالها منى وفى قوله أتوكأ عليها وكان عليه أن يتكئ على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له ألقها يا موسى وفى قوله وأهش بها على غنمى اذ نسى ان العصا لا تكون واسطة لرزق أغنامه وانما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا رجاؤك الا به واضمم يدك الى جناح قد عمل تخريج بيضاء نقية عن درن السؤال وعن الطمع وباقى الحقائق مذكور فى التفسير وفى قوله قد أوتيت بلفظ الماضى اشارة الى أنه أعطى ذلك بالتقدير الازلى لا بالتدبير العملى (١٠٤) والله أعلم بالصواب ﴿ولقد منا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى أن

اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى اذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا انى معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى انا قد أوحى الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى منها

جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال هى مثل قوله فاقرؤا ما تيسر منه فكانوا يعلقون الحبال فى صدورهم فى الصلاة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال فى الصلاة كقوله فاقرؤا ما تيسر منه فكانوا يعلقون الحبال بصدورهم فى الصلاة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لا والله ما جعله الله شقيا ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا الى الجنة وقوله الا تذكرة لمن يخشى يقول تعالى ذكره ما أنزلنا عليك هذا القرآن الا تذكرة لمن يخشى عقاب الله فيتقيه بأداء فرائض ربه واجتناب محارمه كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تذكرة لمن يخشى وان الله أنزل كتبه وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد ليتذكروا وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكره أنزل الله فيه حلاله وحرامه فقال تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تذكرة لمن يخشى قال الذى أنزلناه عليك تذكرة لمن يخشى فمعنى الكلام اذا يا رجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به ما أنزلناه الا تذكرة لمن يخشى * وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب تذكرة فكان بعض نحويى البصرة يقول قال الا تذكرة بدلا من قوله لتشقى فجعله ما أنزلنا عليك القرآن الا تذكرة وكان بعض نحويى الكوفة يقول نصبت على قوله ما أنزلناه الا تذكرة وكان بعضهم ينكر قول القائل نصبت بدلا من قوله لتشقى ويقول ذلك غير جائز لان لتشقى فى الجحد والا تذكرة فى التحقيق ولكنه تكرير وكان بعضهم يقول معنى الكلام ما أنزلنا عليك القرآن الا تذكرة لمن يخشى لا لتشقى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن تنزيل من الرب الذى خلق الارض والسموات العلى والعلى جمع علياء واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله تنزيلا فقال بعض نحويى البصرة نصب ذلك بمعنى نزل الله ذلك تنزيلا وقال بعض من أنكر ذلك من قيله هذا من كلامين ولكن المعنى هو تنزيل ثم أسقط هو واتصل بالكلام الذى قبله فخرج منه ولم يكن من لفظه * قال أبو جعفر والقولان جميعا عندى غير خطأ وقوله الرحمن على العرش استوى يقول تعالى ذكره الرحمن على عرشه ارتفع وعلا وقد بينا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع والرفع فى الرحمن وجهان أحدهما بمعنى قوله تنزيلا فيكون معنى الكلام نزله من خلق الارض والسموات نزله الرحمن الذى على العرش استوى والآخر بقوله

خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم

على

يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا (١٠٥) قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى

جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى ﴿ القراآت والتصنع بسكون اللام والعين على الأمر يزيد الآخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكري اذهبا بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو خلقه بفتح اللام على أنه فعل نصير الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الآخرون مهادا سوى بكسر السين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعلي الآخرون بالضم لا تخلفه بالجزم جوابا للامر يزين يوم الزينة على الظرف هيرة وقد ذهبت حيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف وروبس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان هذان ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذين أبو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم أمر من الجمع أبو عمرو والآخرون على لفظ الامر من الاجماع وقد أفلح بنقل الحركة الى الدال حيث كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخييل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالتحتانية تلقف بالتشديد حفص والمفضل وقرأ البزي وابن فليح مشددة التاء كيد ساحر على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال آمنتم بالمد أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وأبو جعفر ونافع وابن كثير عن ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل قال أآمنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون بمد همزة الاستفهام ومن يأته مخففة الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وأبو عمرو عن طريق الهاشمي عن اليزيدي ومن يأته بسكون الهاء خلاد ورجاء والعجلي وشجاع واليزيدي غير أبي شعيب ويحيى

على العرش استوى لان في قوله استوى ذكرا من الرحمن ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ﴾ يقول تعالى ذكره لله ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ملكا له وهو مدبر ذلك كله ومصرف جميعه ويعني بالثرى الندى يقال للتراب الرطب المبتل ثرى منقوص يقال منه ثريت الارض تثرى ثرى منقوص والثرى مصدر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تحت الثرى والثرى كل شئ مبتل حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما تحت الثرى ما حفر من التراب مبتلا وانما عنى بذلك وما تحت الارضين السبع كالذي حدثني محمد بن ابراهيم السيلبي المعروف بابن صدران قال ثنا أبو عاصم قال ثنا محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب وما تحت الثرى قال الثرى سبع أرضين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ﴾ يقول تعالى ذكره وان تجهر يا محمد بالقول أو تخافت به فسواء عندي لك الذي له ما في السموات وما في الارض فانه يعلم السر يقول فانه لا يخفى عليه ما استسررته في نفسك فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك ولم تنطق به وأخفى ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله وأخفى فقال بعضهم معناه وأخفى من السر قال والذي هو أخفى من السر ما حدث به المرء نفسه ولم يعمله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعلم السر وأخفى قال السر ما عملته أنت وأخفى ما تحدث في قلبك مما لم تعمله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يعلم السر وأخفى يعني بأخفى ما لم يعمله وهو عامله وأما السر فيعني ما أسر في نفسه حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يعلم السر وأخفى قال السر ما أسر ابن آدم في نفسه وأخفى قال ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله فالله يعلم ذلك فعله فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة وهو قوله ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال سعيد بن جبير عن ابن عباس السر ما أسر الانسان في نفسه وأخفى ما لا يعلم الانسان مما هو كائن حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يعلم السر وأخفى قال أخفى الوسوسة زاد ابن عمرو والحرث في حديثهما والسر العمل الذي

وحماد الباقون بأنه بالاشباع ۞ الوقوف أخرى ○ لا لأن اذ تفسير المرة ما يوحى ○ لا لأن ما بعده تفسير ما يوحى وعدوله ط منى ج لان الواو قد تكون مقحمة وتعلق اللام بألقيت وقد تكون عاطفة على محذوف أي لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على منى لاستحالة على عيني م لئلا يوهم أن اذ ظرف لتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على أن فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا تحزن ط لابتداء منة أخرى فتونا ○ ط ياموسى ○ لنفسي ○ لاتساق الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكرى ○ ج لمثل ما قلنا والمضمر واو طغى ○ للاجتماع الفاء يخشى ○ يطغى ○ (١٠٦) وأرى ○ ولا تعذبهم ط لان قد لتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على أن اتحاد المقول يجيز الوصل من ربك ط لذلك فان الواو للابتداء في كتاب ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف ولا ينسى ○ بناء على أن الذي صفة الرب والاحسن تقديره هو الذي أو أعني الذي ماء ط للالتفات شتى ○ أنعامكم ط النهى ○ أخرى ○ وأبى ○ ياموسى ○ سوى ○ ضحى ○ أتى ○ بعذاب ج لاختلاف الجملتين افترى ○ النجوى ○ المثلى ○ صفا ○ استعلى ○ ألقى ○ ألقوا ج لان التقدير فألقوا ما ألقوا فاذا حبالهم مع فاء التعقيب واذا المفاجأة المنافقين للوقف تسعى ○ موسى ○ الأعلى ○ ما صنعوا ط كيد ساحر ط أتى ○ وموسى ○ لكم ط السحر ق للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء التعقيب واتمام مقصود الكلام النخل ج لابتداء معنى القسم ولفظا استفهام بعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وأبقى ○ قاض ط الحياة الدنيا ط من السحر ط وأبقى ○ جهنم ط ولا يحيى ○ العلى ○ لا لأن ما بعده بدل فيها ط تزكى ○ ۞ التفسير من عليه منا أنعم ومن عليه منة أي امتن عليه كأن الله سبحانه قال لموسى اني راعيت صلاحك قبل سؤالك فكيف لا أعطيك مرادك بعد السؤال أو كنت ربيتك من غير سابقة حق فلو منعتك ولم الحال مطلوبك لكان ذلك ردا بعد القبول وحرمانا بعد الاحسان وذلك بنا في الكرم الذاتي قالوا المنة تهدم الصنيعة فهي نوع من الأذى فقوله (ولقد منا عليك) يكون من المن لا من المنة قلت يحتمل أن لا تكون المنة من المنع المطلق أذية وانما تكون تنبيها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال (مرة أخرى) لان الجملة قصة واحدة وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحي الى أم موسى اما أن يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب مثلا أو عن لسان ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ

يسرون من الناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وأخفى قال الوسوسة حدثنا هناد قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله يعلم السر وأخفى قال أخفى حديث نفسك حدثنا ابن بشار قال ثنا الحسين بن الحسن الاشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله يعلم السر وأخفى قال السر ما يكون في نفسك اليوم وأخفى ما يكون في غد وبعد غد لا يعلمه الا الله * وقال آخرون بل معناه وأخفى من السر ما لم تحدث به نفسك ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا ابن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير في قوله يعلم السر وأخفى قال السر ما أسررت في نفسك وأخفى من ذلك ما لم تحدث به نفسك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى كنا نحدث أن السر ما حدثت به نفسك وأن أخفى من السر ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمان بن حرب قال ثنا أبو هلال قال ثنا أبو قتادة في قوله يعلم السر وأخفى قال يعلم ما أسررت في نفسك وأخفى ما لم يكن وهو كائن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله يعلم السر وأخفى قال أخفى من السر ما حدثت به نفسك وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يعلم السر وأخفى أما السر فما أسررت في نفسك وأما أخفى من السر فما لم تعمله وأنت عامله يعلم الله ذلك كله * وقال آخرون بل معنى ذلك انه يعلم سر العباد وأخفى سر نفسه فلم يطلع عليه أحدا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يعلم السر وأخفى قال يعلم أسرار العباد وأخفى سره فلا يعلم * قال أبو جعفر وكأن الذين وجهوا تأويل ذلك الى أن السر هو ما حدثت به الانسان غيره سرا وأن أخفى معناه ما حدثت به نفسه وجهوا تأويل أخفى الى الخفي وقال بعضهم قد توضع أفعل موضع الفاعل واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد

* والصواب من القول في ذلك قول من قال معناه يعلم السر وأخفى من السر لان ذلك هو الظاهر من الكلام ولو كان معنى ذلك ما تأوله ابن زيد لكان الكلام وأخفى الله سره لأن أخفى فعل واقع ستعداذ كان بمعنى فعل على ما تأوله ابن زيد وفي انفراد أخفى من مفعوله والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل وأن تأويل الكلام فانه يعلم السر وأخفى منه فاذ كان ذلك تأويله فالصواب من القول في معنى أخفى من السر أن يقال هو ما علم الله مما أخفى عن العباد

قالت الملائكة يامريم أو أراها في المنام أنه وضع ولدها في التابوت وقذف في البحر ثم ردده الله اليها أو ألهمها بذلك أو لعل الانبياء المتقدمين كابراهيم واسحق ويعقوب أخبروا بذلك وانتهى خبرهم اليها ومعنى (مايوحى) ما يجب أن يوحى لما فيه من المصلحة الدينية ولانه أمر عظيم ولانه مما لا يعلم الا بطريق الوحي وأن هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع أي ضعيه في التابوت وقد مر معناه في البقرة في قصة طالوت قال جار الله الضميران الباقيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه ثائبان الى موسى أيضا لئلا يؤدي الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو في جوف التابوت لزم أن يكون التابوت (١٠٧) أيضا مقذوفا وملقى ويؤيده أن الضمير في قوله

ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن لأن ماظهر وكان فغير سر وأن مالم يكن وهو غير كائن فلا شئ وأن مالم يكن وهو كائن فهو أخفى من السر لأن ذلك لا يعلمه الا الله ثم من أعلمه ذلك من عباده وأما قوله تعالى ذكره الله لا اله الا هو فانه يعني به المعبود الذي لا تصلح العبادة الا له يقول فاياه فاعبدوا أيها الناس دون ماسواه من الآلهة والاوثان له الأسماء الحسنى يقول جل ثناؤه لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى فقال الحسنى فوحد وهو نعت للاسماء ولم يقل الأحاسن لأن الأسماء تقع عليها هذه فيقال هذه أسماء وهذه في لفظه واحدة ومنه قول الأعشى

وسوف يعقبنيه ان ظفرت به ٭ رب غفور وبيض ذات أطهار

فوحد ذات وهو نعت البيض لانه يقع عليها هذه كما قال حدائق ذات بهجة ومنه قوله جل ثناؤه مآرب أخرى فوحد أخرى وهي نعت لمآرب والمآرب جمع واحدتها مأربة ولم يقل أخر لما وصفنا ولو قيل أخر لكان صوابا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقى من الشدة من مشركي قومه ومعرفه ما اليه صائر أمره وأمرهم وأنه معليه عليهم وموهن كيد الكافرين ويحثه على الجد في أمره والصبر على عبادته وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مشركي قومه وغيرهم وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ماناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوه ثم من قومه ومن بني اسرائيل وما لقي فيه من البلاء والشدة طفلا صغيرا ثم يافعا مترعرعا ثم رجلا كاملا وهل أتاك يامحمد حديث موسى بن عمران اذ رأى نارا ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلا وأن موسى كان أضل الطريق فلما رأى ضوء النار قال لأهله ماقال ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس قال لما قضى موسى الأجل سار بأهله فضل الطريق قال عبد الله بن عباس كان في الشتاء ورفعت لهم نار فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله قال لأهله امكثوا اني آنست نارا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه اليماني قال لما قضى موسى الأجل خرج ومعه غنم له ومعه زنده وعصاه في يده يمس بها على غنمه نهارا فاذا أمسى اقتدح بزنده نارا فاصابت عليها هو وأهله وغنمه فاذا أصبح غدا بأهله وبغنمه فتوكأ على عصاه فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته وابتداءه فيها بنبوته وكلامه أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه فأخرج زنده ليقتدح نارا لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح ويعلم وجه سبيله فأصلد زنده فلا يورى له نارا فقدح حتى أعياه لاحت

عدوه لموسى بالضرورية لان عداوة التابوت غير معقولة واذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالانسب باعجاز القرآن أن يكون الضمير المتوسط أيضا له لان المعنى صحيح واللفظ متناسب فلا حاجة الى العدول اعتمادا على القرينة واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل شاطئ البحر وأصل الساحل المنحسر ولهذا قال ابن دريد هو مقلوب لان الماء يحله فهو مسحول قال أهل الاشارة من خصوصية انشراح الصدر بنور الوحي أن يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو أعز الأشياء في تابوت التوكل وبحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل ارادة الله ومشيئته يروى أنها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وبعصمته وقيته ثم ألقته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فاذا صبي أصبح الناس وجها فأحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك أن يصبر عنه وظاهر اللفظ يدل على أن التابوت التقط من الساحل فلعل اليم ألقاه بموضع من الساحل فيه قوهة نهر فرعون فأداه النهر الى البركة أما

كون فرعون عدو الله من جهة كفره وعتوه فظاهر وأما كونه عدوا لموسى وهو صغير فباعتبار المآل أو لانه لو ظهر له حاله لقتله فسبحان من يربي حبيبه في حجر عدوه قالوا كان بحضرة فرعون حينئذ أربعمائة غلام وجارية فحين أشار بأخذ التابوت ووعد من يسبق الى ذلك الاعتاق تسابقوا جميعا ولم يظفر بأخذه الا واحد منهم فأعتق الكل والنكتة فيه أن عدو الله لم يجوز من كرمه حرمان البعض اذ عزم الكل على الاخذ فأكرم الاكرمين كيف لا يعتبر عزائم المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار وان وقع لبعضهم تقصير في العمل قوله (مني) اما أن يتعلق بالقيت أو يكون صفة للمحبة أي محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن أحبه الله أحبته القلوب واما محبة

الناس التي زرعها الله في قلوبهم فقد روى أنه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه قال القاضي هذا الوجه أقرب لأنه في الصغر لا يوصف بمحبة الله التي يرجع معناها الى ايصال الثواب وردبأن محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو أعم من أن يكون جزاء على العمل أو لا يكون ولهذا بين المحبة بقوله (ولتصنع على عيني) أي لتربى ويحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يراعى الشيء بالعينين اذا عني بحفظه ولما كان العالم بالشيء المارسله عن الآفات كما أن الناظر اليه يحرسه أطلق لفظ العين على العالم لاشتباههما من هذا الوجه وأيضا العين سبب الحراسة (١٠٨) فأطلق السبب وأريد المسبب ويقال عين الله عليك اذا دعي له بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور في موضع الحال من ضمير المتبني للمفعول في لتصنع وجوز في الكشاف أن يكون اذ تمشي ظرفا لتصنع وليس بذلك وانما هو ظرف لألقيت أو بدل من اذ أوحينا على أن الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا ثم تقول وأنا لقيته اذ ذاك وربما لقيه هو في أولها وأنت في آخرها يروى أنه لما فشا الخبر أن آل فرعون أخذوا غلاما في اليم وأنه لا يرتضع من ثدي امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت أخت موسى عليه السلام واسمها مريم متنكرة فقالت (هل أدلكم على من يكفله) بخاءت بالام فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك الى أمك) وقال في القصص فرددناه الى أمه تصديقا لقوله انا رادوه اليك (كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) بسبب وصول لبن غيرها الى معدتك (وقتلت) وأنت ابن اثنتي عشرة سنة (نفسا) هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص (فنجيناك من الغم) وهو اقتصاص فرعون منك وقيل الغم هو القتل بلغة قريش أو أراد بالغم خوف عقاب الله وذلك قوله واغفر لي فغفر له (وفتناك فتونا) مصدر على فعول في المتعدي كالشكور والكفور أو جمع فتن كالظنون الظن أو جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث منها كبدور في بدرة ويجوز في جمرة والفتنة المحنة والابتلاء بخير أو شر قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وفيها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب اذا أردت تخليصه عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن الفتون فقال أي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه في اليم ثم قتل فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز اطلاق اسم الفتان على الله تعالى وان جاء وفتناك لأنه صفة ذم في العرف وسمي قصة

النار فرآها فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى وعنى بقوله آنست نارا وجدت ومن أمثال العرب بعد اطلاع ايناس ويقال أيضا بعد طلوع ايناس وهو مأخوذ من الانس وقوله لعلي آتيكم منها بقبس يقول لعلي أجيئكم من النار التي آنست بشعلة والقبس هو النار في طرف العود أو القصبة يقول القائل لصاحبه أقبسني نارا فيعطيه اياها في طرف عود أو قصبة وانما أراد موسى بقوله لأهله لعلي آتيكم منها بقبس لعلي آتيكم بذلك لتصطلوا به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه لعلي آتيكم منها بقبس قال بقبس تصطلون وقوله أو أجد على النار هدى دلالة تدل على الطريق الذي أضللناه اما من خبر هاد يهدينا اليه واما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أو أجد على النار هدى يقول من يدل على الطريق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أو أجد على النار هدى قال هاديا يهديه الطريق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو أجد على النار هدى أي هداة يهدونه الطريق حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال سمعت أبي يحدث عن قتادة عن صاحب له عن حديث ابن عباس أنه زعم أنها (٣) ايلة أو أجد على النار هدى وقال أبي وزعم قتادة أنه هدى الطريق حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أو أجد على النار هدى قال من يهديني الى الطريق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه أو أجد على النار هدى قال هدى عن علم الطريق الذي أضللنا بنعت من خبر حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن أبي سعيد عن عكرمة قال قال ابن عباس لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى قال كانوا أضلوا عن الطريق فقال لعلي أجد من يدلني على الطريق أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلما أتاها نودي يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى ﴾ يقول تعالى ذكره فلما أتى النار موسى ناداه ربه يا موسى اني أنا ربك فاخلع نعليك كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه قال خرج موسى نحوها يعني نحو النار فاذا هي في شجرة من العليق وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة فلما دنا استأخرت عنه فلما رأى استئخارها رجع عنها وأوجس في نفسه

لبثه في أهل مدين وأنه على ثمان مراحل من مصر في سورة القصص ان شاء العزيز قوله (على قدر) أي في وقت سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك فيه أو على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو رأس أربعين سنة أو على موعد قد عرفته باخبار شعيب أو غيره والصنع بالضم مصدر صنع اليه معروفا أو قبيحا أي فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله في الخير أكثر واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعة واصطنعت فلانا لنفسي اذا اصطنعته وخرجته ومعناه أحسنت اليه حتى انه يضاف الي وقوله (لنفسي) أي لاصرفن جوامع همتك في أوامري حتى لا تشتغل بغيرها أمرتك به من تبليغ الرسالة واقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك أهلا للتقريب والتكريم لخصائص فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا يسمع الا بأذنه ولا يأمن على مكنون سره سواه وقال غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه أن يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سماعا فلو لم يصطنعه للرسالة لبقي في عهدة الواجب فهذا أمر فعله الله لاجل نفسه حتى يخرج عن عهدة ما يجب عليه ولما عد عليه المنن السابقة بازاء الادعية المذكورة رتب على ذكر ذلك أمرا ونهيا أما الامر فقوله (اذهب أنت وأخوك) وفيه بيان ما لاجله اصطنعه وهو الابلاغ وأداء الرسالة (بآياتي) أي مع آياتي لانهما لو ذهبا بدونها لم يلزمه الايمان وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد وما هذه الآيات غير العصا واليد لانه لم يجر الا ذكرهما فأطلق الجمع على الاثنين أو لان كلا منهما مستقلة على آيات أخر أو لانه يستدل بكل منهما على وجود الله قادر على الكل عالم بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر حيث انقلب الجماد حيوانا والمظلم مستنيرا وسئل قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل أراد اذهبا الى أمدكما بآياتي وأظهرها على أيديكما متى وقع الاحتياج اليها وأما النهي فقوله (ولا تنيا) بكسر النون مثل تعدا وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة أيضا للاتباع والوني بفتحتين الضعف والفتور والكلال والاعياء والمعنى لا تنسيا بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل المقاصد واعتقدا ان أمر الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري فان المداومة على ذكر الله توجب عدم الخوف من غيره وأن يستحقر في نظره ما سواه ليقوة نفسه واستنارة باطنه وقيل أراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادات فضلا عن أعظمها فائدة وأتمها عائدة وقيل اذكراني عند فرعون وقومه بأني لا أرضى بالكفر وأعاقب عليه وأثيب على الايمان وأرتضيه وبالجملة كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب فالفائدة في تكرير قوله (اذهبا

منها خيفة فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلم من الشجرة فلما سمع الصوت استأنس وقال الله تبارك وتعالى له يا موسى اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى فخلعهما فألقاهما واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه فقال بعضهم أمره بذلك لأنهما كانتا من جلد حمار ميت فكره أن يطأ بهما الوادي المقدس وأراد أن يمسه من بركة الوادي ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي قلابة عن كعب أنه رآهم يخلعون نعالهم في الصلاة فقال أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك فقرئ عليه اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى فقال كانت من جلد حمار ميت فأراد الله أن يمسه القدس حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال حدثنا أن نعليه كانتا من جلد حمار خلعهما ثم أتاه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار فقيل له اخلعهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج * قال وأخبرني عمرو بن عطاء عن عكرمة وأبو سفيان عن معمر عن جابر الجعفي عن علي بن أبي طالب فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار فقيل له اخلعهما * قال وقال قتادة مثل ذلك * وقال آخرون كانتا من جلد بقر ولكن الله أراد أن يطأ موسى الارض بقدميه ليصل اليه بركتها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال الحسن كانتا يعني نعلي موسى من بقر ولكن انما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الارض وكان قد قدس مرتين قال ابن جريج وقيل لمجاهد زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة قال لا ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الارض حدثني يعقوب قال قال أبو بشر يعني ابن علية سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى قال يقول أفض بقدميك الى بركة الوادي * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي اذ كان واديا مقدسا وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب لانه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة وان في قوله انك بالوادي المقدس بعثه دليلا واضحا على أنه انما أمره بخلعهما لما ذكرنا ولو كان الخبر الذي حدثنا به بشر قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحرث عن ابن مسعود عن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كلم الله موسى كانت عليه جبة صوف وكساء صوف وسراويل صوف ونعلان من جلد حمار غير

الى فرعون) والجواب بعد التقرير والتأكيد أمرهما أن يشتغلا باداء الرسالة معا لا أن ينفرد به موسى أو الاول أمر بالذهاب الى كل بني اسرائيل والثاني مخصوص بفرعون الطاغي ثم انه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لانه أصل أو هو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم ويحتمل أن هرون قد حضر وقتئذ فقد روى أن الله عز وجل أوحى الى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى وقيل ألهم بذلك وقيل سمع بخبره فتلقاه * سؤال لم أمرا بتليين القول للعدو المعاند جوابه لان من عادة الجبابرة اذا أغلظ لهم في الكلام أن يزدادوا عتوا وعلوا وقيل لماله من حق تربيته موسى شبه حق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح أنه نحو قوله تعالى هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين وقيل أراد عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وأن يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته حكى عمرو ابن دينار قال بلغني أن فرعون عمر أربعمائة وتسعا وستين سنة فقال له موسى ان أطعتني فلك مثل ما عمرت فاذا مت فلك الجنة وقيل أراد كناه وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة ويحتمل أن يكون أمر بالقول اللين لانه كان في موسى حدة وخشونة بحيث اذا غضب اشتعلت فتسورته نارا فعالج حدته باللين ليكون حليما في أداء الرسالة ومعنى الترجي في لعله يعود الى موسى وأخيه أي اذهبا على رجائكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو أن يثمر سعيه فعساه يتذكر بأن يرجع عن الانكار الى الحق رجوعا كليا اذا تأمل فأنصف (أو يخشى) فيقل التكبر واصراره قالت المعتزلة يدل على ان الله مع العلم بأنه لن يؤمن قطع المعذرة والزامه الحجة وقالت الاشاعرة المعقول قاصرة عن معرفة مراد القدير ولا سبيل الا تسليم وترك الاعتراض والسكوت بالقلب واللسان قالوا انه كيف يدفع شكيتنا الى من علم قطعا أنه يمزق بطن نفسه ثم يقول اني ما أردت بدفع السكين اليه الا الاحسان ويروى عن كعب أنه قال والذي نجاف به كعب انه مكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن (قالا ربنا) فيه دليل على أن هرون أيضا كان حاضرا وقتئذ كما رويناه وسئل أنه اذا شرح صدره وتيسر أمره فكيف قالا (انا نخاف) فان حصول الخوف ينافي شرح الصدر وأجيب بأن المراد من شرح الصدر ضبط الاوامر والنواهي وحفظ الشرائع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل وتحريف وهذا شيء آخر مغاير لزوال الخوف قالت المعتزلة يدل على أنه لا يتمكن من أداء الرسالة بدليل قوله (أن يفرط علينا) أي يسبق رسالته ويبادرنا بالعقوبة (أو أن يطغى) أي يجاوز الحد

مذكى صحيحا لم نعده الى غيره ولكن في اسناده نظر يجب التثبت فيه واختلفت القراء في قراءة قوله اني أنا ربك فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة نودي يا موسى أني بفتح الالف من اني فأن على قراءتهم في موضع رفع بقوله نودي فان معناه كان عندهم نودي هذا القول وقرأ بعض عامة قراء المدينة والكوفة بالكسر نودي يا موسى اني على الابتداء وان معنى ذلك قيل يا موسى اني * قال أبو جعفر والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل في ان قوله يا موسى وحظ قوله نودي أن يعمل في ان لو كانت قبل قوله يا موسى وذلك أن يقال نودي أن يا موسى اني أنا ربك ولا حظ لها في ان التي بعد يا موسى وأما قوله انك بالوادي المقدس فانه يقول انك بالوادي المطهر المبارك كما حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انك بالوادي المقدس يقول المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله انك بالوادي المقدس طوى قال قدس مرتين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انك بالوادي المقدس طوى قال بالوادي المبارك واختلف أهل التأويل في تأويل قوله طوى فقال بعضهم معناه انك بالوادي المقدس طويته فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه كأنه قال طويت الوادي المقدس طوى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انك بالوادي المقدس طوى يعني الارض المقدسة وذلك أنه مر بواديها ليلا فطواه يقال طويت وادي كذا وكذا طوى من الليل وارتفع الى أعلى الوادي وذلك نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معنى ذلك مرتين وقال ناداه ربه مرتين فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه وذلك أن معناه عندهم نودي يا موسى مرتين نداءين وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى أنه بمعنى مرتين قول عدي ابن زيد العبادي

أعاذل ان اللوم في غير كنهه ... علي طوى من غيك المتردد

ويروى ذلك آخرون على ثنى أي مرة بعد أخرى وقالوا طوى وثنى بمعنى واحد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى كنا نحدث أنه واد قدس مرتين وأن اسمه طوى * وقال آخرون بل معنى ذلك انه قدس طوى مرتين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال الحسن كان قد قدس مرتين * وقال آخرون بل طوى اسم الوادي ذكر من قال

بأن يقول فيك مالا ينبغي أو يجاوز حد الاعتدال في معاقبتنا ان لم يعاجل بنا فلا نتمكن من اقامة وظائف الأداء وأيضا الدليل النقلي السمعي اذا انضاف الى الدليل العقلي زاده ايقانا وطمأنينة ولهذا (قال لا تخافا انني معكما) أي بالنصرة والتأييد (أسمع وأرى) ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فأفعل بكما ما يوجب عنايتي وحراستي فلا يذهب وهمكما الى أن مواد كرامتي انقطعت لحنكما اذا فارقتما مقام المكالمة فصار هذا الوهم سبب خوفكما ويجوز أن يكون الفعلان متروكي المفعول كأنه قيل أنا سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الأصوليين في الآية دلالة على أن الامر لا يقتضي الفور والا (١١١) كان تعللهما بالخوف معصية وانها غير جائزة على الرسل في الاصح وقال بعض المتكلمين فيها دليل على أن السمع والبصر صفتان زائدتان على العلم والا لزم التكرار فان معنى كونه هي بالعلم ولقائل أن يقول الخاص يغاير العام ولكن لا يباينه ثم كرر الامر قائلا (فأتياه فقولا) فسئل انهما أمرا بأن يقولا له قولا لينا فكيف غلظاه أولا بقوله (انا رسولا ربك) ففيه ايجاب انقياده لهما واكراهه على طاعتهما وهذا مما يعظم على الجبار وثانيا بقوله (فأرسل معنا بني اسرائيل) وفيه ادخال النقص في ملكه لأنه كان يستخدمهم في الاعمال الشاقة وثالثا بقوله (ولا تعذبهم) وفيه منعه عما يريد بهم وأجيب بأن هذا القدر من التغليظ ضروري في أداء الرسالة قيل أليس الاولى أن يقولا انا رسولا ربك قد جئناك بآية من ربك فأرسل معنا بني اسرائيل فيكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب أن قوله فأرسل من تتمة الدعوى وانما وحد قوله بآية ومعه آيتان بل آيات لقوله اذهب أنت وأخوك بآياتي لانه أراد الجنس كأنه قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه أيضا نوع من الأدب كما لو قلت أنا رجل

ذلك **حدثني** علي بن داود قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله طوى اسم للوادي **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد طوى قال اسم الوادي **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بالوادي المقدس طوى قال ذلك الوادي هو طوى حيث كان موسى وحيث كان اليه من الله ما كان قال وهو نحو الطور * وقال آخرون بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن منصور الطوسي قال ثنا صالح بن اسحق عن جعفر بن برقان عن عكرمة عن ابن عباس في قول الله تبارك وتعالى اخلع نعليك انك بالوادي المقدس طوى قال طأ الوادي **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى قال ثنا الحسن عن يزيد عن عكرمة في قوله طوى قال طأ الوادي **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن سعيد بن جبير في قول الله طوى قال طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا يقول من بركة الوادي **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد طوى طأ الارض حافيا * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض قراء المدينة طوى بضم الطاء وترك التنوين كأنهم جعلوه اسم الارض التي بها الوادي كما قال الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره ... بحنين يوم تواكل الابطال

فلم يجر حنين لانه جعله اسما للبلدة لا للوادي ولو كان جعله اسما للوادي لاجراه كما قرأت القراء ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم وكما قال الآخر

ألسنا أكرم الثقلين رحلا ... وأعظمه ببطن حراء نارا

فلم يجر حراء وهو جبل لانه جعله اسما للبلدة فكذلك طوى في قراءة من لم يجره جعله اسما للارض وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة طوى بضم الطاء والتنوين وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل فأما من أراد به المصدر من طويت فلا مؤنثة في تنوينه وأما من أراد أن يجعله اسما للوادي فانه انما ينونه لانه اسم مذكر لا مؤنث وان لام الفعل منه ياء فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله ويوم حنين اذ كان حنين اسم واد والوادي مذكر * قال أبو جعفر وأولى القولين عندي بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين لانه ان يكن اسما للوادي فحظه التنوين لما ذكر قيل من العلة لمن قال ذلك وان كان مصدرا أو مفسرا فكذلك

قد حصلت شيأ من العلم ولعل عندك علوما جمة على أن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وأيضا الاصليين في معجزات موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما أن الاصل في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القرآن فوقع ذلك في حيز التحدي (والسلام) أي جنس السلامة أو سلام خزنة الجنة (على من اتبع الهدى) يحتمل أن يكون هذا أيضا مما أمرا بأن يقولاه لفرعون ويحتمل أن تكون الرسالة قد تمت عند قوله بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن آمن وصدق قالت الأشاعرة في قوله (أن العذاب) أي جنسه أو كل فرد منه (على من كذب وتولى) دليل على أنه لا يعاقب أحدا من المؤمنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب أن

يبقى على أصله فى نفى الدوام على أن العقاب المتناهى لا نسبة له الى النعيم المقيم الذى لا نهاية له فكأنه لم يعاقب أصلا وأيضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب أن يكون من أهل السلامة (قال فمن ربكما يا موسى) خاطب الاثنين ووجه النداء الى موسى لانه الاصل فى ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز أنه خص موسى عليه السلام بالنداء لما عرف من فصاحة هرون والرتة التى كانت فى لسان موسى فأراد أن يعجز عن الجواب قال أهل الأدب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يبدأ بالسفاهة والشغب بل شرع فى المناظرة وطلب الحجة فدل على أن الشغب من غير حجة شئ لما كان يقتضيه فرعون مع كمال (١١٢) جهله وكفره فكيف يليق ذلك بمن يدعى الاسلام والعلم وفى اشتغال موسى باقامة الدلالة على المطلوب دليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بأن معرفة الله تستفاد من قول الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وفيه أن الحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم أن العلماء اختلفوا فى كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله الا أنه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله فى سورة القصص وظنوا انهم الينا لا يرجعون وليس فيه الا انكار المعاد دون انكار المبدا وقوله فى الشعراء وما رب العالمين الى قوله ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى أنا أطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على أنه اعترف بأصل الوجود وأيضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى لما هرب الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فكيف يعتقد مثل هذا الشخص أن الله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة أنه لا بد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وأيضا انه سأل عنها بما الشارحة للماهية فكان موسى لما أقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه فى هذا المقام

أيضا حكمه التنوين وهو عندى اسم الوادى واذ كان ذلك فهو فى موضع خفض ردا على الوادى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى﴾ اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء الذين قرؤا وانا بتشديد النون وأنا بفتح الالف من أنا رد اعلى نودى يا موسى كأن معنى الكلام عندهم نودى يا موسى انى أنا ربك وأنا اخترتك وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفة وأما عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرؤه وأنا اخترتك بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره ﴿قال أبو جعفر﴾ والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء أهل العلم بالقرآن مع اتفاق معنييهما فأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيه وتأويل الكلام نودى أنا اخترناك فاجتبيناك لرسالتنا الى من نرسلك اليه فاستمع لما يوحى يقول فاستمع لوحينا الذى نوحيه اليك وعه واعمل به انني أنا الله يقول تعالى ذكره انني أنا المعبود الذى لا تصلح العبادة الا له لا اله الا أنا فلا تعبد غيرى فانه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواى فاعبدنى يقول فأخلص العبادة لى دون كل ما عبد من دونى وأقم الصلاة لذكرى * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أقم الصلاة لى فانك اذا أقمتها ذكرتنى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أقم الصلاة لذكرى قال اذا صليت ذكرت به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وأقم الصلاة لذكرى قال اذا عبدنى ذكرت به * وقال آخرون بل معنى ذلك وأقم الصلاة حين تذكرها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله وأقم الصلاة لذكرى قال يصليها حين يذكرها حدثنى أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنى عمى عبد الله بن وهب قال ثنى يونس ومالك بن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نسى صلاة فليصلها اذا ذكرها قال الله أقم الصلاة لذكرى وكان الزهرى يقرؤها أقم الصلاة لذكرى بفتحة فعلى * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من قال معناه أقم الصلاة لتذكرنى فيها لان ذلك أظهر معنييه ولو كان معناه حين تذكرها لكان التنزيل أقم الصلاة لذكرها وفى قوله لذكرى دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد فى تأويل ذلك ولو كانت القراءة التى ذكرناها عن الزهرى قراءة مستفيضة فى قرأة الامصار كان صحيحا تأويل من تأوله بمعنى أقم الصلاة حين تذكرها

تذكرها

لطلبه وشرع فى مقام أصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر وأيضا انه قال فى الجواب (ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه) وصلة الذى لا بد أن تكون جملة معلومة للانسان ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على أن العاقل لا يجوز أن يعتقد فى نفسه أنه خالق السموات والارض وما فيهن ومنهم من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر أصلا ومنهم من قال انه فلسفى قائل بالعلة الموجبة أو هو من عبدة الكواكب أو من الحلولية والتناسخية وأما ادعاء الالهية والربوبية فمعناه أنه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء انما قال

ذكرها وذلك أن الزهري وجه بقراءته أقم الصلاة لذكرى بالالف لا بالاضافة (١) اذ أقم لذكراها لأن الهاء والالف حذفتا وهما مرادتان في الكلام لموفق بينها وبين سائر رؤس الآيات اذ كانت بالالف والفتح ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرنا عنه انما قصد الزهري بفتحها تصييره الاضافة الفا للتوفيق بينه وبين رؤس الآيات قبله وبعده لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالاضافة وقال انما ذلك كقول الشاعر

أطوف ما أطوف ثم آوي ... الى أمّا وبرة بيتي النقيع

وهو يريد الى أمي وكقول العرب يا أبا وأما وهي تريد يا أبي وأمي كان له بذلك مقال ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ يقول تعالى ذكره ان الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية أكاد أخفيها فعلى ضم الالف من أخفيها قراءة جميع قراء أمصار الاسلام بمعنى أكاد أخفيها من نفسي لئلا يطلع عليها أحد وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أكاد أخفيها يقول لا أظهر عليها أحدا غيري حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال لا تأتيكم الا بغتة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد ان الساعة آتية أكاد أخفيها قال من نفسي حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أكاد أخفيها قال من نفسي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أكاد أخفيها قال من نفسي حدثني عبد الأعلى ابن واصل قال ثنا محمد بن عبيد الطنافسي قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله أكاد أخفيها قال يخفيها من نفسه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أكاد أخفيها وهي في بعض القراءة أخفيها من نفسي ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الأنبياء المرسلين حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال في بعض الحروف ان الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي * وقال آخرون انما هو أكاد أخفيها بفتح الألف من أخفيها بمعنى أظهرها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا

(١) لعله اذا أصلها أقم الصلاة لذكراها وان الألف والهاء حذفت الخ فتأمل كتبه مصححه

لله وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى والخليقة أي أعطى الخلائق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال والالآلئ من البحار ويركبون الاغذية والادوية والاسلحة والامتعة ونظير هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابراهيم الذي خلقني فهو يهدين واما أن يكون الخلق بمعنى الصورة والشكل أي أعطى كل شئ صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فأعطى العين هيئتها التي تطابق الابصار والاذن ما يوافق الاستماع والانف الشم واليد للبطش والرجل للمشي بل أعطى رجل الآدمي شكلا يوافق سعيه ورجل الحيوانات الأخر شكلا يطابق مشيها بل أعطى ذوات القرون رجلا توافق حاجتهن وكذا الخف والحافر وذوات المخالب وقيل أراد أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة كجعل الحصان والحمار زوجين وكذا البعير والناقة والرجل والمرأة ومن قرأ خلقه بفتح اللام صفة للمضاف أو المضاف اليه والمفعول الثاني متروك أي كل شئ خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه واعلم ان عجائب حكمة الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر ههنا واحدا منها هي أن الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه جعل العظم والشعر أصلب الاعضاء على طبيعة الارض وجعل مكانهما فوق البدن وجعل تحته الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل تحته النفس الذي هو الهواء وجعل تحته الحرارة الغريزية في القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلافا لما يقوله الدهري والطبيعي

يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن سهل قال سألني رجل في المسجد عن هذا البيت

داب شهرين ثم شهرا دميكا * بأريكين يخفيان غميرا

فقلت يظهران فقال ورقاء بن اياس وهو خلق أقر أنها سعيد بن جبير أكاد أخفيها بنصب الالف وقد روى عن سعيد بن جبير وفاق القول الآخرين الذين قالوا معناه أكاد أخفيها من نفسي ذكر الرواية عنه بذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير ومنصور عن مجاهد قالا ان الساعة آتية أكاد أخفيها قالا من نفسي **حدثني** عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير أكاد أخفيها قال من نفسي * قال أبو جعفر والذي هو أولى بتأويل الآية من القول قول من قال معناه أكاد أخفيها من نفسي لان تأويل أهل التأويل بذلك جاء والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الالف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا فان قال قائل ولم وجهت تأويل قوله أكاد أخفيها بضم الالف الى معنى أكاد أخفيها من نفسي دون توجيهه الى معنى أكاد أظهرها وقد علمت أن للاخفاء في كلام العرب وجهين أحدهما الاظهار والآخر الكتمان وأن الاظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام اذ كان الاخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه اذ كان محالا أن يخفي أحد عن نفسه شيأ هو به عالم والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية قيل الامر في ذلك بخلاف ما ظننت وانما وجهنا معنى أخفيها بضم الالف الى معنى أستر بها من نفسي لان المعروف من معنى الاخفاء في كلام العرب الستر يقال قد أخفيت الشيء اذا سترته وأن الذين وجهوا معناه الى الاظهار اعتمدوا على بيت لامرئ القيس بن عابس الكندي **حدثت** عن معمر بن المثنى أنه قال أنشدنيه أبو الخطاب عن أهله في بلده

فان تدفنوا الداء لا نخفه * وان تبعثوا الحرب لا نقعد

بضم النون من لا نخفه ومعناه لا نظهره فكان اعتمادهم في توجيه الاخفاء في هذا الموضع الى الاظهار على ما ذكر وامن سماعهم هذا البيت على ما وصفت من ضم النون من نخفه وقد أنشدني الثقة عن الفراء فان تدفنوا الداء لا نخفه بفتح النون من نخفه من خفيته أخفيه وهو أولى بالصواب لانه المعروف من كلام العرب فاذ كان ذلك كذلك وكان الفتح في الالف من أخفيها غير جائز عندنا للذي ذكرنا ثبت وصح الوجه الآخر وهو أن معنى ذلك أكاد أسترها من نفسي وأما وجه صحة القول في ذلك فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم

مبالغة الكفار وأيضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب وهداية اما أن يكون واجبا أو جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغيير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان سائر الوجود افتقر في اتصافه بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم انه يستغني عن سمات النقص وشوائب الافتقار وليس الا الله الواحد القهار قال أهل النظم ان موسى عليه السلام لما قرر عليه أمر المبدأ (قال) فرعون ان كان وجود الواجب في هذا الحد من الظهور (فما بال القرون الاولى) لم يؤمنوا وجحدوا فعارض الحجة بالتقليد والبال الحال أو أنه لما هدده بالعذاب في قوله ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فأجاب بأن هذا مما استأثر الله بعلمه وما أنا الا عبد مثلك لا أعلم منه الا ما يخبرني به علام الغيوب أو أنه سأله عن أحوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من أن يميل قلوب ملئه الى حجته الباهرة ودلائله الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل (قال علمها عند ربي) ولا يتعلق غرضي بأحوالهم ويجوز أن يكون الكلام قد انجر ضمنا أو صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شيء فنازعه الكافر قائلا ما بال سوالف القرون في تعادي كثرتهم وتباعد أطرافهم كيف أحاط بهم وبأجزائهم وجواهرهم فأجاب بأن كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان كما يجوز عليك أيها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله علمها عند ربي مع قوله في كتاب لا يتنافيان بل المراد أنه تعالى عالم بجميع المغيبات مطلع على الكليات والجزئيات من أحوال الموجودات والمعدومات ومع ذلك فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل أن يقول لعلها أثبتت في اللوح لاحتمال الخطأ والنسيان فتدارك ذلك بقوله (لا يضل ربي ولا ينسى) قال مجاهد هما واحد المراد أنه لا يذهب عنه شيء ولا يخفى عليه والا كثرون على الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم أي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه يقال ضللت الشيء اذا أخطأته في مكانه فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال أبو عمرو لا يغيب عن شيء ولا يعزب عنه شيء وقال ابن جرير لا يخطئ في التدبير فيعتقد غير الصواب سهوا بل اذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده

خطابهم بينهم فلما كان معروفا في كلامهم أن يقول أحدهم اذا أراد المبالغة في الخبر عن اخفائه شيأ هوله مسرة قد كدت أن أخفي هذا الامر عن نفسي من شدة استسراري به ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم وما قد عرفوه في منطقهم وقد قيل في ذلك أقوال غير ما قلنا وانما اخترنا هذا القول على غيره من الاقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين اذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به منهم وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر فأما الذين قالوا في ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب من غير أن يعزوه الى امام من الصحابة أو التابعين وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهها المعروف فانهم اختلفوا في معناه بينهم فقال بعضهم يحتمل معناه أريد أخفيها قال وثالث معروف في اللغة وذكر أنه حكي عن العرب أنهم يقولون أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم وقال معناه لا أنزل الا عليهم قال وحكي أكاد أبرح منزلي أي ما أبرح منزلي واحتج ببيت أنشده لبعض الشعراء

كادت وكدت وتلك خير ارادة * لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

وقال يريد بكادت أردت قال فيكون المعنى أريد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال ومما يشبه ذلك قول زيد الخيل

سريع الى الهيجاء شاك سلاحه * فان يكد قرنه يتنفس

وقال كأنه قال فما يتنفس قرنه والاضعف المعنى قال وقال ذو الرمة

اذا غير النأي المحبين لم يكد * رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال وليس المعنى لم يكد يبرح أي بعد يسر ويبرح بعد عسر وانما المعنى لم يبرح أو لم يرد يبرح والاضعف المعنى قال وكذلك قول أبي النجم

وان أتاك نسعي فاندبن أبا * قد كاد يضطلع الاعداء والخطبا

وقال يكون المعنى قد اضطلع الاعداء والا لم يكن مدحا اذا أراد كاد ولم يرد يفعل * وقال آخرون بل معنى ذلك ان الساعة آتية أكاد قال وانتهى الخبر عند قوله أكاد لان معناه أكاد أن آتي بها قال ثم ابتدأ فقال ولكني أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى قال وذلك نظير قول ابن ضابئ

هممت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي أقاربه

فقال كدت ومعناه كدت أفعل * وقال آخرون معنى أخفيها أظهرها وقالوا الاخفاء والاسرار حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات السمويات والارضيات من الانسان وسائر الحيوانات وأنواع النباتات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال (الذي جعل لكم الارض مهدا) أي كالمهد وهو ما يعهد للصبي قال أبو عبيدة الذلل أختاره ممهادا لانه اسم لما يعهد والمهد مصدر وقال غيره المهد اسم والمهاد جمع وقال المفضل هما مصدران (وسلك) أي حصل (لكم فيها سبلا) ووسطها بين الجبال والأودية والبراري يقال سلكت الشيء في الشيء سلكا بالفتح أي أدخلته فيه (فأخرجنا به) أي بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين الأقدمين من أنكر تأثير الوسائط (أزواجا) أي أصنافا سميت بذلك لانها من زوجة مقترن بعضها ببعض (٥ ١١) و (شتى) صفة للازواج جمع شتيت كمريض ومرضى أو صفة للنبات لانه مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني أنها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون والرائحة والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا أو قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) وذلك أن بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم واباحة الاكل تتضمن اباحة سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا أموالكم ومن نعم الله تعالى أن أرزاق العباد انما تتحصل بعمل الأنعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون على أكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز أبو علي الفارسي أن يكون مصدرا كالهدى وخص أرباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها (منها خلقناكم) لأن آدم مخلوق من الارض أولان بني آدم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية أولما ورد في الخبر أن الملك يأخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه الآدمي فيذرها على النطفة (وفيها نعيدكم) لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله الى السماء وهو أيضا يحتمل أن يعاد اليها بعد ذلك ومنها نخرجكم تارة أخرى) بالحشر والبعث أو بأن نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد الاخراج أو المراد الاحياء في القبر وههنا بحث وهو أن يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى أو هو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن أن يوجه قوله فأخرجنا بأن المراد فأخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع أزواجا من نبات شتى الا أن قوله كلوا وارعوا الى قوله ومنها نخرجكم لا يطابقه وان قيل ان كلام موسى يتم عند قوله وأنزل لنا من السماء ماء ولم يصلح قوله فأخرجنا ابتداء كلام من الله لكان فاء التعقيب فالصواب أن يتم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم أنه تعالى ابتدأ فقال الذي أي

هو الذي جعل الى آخره وعلى هذا يكون قوله فأخرجنا من قبيل الالتفات افتنانا للكلام وايذانا بأنه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره تخصيصا بأن مثل هذا لا يدخل تحت قدرة أحد سواه والحاصل أنه تعالى عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الاقامة وسقى لهم فيها مسالك يتقلبون بها في أسفارهم وأنبت فيها أصناف النبات متاعا لهم ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالأم التي منها أنشؤا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث خروج الأجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض أي ارقدوا (١١٦) واسجدوا عليها من غير حائل أو تيمموا بها فانها بكم برة أي انها لكم كالام ومنها خلقنا كم وفيها نعايشكم وهي بعد الموت كفاتكم قوله عز وعلا (ولقد أريناه آياتنا) أي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف يستلزم حصول المعرفة فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والا كان كفر جهالة وضلالة * سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولاسيما اذا أكد بالكل لكنه تعالى ما أراه جميع الآيات لأن من جملتها ما أظهرها على الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف الا نافي محذو به حذر التعريف العهدي لو قيل الآيات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ولو سلم العموم فالمراد أنه أراه الآيات الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة وعلى المعاد لان تسليم القدرة على الانشاء يستلزم تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى أو أراد أنه أراه آياته المختصة به وعدد عليه سائر آيات الانبياء واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان أو اراءة بعض الآيات كاراءة الكل كما أن تكذيب بعض الآيات يستلزم تكذيب الكل كما قال (فكذب) أي الآيات كلها (وأبى) قول الحق قال القاضي الاباء الامتناع وانه لا يوصف به الا من يمكن من الفعل والترك والا لم يتوجه الذم وجواب الاشاعرة أنه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف أن تميل قلوب ملئه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح في نبوته لادعاء امكان معارضته قائلا (أجئتنا لتخرجنا) فان الاخراج من الديار قرينة القتل بدليل قوله أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ثم طالب للمعارضة موعدا فان جعلته زمان الوعد بدليل قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا الى الوعد المفهوم من الموعد أو الى زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على أنه ظرف للوعد المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون

قد توجهوا العرب الى معنى الاظهار واستشهد بعضهم لقيله ذلك ببيت الفرزدق

فلما رأى الحجاج جرد سيفه * أسر الحروري الذي كان أضمرا

وقال عنى بقوله أسر أظهر قال وقد يجوز أن يكون معنى قوله وأسروا الندامة وأظهروها قال وذلك أنهم قالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم جائز أن يكون قول من قال معنى ذلك أكاد أخفيها من نفسي أن يكون أراد أخفيها من قبلي ومن عندي وكل هذه الاقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا توجيه منهم للكلام الى غير وجهه المعروف وغير جائز توجيه معاني كلام الله الى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا اليه فيه وقوله لتجزى كل نفس بما تسعى يقول تعالى ذكره ان الساعة آتية لتجزى كل نفس يقول لتثاب كل نفس امتحنها بها بالعبادة في الدنيا بما تسعى يقول بما تعمل من خير وشر وطاعة ومعصية وقوله فلا يصدنك عنها يقول تعالى ذكره فلا يردنك يا موسى عن التأهب للساعة من لا يؤمن بها يعني من لا يقر بقيام الساعة ولا يصدق بالبعث بعد الممات ولا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا وقوله واتبع هواه يقول اتبع هوى نفسه وخالف أمر الله ونهيه فتردى يقول فتهلك ان أنت انصددت عن التأهب للساعة وعن الايمان بها وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم يصدمن كفر بها وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله فلا يصدنك عنها كناية عن ذكر الايمان قال وانما قيل عنها وهي كناية عن الايمان كما قيل ان ربك من بعدها لغفور رحيم يذهب الى الفعلة ولم يجر للايمان ذكر في هذا الموضع فيجعل ذلك من ذكره وانما جرى ذكر الساعة فهو بأن يكون من ذكرها أولى

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ يقول تعالى ذكره وما هذه التي في يمينك يا موسى فالباء في قوله بيمينك من صلة تلك والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي ومنه قول يزيد بن مفرغ

عدس ما لعباد عليك امارة * أمنت وهذا تحملين طليق

كأنه قال والذي تحملين طليق ولعل قائلا أن يقول وما وجه استخبار الله موسى عما في يده ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا قيل له ان ذلك على غير الذي ذهبت اليه وانما قال ذلك عز ذكره له اذ أراد أن يحولها حية تسعى وهي خشبة فنبهه عليها وقرره بأنها خشبة يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه ليعرفه قدرته على ما يشاء وعظم سلطانه ونفاذ أمره فيما أحب بتحويله اياها حية تسعى اذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته الى فرعون وقومه القول في تأويل قوله

تعالى (قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى) يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى قال موسى مجيبا ربه هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي يقول أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها فترعاه غنمي يقال منه هش فلان الشجر يهش هشا اذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها كما قال الراجز

أهش بالعصا على أغنامي * من ناعم الأراك والبشام

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وأهش بها على غنمي قال أخبط بها الشجر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأهش بها على غنمي قال كان نبي الله موسى صلى الله عليه وسلم يهش على غنمه ورق الشجر حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وأهش بها على غنمي يقول أضرب بها الشجر للغنم فيقع الورق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي قال يتوكأ عليها حين يمشي مع الغنم ويهش بها يحرك الشجر حتى يسقط الورق الحبلة وغيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن عكرمة وأهش بها على غنمي قال أضرب بها الشجر فيسقط من ورقها على حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا علي بن الحسن قال ثنا حسين قال سمعت عكرمة يقول وأهش بها على غنمي قال أضرب بها الشجر فيتساقط الورق على غنمي حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وأهش بها على غنمي يقول أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمي وقوله ولي فيها مآرب أخرى يقول ولي في عصاي هذه حوائج أخرى وهي جمع مأربة وفيها للعرب لغات ثلاث مأربة بضم الراء ومأربة بفتحها ومأربة بكسرها وهي مفعلة من قولهم لا أرب لي في هذا الامر أي لا حاجة لي فيه وقيل أخرى وهن مآرب جمع ولم يقل أخر كما قيل له الاسماء الحسنى وقد بينت العلة في توجيه ذلك هنالك * وبنحو الذي قلنا في معنى المآرب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن عبدة الضبي قال ثنا حفص ابن جميع قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ولي فيها مآرب أخرى قال حوائج أخرى قد علمتها حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولي فيها مآرب أخرى يقول حاجة أخرى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولي فيها مآرب أخرى قال حاجات

ابن زيد أي مستور بالا يحجب شيأ بارتفاعه وانخفاضه ليسهل على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الآن قال القاضي الاظهر أن قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الأقرب أنه من كلام موسى ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب ولان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سمع وهذا انما يليق بالمحق الواثق بالغلبة لا بالمبطل المزور على أن موعدكم خطاب الجمع وليس هنالك الا موسى وهرون فاما أن يرتكب أن أقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح واما أن يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون لعظمهما ويوم الزينة يوم عيدلهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم سوق لهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال و(أن يحشر) من غير تسمية الفاعل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بأنفسهم من غير حاشر لهم ويحتمل أن يحشر رفع أو جر عطفا على اليوم أو الزينة عين اليوم ثم الساعة وهي (ضحى) ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد لهم ذلك من هناك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع أمره العجيب في الاقطار والاعصار والاطراف والاكناف ففي ذلك تقوية دين الحق وتكثير راغبيه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم (فتولى فرعون) انصرف الى مقام تهيئة الأسباب المعارضة فان صاحب السحر يحتاج في تدبير السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال مقاتل أعرض وثبت على اعراضه عن الحق (فجمع كيده) أي أسباب الكيد وأدوات الحيلة والتمويه من مهرة السحر وغير ذلك (ثم أتى) الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقيل أربعمائة وقيل أكثر من ذلك فضرب فرعون قبة طولها سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله

تعالى أن موسى قدم قبل كل شئ الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من أهل النصح والاشفاق ولاسيما الأنبياء المبعوثين رحمة للامم (ويلكم) منصوب على المصدر الذى لافعل له أو على النداء (لاتفتروا على الله كذبا) بأن تدعوا آياته ومعجزاته سحرا (فيسحتكم) أسحت لغة أهل الحجاز والاسحات لغة أهل نجد وبنى تميم ومعناه الاستئصال حذرهم أمرين أحدهما عذاب الدارين والتنوين للتعظيم والآخر الخيبة والحرمان عن المقصود فان التمويه لابقاء له (فتنازعوا أمرهم بينهم) كقوله فى الكهف اذ يتنازعون بينهم أمرهم أى وقع التنازع بينهم (وأسروا النجوى) الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده (١١٨) ماروى عن ابن عباس أن نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله أمر وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والأكثرون على الاول وذلك أنهم تفاوضوا وتشاوروا حتى استقروا على شئ واحد وهو أنهم (قالوا ان هذان لساحران) الى آخر الآية لااشكال فى قراءة أبى عمرو وكذا فى قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيدا لمنطلق واللام فارقة بين المخففة والنافية وأما من قرأ ان بالتشديد وهذان بالالف فأورد عليه أن ان لم يعمل فى المثنى وأجيب بأنه على لغة بلحرث بن كعب وخثعم وبعض بنى عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة وابن جنى الى بعض بنى ربيعة جعلوا التثنية كعصا وسعدى مما آخره ألف فلم يقلبوها ياء فى الجر والنصب وقيل ان بمعنى نعم واعترض أن مابعده حينئذ يصير كقوله

أم الحليس لعجوز شهربه ... ولا يجوز مثله الا فى ضرورة الشعر

وانما موضع لام الابتداء فى السعة هو المبتدأ أو الجواب أن القرآن حجة على غيره وذكر الزجاج فى جوابه أن التقدير لهما ساحران فاللام داخلة على صدر الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلى واسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا أنه أجود ما سمعناه فى هذا الباب وضعفه ابن جنى بأن المبتدأ انما كان يجوز حذفه لو كان أمرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام وأيضا ان الحذف من باب الاختصار والتأكيد من باب الاطناب فالجمع بينهما محال مع أن ذكر المؤكد وحذف التأكيد أحسن فى مايوجب العكس وأيضا امتنع البصريون من جعل النفس فى قولك زيد ضرب نفسه تأكيدا للمستكن فدل ذلك على أن تأكيد المنوى أن إقتلوا أنفسكم بعضا لو كان ماذهب اليه الزجاج جائزا لحمل النحويون قول الشاعر على ذلك ولم يحملوه على الاضطرار ولمن تبصر قول الزجاح أن

حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولى فيها ما آرب أخرى قال حاجات ومنافع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولى فيها ما آرب أخرى قال حاجات حدثنا موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى ولى فيها ما آرب أخرى يقول حوائج أخرى أحل عليها المزود والسقاء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولى فيها ما آرب أخرى قال حوائج أخرى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ما آرب أخرى قال حاجات منافع أخرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه ولى فيها ما آرب أخرى أى منافع أخرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولى فيها ما آرب أخرى قال حوائج أخرى سوى ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ما آرب أخرى قال حاجات أخرى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى ألق عصاك التى بيمينك ياموسى يقول الله جل جلاله فألقاها موسى فجعلها الله حية تسعى وكانت قبل ذلك خشبة يابسة وعصايتوكأ عليها موسى ويهش بها على غنمه فصارت حية بأمر الله كما حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا حفص ابن جميع قال ثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما قيل لموسى ألقها ياموسى ألقاها فاذا هى حية تسعى ولم تكن قبل ذلك حية قال فرت بشجرة فأكلتها ومرت بحجرة فابتلعتها قال فجعل موسى يسمع وقع الحجرة فى جوفها قال فولى مدبرا فنودى أن ياموسى خذها فلم يأخذها ثم نودى الثانية أن خذها ولا تخف فلم يأخذها فقيل له فى الثالثة انك من الآمنين فأخذها حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال له يعنى لموسى ربه ألقها ياموسى يعنى فألقاها فاذا هى حية تسعى فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب فنودى ياموسى لاتخف انى لايخاف لدى المرسلون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه قال ألقها ياموسى فألقاها فاذا هى حية تسعى تهتز لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون فرأى أمرا فظيعا فولى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه ياموسى أقبل ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى وقوله قال خذها ولا تخف يقول تعالى ذكره قال الله لموسى خذ الحية والهاء والالف من ذكر الحية ولا تخف يقول ولا تخف من هذه الحية سنعيدها سيرتها الاولى يقول فانا سنعيدها الهيئتها الاولى التى كانت عليها قبل أن نصيرها حية ونردها عصا كما كانت يقال لكل من

يجيب عن الاول بأن التأكيد انما هو لنسبة الخبر الى المبتدا لا للمبتدا وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتدا المنوى وذكر المبتدا لا يدل على التأكيد فكان حذف المبتدا أولى وعن الثانى بأن الكلام قد يكون موجزا من وجه مطنبا من وجه آخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بأنهم امتنعوا من حمل النفس على التأكيد فى المثال المذكور لانهم رأوا أن اسناد الفعل الى المظهر أولى من اسناده الى المضمر لالأن تأكيد المنوى ممتنع على أنا بينا أن المؤكد ليس بمحذوف فى الآية مطلقا فان أحد طرفى الكلام مذكور وعن الرابع بأن ذهول المتقدمين عن هذا الوجه لا يقتضى كونه باطلا (١١٩) فكم ترك الاول للآخر * ولنرجع الى التفسير

قال الفراء الطريقة اسم لوجوه الناس وأشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه فسح أمر موسى فى أعين الحاضرين ونفرهم عنه بأنه ساحر والطباع نفور عن السحر وبأنه يقصد اخراجكم من ديارکم وهذا أيضا مما يغض القاصد اليهم وبأنه يريد أن يذهب بأشراف قومكم وأكابرکم قالوا وهم بنو اسرائيل لقول موسى أرسل معنا بنى اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف أى بأهل طريقتكم المثلى وسموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل حزب عالديهم فرحون والمثلى تأنيث الامثل أى الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب والرياسة وكان الأمر على ما يقال به من قرأ فاجمعوا من الجمع فظاهر ومن قرأ من الاجماع فمعناه اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا تظهره عامر فى سورة يونس فأجمعوا أمركم وشركاءكم سماه كيدا لانه علم أن السحر لا أصل له وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجتمعا عليه ثم أمرهم بأن يأتوا صفا أى مصطفين مجتمعين ليكون أهيب فى الصدور وأوقع فى النفوس

وعن أبى عبيدة أنه فسر الصف بالمصلى أى مصلى من المصليات أو موضع المصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلواتهم (وقد أفلح اليوم من استعلى) أى فاز من غلب وهو اعتراض واعلم أن قصة السحرة أكثرها يشبه ما مر فى الاعراف وقد فسرناها هناك فنحن الآن نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة (اما أن تلقى) أى اختر أحد الامرين القاءك أو القاءنا (فاذا حبالهم) هى اذا المفاجأة وأصلها الوقت أى فاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا عين موسى عليه السلام حتى تخيل ذلك وقيل أراد أنه شاهد شيأ لولا علمه أنه لا حقيقة لذلك الشئ لظن فيها أنها تسعى فيكون تمثيلا (فأوجس) أضمر (فى نفسه خيفة) هو مفعول أوجس و (موسى) فاعله

كان على أمر فتركه وتحول عنه ثم راجعه عاد فلان سيرته الاولى وعاد لسيرته الاولى وعاد الى سيرته الاولى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبدالله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سيرتها الاولى يقول حالتها الاولى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سيرتها الاولى قال هيئتها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه سنعيدها سيرتها الاولى أى سنردها عصا كما كانت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنعيدها سيرتها الاولى قال الى هيئتها الاولى * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ يقول تعالى ذكره واضمم يا موسى يدك فضعها تحت عضدك والجناحان هما اليدان كذلك روى الخبر عن أبى هريرة وكعب الأحبار وأما أهل العربية فانهم يقولون هما الجنبان وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز * أضمه للصدر والجناح * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الى جناحك قال كفه تحت عضده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله تخرج بيضاء من غير سوء ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء من غير سوء من غير برص مثل الثلج ثم ردها فخرجت كما كانت على لونه حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن وهب بن منبه حدثنا اسمعيل بن موسى الفزارى قال ثنا شريك عن يزيد بن أبى زياد عن مقسم عن ابن عباس فى قوله تخرج بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد من غير سوء قال من غير برص حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله بيضاء من غير سوء قال من غير برص حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من غير سوء قال من غير برص (١) حدثنا الحسن قال أخبرنا

(١) سبق هذا الحديث قبل حديث القاسم فهو مكرر سندا ومتنا فتنبه كتبه مصححه

أخر للفاصلة وذلك الخوف اما من جبلة البشرية حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف أن يخالج الناس شك فلا يتبعوه قاله مقاتل أو خاف أن يتأخر نزول الوحى عليه فى ذلك الوقت أو خاف أن يتفرق بعض القوم قبل أن يشاهدوا غلبته أو خاف تمادى الامر عليه وتكرره فازال الله تعالى خوفه محملا بقوله (انك أنت الاعلى) وفيه من أنواع التأكيد مالا يخفى وهى الاستئناف والتصدير بان والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا والعلو ومعناه الغلبة وصورة التفضيل ولا فضل لهم ومفصلا بقوله (وألق ما فى يمينك) لم يقل عصاك لما علم فى الاعراف ولما فى هذه السورة وما تلك بيمينك وقال (١٣٠) جار الله هو تصغير اشأن العصا وتهوين لامر السحرة أى ألق العود الفرد الصغير الجرم الذى فى يمينك فانه بقدرة الله يبتلع (ما صنعوا) أى زوروا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها أو هو تعظيم لشأنها أى لا تحفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة لان فى يمينك شيأ أعظم شأنا من كلها (انما صنعوا) ان الذى افتعلوه (كيد سحر) أى ذى سحر أو ذوى سحر أو هم فى توغلهم فى سحرهم كأنهم السحر بعينه أو الاضافة للبيان أى كيد هو سحر كقولك علم فقه وانما وحد ساحر فيمن قرأ على الوصف ليعلم أن المقصود هو الجنس كما قال (ولا يفلح الساحر) أى هذا الجنس ولو جمع لأوهم أن المراد هو العدد وانما نكر أولا لأن المراد تنكير الكيد كأنه قال هذا الذى أتوا به قسم واحد من أقسام السحر أو من أفعال السحرة وجميع أقسام السحر وأفراد السحرة لا فلاح فيها ومن نظائره انى لأكره أن أرى أحدكم سهلا لا فى أمر دنيا ولا فى أمر آخرة ومعنى سهلا أنه يجئ ويذهب فى غير شئ ومعنى (حيث أتى) أينما كان وأية سلك (فألقى السحرة سجدا) قال جار الله سبحان الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤسهم بعد ساعة للشكر فى السجود فما أعظم الفرق بين الالقاءين ورؤى أنهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها وعن عكرمة لما نزع واسبدا أدخلها أراهم الله فى سجودهم منازلهم التى يصيرون اليها فى الجنة واستبعده القاضى لانه كالالجاء الى الايمان وأنه ينافى التكليف قلت اذا كان الايمان مقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لعب لعب الجعل وأنكر عليهم ايمانهم وألقى شبهته فى البين أنه كبيرهم أى أسحرهم وأعلاهم درجة فى الصناعة أو معلمهم وأستاذهم من قول أهل مكة للمعلم أمرنى كبيرى أى أستاذى فى العلم أو غيره وأوعدهم بقطع الايدى والارجل (من خلاف) قال فى الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ من مخالفة العضو العضو لان من وافقها يأباه قلت الاولى

عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله بيضاء من غير سوء قال من غير برص **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى تخرج بيضاء من غير سوء قال من غير برص **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله من غير سوء قال من غير برص **حدثنا** ابن بشار قال ثنا حماد بن مسعدة قال ثنا قرة عن الحسن فى قول الله بيضاء من غير سوء قال أخرجها الله من غير سوء من غير برص فعلم موسى أنه لقى ربه وقوله آية أخرى يقول وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التى أريناك قبلها من تحويل العصا حية تسعى على حقيقة ما بعثناك به من الرسالة لمن بعثناك اليه ونصب آية على اتصالها بالفعل اذ لم يظهر لها ما يرفعها من هذه أو هى وقوله لنريك من آياتنا الكبرى يقول تعالى ذكره واضمم يدك يا موسى الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء كى نريك من أدلتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا وقال الكبرى فوحد وقد قال من آياتنا كما قال له الأسماء الحسنى وقد بينا ذلك هنالك وكان بعض أهل البصرة يقول انما قيل الكبرى لانه أريد بها التقديم كأن معناها عنده لنريك الكبرى من آياتنا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه موسى صلوات الله عليه اذهب يا موسى الى فرعون انه طغى يقول انه تجاوز قدره وتمرد على ربه وقد بينا معنى الطغيان فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وفى الكلام محذوف استغنى بفهم السامع بما ذكر منه وهو قوله اذهب الى فرعون انه طغى فادعه الى توحيد الله وطاعته وارسال بنى اسرائيل معك قال رب اشرح لى صدرى يقول رب اشرح لى صدرى لأمضى عنك ما تودعه من وحيك وأجترئ به على خطاب فرعون ويسر لى أمرى يقول وسهل على القيام بما تكلفنى من الرسالة وتحملنى من الطاعة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله رب اشرح لى صدرى، قال جرأنى وقوله واحلل عقدة من لسانى يقول وأطلق لسانى بالمنطق وكانت فيه فيما ذكر عجمة عن الكلام للذى كان من القائه الجمرة التى فيه يوم هم فرعون بقتله ذكر الرواية بذلك عمن قاله **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن سعيد بن جبير فى قوله عقدة من لسانى قال عجمة لجمرة نار أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون تردد عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل فقال هذا عدو لى فقالت له انه لا يعقل **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح واحلل عقدة من لسانى لجمرة نار

أن يقال الخلاف ههنا بمعنى الجهة المخالفة حتى يصح معنى الابتداء أى لأقطعن أيديكم وأرجلكم مبتدأ من الجهتين المتخالفتين عينا وشمالا فيكون الجار والمجرور فى موضع الحال أى لأقطعنها مختلفات الجهات قيل (فى جذوع النخل) أى عليها والأصوب أن يقال هى على أصلها بما يمكن المصلوب فى الجذع بتمكن المظروف فى الظرف (أينا أشد) أراد نفسه وموسى وفيه صلف باقتداره وقهره وما ألفه من تعذيب الناس واستخفاف بموسى مع الهزء به لان موسى لم يكن قط من التعذيب فى شئ قاله فى الكشاف قلت يحتمل أن يريد بقوله أينا الله تعالى ونفسه لتقدم ذكر رب هرون وموسى وقد سبق عذاب الله فى قوله ان العذاب على من كذب (١٢١) وتولى وفى قوله فيسحتكم بعذاب ويؤيده

أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل فقال هذا عدو لى فقالت له انه لا يعقل هذا قول سعيد بن جبير **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واحلل عقدة من لسانى قال عجمة من لسانى أدخلها فى فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين أخذ بلحيته **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما أخرج الغلام يعنى موسى أورته أمه آسية صبيا فمن ما هى ترقصه وتلعب به اذ ناولته فرعون وقالت خذه فلما أخذه اليه أخذ موسى بلحيته فنتفها فقال فرعون على الذابحين قالت آسية لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا انما هو صبى لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وقد علمت أنه ليس فى أهل مصر أحلى منى أنا أضع له حليا من الياقوت وأضع له جمرا ان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذ جمه وان أخذ الجمر فانما هو صبى فأخرجت له ياقوتا وجمرا وضعت له طستا من جمر فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم فطرح فى يده جمرة فطرحها موسى فى فيه فأحرقت لسانه فهو الذى يقول الله عز وجل واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى (١) فتوالت عن موسى من أجل ذلك وقوله يفقهوا قولى يقول يفقهوا عنى ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام واجعل لى وزيرا من أهلى يقول واجعل لى عونا من أهل بيتى هرون أخى وفى نصب هرون وجهان أحدهما أن يكون هرون منصوبا بقوله اجعل ويكون الوزير اذا نصب على هذا الوجه فعلا لهرون والآخر أن يكون هرون منصوبا على الترجمة عن الوزير **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس كان هرون أكبر من موسى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى انه سأل ربه أن يشد أزره بأخيه هرون وانما يعنى بقوله اشدد به أزرى تقو ظهرى وأعنى به يقال منه قد أزر فلان فلانا اذا أعانه وشد ظهره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اشدد به أزرى يقول اشدد به ظهرى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اشدد به أزرى يقول اشدد به أمرى وقوله وأشركه فى أمرى يقول واجعله نبيا مثل ما جعلتنى نبيا وأرسله معى الى فرعون كى نسبحك كثيرا يقول كى نعظمك بالتسبيح لك كثيرا ونذكرك كثيرا فحمدك انك كنت بنا بصيرا يقول انك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شئ **وذكر** عن عبد الله بن أبى اسحق أنه كان يقرأ أشدد به أزرى بفتح الالف من أشدد وأشركه فى أمرى بضم الالف من أشركه بمعنى الخبر من موسى عن نفسه أنه يفعل ذلك لا على

(١) فى نسخة الكتبخانه الخديوية فتوالت ولعله فزالت وحرر كتبه مصححه

قول السحرة فى جوابه والله خير وأبقى (لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا من البينات) المعجزات الظاهرات (و) على (الذى فطرنا) أو الواو للقسم وعلى هذا يجوز أن يكون على ما جاءنا بمعنى فيما جاءنا أى لن نميل اليك والحالة هذه وعلى الوجه الاول ففحوى الكلام لن نترك طاعتك لقنا والتصديق بمعجزات نبيه لأجل هواك (فاقض ما أنت قاض) عاشئت من العذاب (انما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى فى مدة الحياة العاجلة وقرئ تقضى مبنيا للمفعول هذه الحياة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صيم يوم الجمعة والحاصل أن قضاءك وحكمك منحصر فى مدة حياتنا الفانية والاعان وثمرته باق لا يزول والعقل يقتضى تحمل الضرر الفانى للفوز بالسعادة الباقية وللخلاص من العقاب الأبدى وذلك قولهم (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت فى قلوبهم الاعان طرفة عين فلم يتعاظم عندهم أن قالوا فى ذات الله تعالى فاقض ما أنت قاض والله ان أحدهم ليصحب القرآن ستين عاما ثم ليبيع دينه بثمن غبن ولما كان أقرب خطاياهم عهدا

(١٦ - (ابن جرير) - سادس عشر)

ما أظهروه من السحر قالوا وما أكرهتنا عليه من السحر) وفى هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس أن الفراعنة كانوا يكرهون فتيانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل سحره فأبوا أن يعارضوه وعن الحسن أنهم حشروا من المدائن مكرهين وزعم عمر بن عبيد أن دعوة السلطان اكراه وليس بقوى فلا اكراه الا مع الخوف فحيثما وجد حكم بالاكراه والا فلا وباقى الآيات ابتداء اخبار من الله أو هى من تمة كلامهم فيه قولان ولعل الأول أولى (انه) أى الشأن (من يأت ربه) أى

حيث لا حكم الا هو فيسقط استدلال المجسمة حال كون الآتي (مجرما فان له جهنم لا يموت فيها) موتة مريحة (ولا يحيى) حياة ممتعة قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالآية لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع بوعيد أصحاب الكبائر أجابت الأشاعرة بأن المجرم كثيرا ما يجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله وكنا نكذب بيوم الدين ولا ريب أن التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون الى آخر السورة فلم قلتم ان المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فتبطل المقدمة الاولى سلمنا (١٣٢) لكن المقدمة الثانية كليتها ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم العفو وحينئذ لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم يأته مؤمنا عندنا قلنا يصدق عليه المؤمن لان الايمان صدر عنه في الزمان الماضي كالضارب على من قد ضرب أمس وليس بين الحال والزمان الماضي مناقاة كلية ولهذا صح جاءني زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات وأنه حال آخر فكأنه قيل ومن يأته قد آمن قد عمل ولئن قيل ان عقاب المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس أولى لان الدفع أسهل من الرفع واقامة الحد على التائب في بعض الصور لاجل المحنة لا لاجل التنكيل وقوله نكالا من الله في حق من لم يتب بعد من السرقة سلمنا أن قوله ومن يأته مؤمنا لا يعم صاحب الكبيرة الا أن قوله فأولئك لهم الدرجات العلى من الجنة لمن أتى بالايمان والاعمال الصالحات أي الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فسائر الدرجات التي غير عالية لا بد أن تكون لغيرهم وما هم الا العصاة من أهل الايمان ثم عظم شأن المذكور بقوله (وذلك جزاء من تزكى) أي قال لا اله الا الله قاله ابن عباس وفيه دليل على أن قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة وقال آخرون تزكى أي تطهر من دنس الذنوب وعلى هذا يقع صاحب الكبيرة خارجا ﴿ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى والى الغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى قال فانا قد فتنا

وجه الدعاء واذا قرئ ذلك كذلك جزم أشد وأشر على الجزاء أو جواب الدعاء وذلك قراءة لا أرى القراءة بها وان كان لها وجه مفهوم لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى اذ أوحينا الى أمك ما يوحى﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك وحل عقدة لسانك وتصيير أخيك هرون وزيرا لك وشد أزرك به واشراكه في الرسالة معك ولقد مننا عليك مرة أخرى يقول تعالى ذكره ولقد تطولنا عليك يا موسى قبل هذه المرة مرة أخرى وذلك حين أوحينا الى أمك اذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كل مولود ذكر من قومك ما أوحينا اليها ثم فسر تعالى ذكره ما أوحى الى أمه فقال هو أن اقذفيه في التابوت فأن في موضع نصب ردا على ما التي في قوله ما يوحى وترجمة عنها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني﴾ يقول تعالى ذكره ولقد مننا عليك يا موسى مرة أخرى حين أوحينا الى أمك أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت فاقذفيه في اليم يعني بالنيل فليلقه اليم بالساحل يقول فاقذفيه في اليم يلقه اليم بالساحل وهو جزاء أخرج مخرج الامر كأن اليم هو المأمور كما قال جل ثناؤه اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم يعني اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بشرعة آل فرعون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما ولدت موسى أمه أرضعته حتى اذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت اليه فصنعت به ما أمرها الله تعالى جعلته في تابوت صغير ومهدت له فيه ثم عمدت الى النيل فقذفته فيه وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كل غداة فبينا هو جالس اذ مر النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مزاحم امرأته جالسة الى جنبه فقال ان هذا الشيء في البحر فأتوني به فخرج اليه أعوانه حتى جاؤا به ففتح التابوت فاذا فيه صبي في مهده فألقى الله عليه محبته وعطف عليه نفسه وعنى جل ثناؤه بقوله يأخذه عدو لي وعدو له فرعون وهو العدو كان لله ولموسى حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فاقذفيه في اليم وهو البحر وهو النيل * واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جل ثناؤه وألقيت عليك محبة مني فقال بعضهم عنى بذلك أنه حببه الى عباده ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن علي الصدائي والعباس ابن محمد الدوري قالا ثنا حسين الجعفي عن موسى بن قيس الحضرمي عن سلمة بن كهيل في قول الله وألقيت عليك محبة مني قال عباس حببتك الى عبادي وقال الصدائي حببتك الى خلقي * وقال آخرون

قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم
أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى
السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى فنسى أفلا يرون أن لا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد
قال لهم هرون من قبل ياقوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال
ياهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يابن أم لا تأخذ (٢٣) بلحيتى ولا برأسى انى خشيت أن تقول فرقت بين

بل معنى ذلك أى حسنت خلقك ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى
ابراهيم بن مهدى عن رجل عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله وألقيت عليك محبة منى قال حسنا
وملاحة * قال أبو جعفر والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله ألقى محبته
على موسى كما قال جل ثناؤه وألقيت عليك محبة منى فحببه الى آسية امرأة فرعون حتى تبنته وغذته
وربته والى فرعون حتى كف عنه عاديته وشره وقد قيل انما قيل وألقيت عليك محبة منى لانه حببه
الى كل من رآه ومعنى ألقيت عليك محبة منى حببتك اليهم يقول الرجل لآخر اذا أحبه ألقيت
عليك رحمتى أى محبتى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولتصنع على عينى اذ تمشى أختك
فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك الى أمك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك
من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ﴾ اختلف أهل التأويل
فى تأويل قوله ولتصنع على عينى فقال بعضهم معناه ولتغذى وتربى على محبتى وارادتى ذكر من قال
ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولتصنع على
عينى قال هو غذاؤه ولتغذى على عينى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى
قوله ولتصنع على عينى قال جعله فى بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة
* وقال آخرون بل معنى ذلك وأنت بعينى فى أحوالك كلها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ولتصنع على عينى قال أنت بعينى اذ جعلتك
أمك فى التابوت ثم فى البحر واذ تمشى أختك وقرأ ابن نهيك ولتصنع بفتح التاء وتأوله كما حدثنا
ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقرأ ولتصنع
على عينى فسألته عن ذلك فقال ولتعمل على عينى * قال أبو جعفر والقراءة التى لا أستجيز القراءة
بغيرها ولتصنع بضم التاء لاجماع الحجة من القراء عليها واذا كان ذلك كذلك فأولى التأويل به
التأويل الذى تأوله قتادة وهو وألقيت عليك محبة منى ولتغذى على عينى ألقيت عليك المحبة منى
ومعنى بقوله على عينى عبر أى منى ومحبة وارادة وقوله اذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من
يكفله يقول تعالى ذكره حين تمشى أختك تتبعك حتى وجدتك ثم تأتى من يطلب المراضع لك
فتقول هل أدلكم على من يكفله وحذف من الكلام ما ذكرت بعد قوله اذ تمشى أختك استغناء
بدلالة الكلام عليه وانما قالت أخت موسى ذلك لهم لما حدثنا موسى بن هرون قال ثنا
عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال لما ألقته أمه فى اليم قالت لأخته قصيه فلما التقطه آل
فرعون وأرادوا له المرضعات فلم يأخذ من أحد من النساء وجعل النساء يطلبن ذلك ليتزلن عند
فرعون فى الرضاع فأبى أن يأخذ فقالت أخته هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون

بنى اسرائيل ولم ترقب قولى قال
فما خطبك ياسامرى قال بصرت
بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من
أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت
لى نفسى قال فاذهب فان لك فى
الحياة أن تقول لا مساس وان لك
موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك
الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم
لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله
الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما
كذلك نقص عليك من أنباء ما قد
سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من
أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة
وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة
حملا يوم ينفخ فى الصور ونحشر
المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون
بينهم ان لبثتم الا عشرا نحن أعلم بما
يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان
لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال
فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها
قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
أمتا يومئذ يتبعون الداعى لا عوج
له وخشعت الأصوات للرحمن
فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من أذن له الرحمن
ورضى له قولا يعلم ما بين أيديهم وما
خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت
الوجوه للحى القيوم وقد خاب من
حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا

هضما وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من
قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ﴿ القراءات لاتخاف درکا بالجزم حمزة الباقون لا تخاف بالرفع أحييتكم وواعدتكم ورزقتكم
على التوحيد حمزة وعلى وخلف ووعدناكم من الوعد أبو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما على الآخرون بالكسر غلكنا
بفتح الميم أبو جعفر ونافع وعاصم غير المفضل بضمها حمزة وعلى وخلف بكسرها الباقون والمفضل حملنا بفتح الحاء والميم مخففة أبو عمرو وسهل
ويعقوب وحمزة وعلى وخلف سوى حفص الآخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة تتبعنى بالياء الساكنة فى الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب

وافق أبو عمرو ونافع غير اسمعيل في الوصل وقرأ يزيد واسمعيل بفتح الياء الباقون بحذفها يا ابن أم بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص لم تبصر وابتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف الباقون على الغيبة فنبذتها مدغما أبو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد وهشام وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الآخرون بفتحها النحر فنه بفتح النون وضم الراء يزيد الآخرون من التحريق فلا يخف بالجزم على النهي ابن كثير أن يتقضى بالنون مبنيا للفاعل وحيه بالنصب يعقوب الباقون بالياء مضمومة وبفتح الضاد وحيه بالرفع

الوقوف يبساج لأن قوله لا تخاف يصلح (٤ ١٢) صفة للطريق مع حذف الضمير العائد أي لا تخاف فيه ويصلح مستأنفا ومن قرأ لا تخف فوقفه أجوز لعدم العاطف ووقوع الخائل مع تعقب النهي الامر الا أن يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا تخشى ○ ما غشيهم ط لأن التقدير وقد أضل من قبيل على الحال الماضية دون العطف لانه عند ما غشيهم لم يتفرع للاضلال وما هدى ○ والهوى ○ غضبى ج هوى ○ اهتدى ○ يا موسى ○ لترضى ○ السامري ○ أسفا ج لاتساق الماضي على الماضي بلا ناسق حسنا ط موعدي ○ السامري ○ لا نسي ○ ط قولا لا للعطف ولا نفعا ○ ط فتتم به ج للابتداء بان مع اتصال المعنى واتحاد القائل قولي ○ يا سامري ○ نفسي ○ لا مساس ص لن تخلفه ج لاختلاف الجملتين مع اتفاقهما ط للقسم المحذوف نسفا ○ الامر ط علما ○ سبق ج للاستئناف والحال ذكرا ج ○ لان الشرطية تصلح صفة للذكر وتصلح مستأنفا وهو أوزر ○ لا لأن قوله خالدين حال من الضمير في يحمل وهو عائد الى من ومن للجمع معنى فيه ط حملا ○ لا لأن يوم ينفخ بدل من يوم القيامة زرقا ○ ج لأن ما بعده يصلح للصفة وللاستئناف عشرا ○ يوما ○ نسفا ○ لا صفصفا ○ لا أمتا ○ لا عوج له ج لاختلاف الجملتين همسا ○ قولا ○ علما ○ عن القيوم ط ظلما ○ هضما ○ ذكرا ○ الحق ج وحيه ز لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما أضيف اليه علما ○ التفسير هذا شروع في قصة انجاء بني اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى (فاضرب لهم طريقا) اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله أو أراد بين لهم طريقا (في البحر) بالضرب بالعصا حتى ينفلق فعدى الضرب الى الطريق ثم بين أن جميع أسباب الامن حاصلة في ذلك الطريق واليبس مصدر وصف به ومثله اليبس وتحوهما العدم والعدم ويوصف به المؤنث لذلك فيقال ناقتنا

فأخذوها وقالوا بل قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله قالت ما أعرفه ولكن اعاقلتهم للملك ناصحون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال قالت يعني أم موسى لأخته قصيه فانظري ماذا يفعلون به فخرجت في ذلك فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون وقد احتاج الى الرضاع والتمس الثدي وجعوا له المراضع حين ألقى الله محبتهم عليه فلا يوتى بامرأة فيقبل ثديها فيرمضهم ذلك فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيأ منهم فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون أي لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك وعنى بقوله هل أدلكم على من يكفله هل أدلكم على من يضمه اليه فيحفظه ويرضعه ويربيه وقيل معنى وكفلها زكريا ضمها وقوله فرجعناك الى أمك كي تقر عينها ولا تحزن يقول تعالى ذكره فرددناك الى أمك بعد ما صرت في أيدي آل فرعون كيما تقر عينها بسلامتك ونجاتك من القتل والغرق في اليم وكيلا تحزن عليك من الخوف من فرعون عليك أن يقتلك كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما قالت أخت موسى لهم ما قالت قالوا هات فأتت أمه فأخبرتها فانطلقت معها حتى أتتهم فناولوها اياه فلما وضعته في حجرها أخذ ثديها وسر بذلك منه ورده الله الى أمه كي تقر عينها ولا تحزن فبلغ لطف الله لها وله أن رد عليها ولدها وعاطف عليها نفع فرعون وأهل بيته مع الأمنة من القتل الذي يتخوف على غيره فكأنهم كانوا من أهل بيت فرعون في الامان والسعة فكان على فرش فرعون وسرره وقوله وقتلت نفسا يعني جل ثناؤه بذلك قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه عليه الاسرائيلي فوكزه موسى وقوله فنجيناك من الغم يقول تعالى ذكره فنجيناك من غمك بقتلك النفس التي قتلت اذ أرادوا أن يقتلوك بها فخلصناك منهم حتى هربت الى أهل مدين فلم يصلوا الى قتلك وقود به وكان قتله اياه فيما ذكر خطأ كما حدثني واصل بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن فضيل عن أبيه عن سالم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ فقال الله له وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فنجيناك من الغم قال من قتل النفس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنجيناك من الغم النفس التي قتل ○ واختلف أهل التأويل في تأويل قوله وفتناك فتونا فقال بعضهم ابتليناك ابتلاء واختبرناك اختبارا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية

يبس اذا جف لبنها والدرك والدرك اسمان من الادراك أى لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك وفى لا تخشى اذا قرئ لا تخف أوجه الاستئناف أى وأنت لا تخشى وجوز فى الكشاف أن يكون الالف للاطلاق من أجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وأن يكون كقول الشاعر كأن لم ترى قبلى أسيرا يمانيا أرادلم تر لان ماقبله وتضحك منى شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز فى الضرورة ولا ضرورة فى الآية (فأتبعهم فرعون) ألحق بهم جنوده أو تبعهم ومعه جنوده كما مر فى يونس (فغشيهم) أى علاهم ورهقهم (من اليم ماغشيهم) وهذا من جملة ماعلم فى باب الايجاز لدلالته على أنه غشيهم مالا يعلم كنهه الا الله

عن على عن ابن عباس قوله وفتناك فتونا يقول اختبرناك اختبارا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وفتناك فتونا قال ابتليت بلاء **حدثنى** العباس بن الوليد الاملى قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا أصبغ بن زيد الجهنى قال أخبرنا القاسم بن أيوب قال ثنى سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى وفتناك فتونا فسألته عن الفتون ماهى فقال لى استأنف النهار يا ابن جبير فان لها حديثا طويلا قال فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه ماوعدنى قال فقال ابن عباس تذاكر فرعون وجلساؤه ماوعدالله ابراهيم أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم ان بنى اسرائيل ينتظرون ذلك ومايشكون ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان الله وعد ابراهيم فقال فرعون فكيف ترون قال فأتمروا بينهم وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالا معهم الشفار يطوفون فى بنى اسرائيل فلا يجدون مولودا ذكرا الا ذبحوه فلما رأوا أن الكبار من بنى اسرائيل يموتون بآجالهم وأن الصغار يذبحون قالوا يوشك أن تفنوا بنى اسرائيل فتصيرون الى أن تباشروا من الاعمال والخدمة التى كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فيقل أبناؤهم ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحدا فتشب الصغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثروا بمن تستحيون منهم فتخافون مكاثرتهم اياكم ولن يقتلوا عاما تقتلون فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهرون فى العام المقبل الذى لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة حتى اذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع فى قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير مما دخل عليه فى بدن أمه مما يراد به فأوحى الله اليها ألا تخافى ولا تحزنى انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين وأمرها اذا ولدته أن تجعله فى تابوت ثم تلقيه فى اليم فلما ولدته فعلت ما أمرت به حتى اذا توارى عنها ابنها أتاها ابليس فقالت فى نفسها ماصنعت بابنى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب الى من أن ألقيه بيدى الى حيتان البحر ودوابه فانطلق به الماء حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى آل فرعون فرأينه فأخذنه فهممن أن يفتحن الباب فقال بعضهن لبعض ان فى هذا لمالا وانا ان فتحناه لم نصدقنا امرأة فرعون عما وجدنا فيه فحملنه كهيئته لم يحرك منه شيأ حتى دفعنه اليها فلما فتحته رأت فيه الغلام فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من كل شئ الا من ذكر موسى فلما سمع الذابحون بأمره أقبلوا الى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت للذابحين انصرفوا عنى فان هذا الواحد لا يزيد فى بنى اسرائيل فأتى فرعون فأستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وأجملتم وان

الاخبار وروى فى الآثار ونسبة الاضلال الى فرعون لا تنافى انتهاء الكل الى ارادة الله ومشيئته وقوله (وماهدى) تأكيد للاضلال وفيه تهكم به فى قوله وما أهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما أنعم به على بنى اسرائيل ويجوز أن يكون خطابا لليهود المعاصرين لأن النعمة على الآباء نعمة فى حق الابناء ومثله قوله (وواعدناكم جانب الطور الايمن) أى الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عادت اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فكتب التوراة فى الواح فقام شرعهم واستقام أمر معاشهم ومعادهم (كلوا) من تتمة القول وطغيانهم فى الرزق هو شغلهم باللهو والتنعم عن القيام بشكرها وتعدى حدود الله فيها بالاسراف والتقتير والغصب ومن قرأ (فيحل) بالكسر فمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب أداؤه ومن قرأ بالضم فمعنى النزول ونزول الغضب نزول نتائجه من العقوبات والمثلات ومعنى (هوى) هلك وأصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى أى وقع فى الهاوية * سؤال كيف أثبت المغفرة فى حق من استجمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما تتصور فى حق من أذنب وأيضا ما معنى قوله (ثم اهتدى) بعد الامور المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها الا أقل من أن يكون معها الجواب أراد وانى لغفار لمن تاب من الكفر وآمن وعمل صالحا وفيه دليل لمن ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل أن الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز أن يراد أنه اذا تاب من الكفر وأقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التى تصدر عنه فى خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وأما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة

على الخمسة أصعب من الشروع فيها كما قيل لكل الى شأو العلى حركات * ولكن عز في الرجال ثبات ونظير هذا العطف قوله أهلكناها فجاءها بأسنا وقد مر البحث فيه وروي أن موسى قدم على السبعين الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتعجبا وعد به بناء على اجتهاده وظنوا أن ذلك أقرب الى رضا الله فأنكر الله تعالى تقدمه قائلا (وما أعجلك عن قومك) أي شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم النقباء لا جميع قومه على ما توهم بعضهم يؤكده قوله (هم أولاء على أثري) ولم يكن جميع قومه على أثره قال جار الله قد تضمن ما وجهه به رب العزة شيئين أحدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم فكان أهم الامرين الى موسى تمهيد العذر من العجلة نفسها فاعتل بأنه لم يوجد مني الا تقدم يسير وليس بيني وبينهم الا مسافة يتقدم مثلها الوفد رأسهم ومتقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال (وعجلت اليك رب لترضى) أي طلبت دوام رضائك عني أو مزيد رضائك بناء على اجتهادي أن التعجيل الى مقام الكرامة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل لما أنكر عليه الاستعجال دهش خوفا من العقاب فتحير في الجواب (قال فانا قد فتنا قومك) يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف ما تخلف من عبادة العجل الا اثنا عشر ألفا روي أنهم أقاموا بعده فارقته عشرين ليلة وحسبوها أربعين مع أيامها وقالوا قد كملنا العدة ثم تأخر أمر العجل بعد ذلك فسئل الله تعالى كيف قال لموسى عند مقدمه انا قد فتنا قومك وأجيب بأنه على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا لوقوع وأراد بدء الفتنة لأن السامري افترص غيبة موسى فعزم على اضلال قومه عقب انطلاقه والقائل أن يمنع كون هذه الاخبار عنده قدم موسى عليه السلام بل أخره عند رجوعه دليل فاء التعقيب في قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وأوتي التوراة وسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوز أن تنسب الى الله تعالى لانه يناقض قوله وأضلهم السامري وانما الفتنة بمعنى الامتحان بتشديد التكليف ومنه فتنت الذهب بالنار وبيان ذلك أن السامري لما أخرج لهم العجل صار وامكلفين بأن يستدلوا بحدوث جملة الاجسام على أن العجل

أمر بذبحه لم ألمكم فلما أتت به فرعون قالت قرة عين لي ولك قال فرعون يكون لك وأما أنا فلا حاجة لي فيه فقال والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت به لهداه الله به كما هدى به امرأته ولكن الله حرمه ذلك فأرسلت الى من حولها من كل أنثى لها لبن لتختار له ظئرا فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت فذكرتها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق فجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها فلم يقبل من أحد وأصبحت أم موسى فقالت لأخته قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحي ابني أوقد أكلته دواب البحر وحيتانه ونسيت الذي كان الله وعدها فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤرات أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا وما يدريك ما نصحهم له هل يعرفونه حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى أمها فأخبرتها الخبر فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا الى ثديها حتى امتلأ جنباه فانطلق البشراء الى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فأرسلت اليها فأتيت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثي عندي حتى ترضعين ابني هذا فاني لم أحب حبه شيأ قط قال فقالت لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به الى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت والا فاني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من يومها فأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التي كانت فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى أزيريني ابني فوعدتها يوما تزيرها اياه فيه فقالت لخواصها وظؤرتها وقهارمتها لا يبقين أحد منكم الا استقبل ابني بهدية وكرامة لتريني ذلك وأنا باعثة أمينة تحصي ما يصنع كل انسان منكم فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها نحلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه وقالت انطلقن به الى فرعون فلينحله وليكرمه فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى مدها فقال عدو من أعداء الله ألا ترى ما وعدان الله ابراهيم أنه سيصرعك ويعلوك فأرسل الى الذابحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلاء ابتلي به وأراده فجاءت امرأة فرعون تسعى الى فرعون فقالت ما بدا لك في هذا الصبي الذي قد وهبته لي قال ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلوني فقالت اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحق ائت بجمرتين ولؤلؤتين

لا يصلح للالهية وقالت الأشاعرة الشبهة في كون الشمس والقمر الهاً أعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد من الذهب وحينئذ لا يكون حدوث ذلك العجل تشديداً في التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه فوجب حمله على خلق الضلال فيهم وأجابوا عن اضافة الضلال الى السامري بأن جميع المسببات العادية تضاف الى أسبابها في الظاهر وان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الأسف المغتاظ وفرق بين الاغتياظ والغضب لان الغيظ تغير يلحق المغتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا صح اطلاقه على الله سبحانه ثم عاتب موسى عليه السلام قومه بأمور منها (١٣٧) قوله (ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) كأنهم كانوا معترفين بالرب الأكبر لكنهم عبدوا العجل على التأويل الذي تذكر عبدة الاصنام أو على تأويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التوراة التي فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات ومثله ما روي عن مجاهد ان العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك فرعون وعدهم أرضهم وديارهم وقد فعل ومنها قوله (أفطال عليكم العهد) أي الزمان يريد مدة مفارقته لهم وعدوه أن يقيموا على أمره ويتركهم عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل وقيل أراد عهدهم بنعم الله تعالى من الانجاء وغيره والاكثرون على الاول لما روي أنه وعدهم ثلاثين كما أمر الله تعالى وواعد نا موسى ثلاثين ليلة فجاء بعد الأربعين لقوله تعالى وأتممناها بعشر ولما روي أنهم حسبوا العشرين أربعين ومنها قوله (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) قالوا هذا لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان أحداً لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهو خلاف الموعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لأن مريد السبب مريد للمسبب بالعرض

فتقربهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل وان تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فتقرب ذلك اليه فتناول الجمرتين فنزعوهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعد ما قدهم به وكان الله بالعافية أمره فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص الى أحد من بني اسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل امتناع فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بني اسرائيل والآخر من آل فرعون فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى واشتد غضبه لانه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس الا انما ذلك من قبل الرضاعة غير أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني فقتله وليس يراهما أحد الا الله والاسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الأخبار فأتى فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذلنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه لأنه لا يستقيم أن يقضي بغير بينة ولا ثبت فطلبوا له ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتاً اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونياً فاستغاثه الاسرائيلي على الفرعوني فعادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فقال للاسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم انك لغوي مبين فنظر الاسرائيلي موسى بعد ما قال له ذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعد ما قال له انك لغوي مبين أن يكون اياه أراد ولم يكن أراده وانما أراد الفرعوني فخاف الاسرائيلي فحاجز الفرعوني فقال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس وانما قال ذلك مخافة أن يكون اياه أراد موسى ليقتله فتتاركا فانطلق الفرعوني الى قومه فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس فأرسل فرعون النباحين فسلك موسى الطريق الأعظم فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم الى موسى فأخبره الخبر وذلك من الفتون يا ابن جبير حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فتونا قال بلاء القاوه في التابوت ثم في البحر ثم التقاط آل فرعون اياه ثم خروجه خائفاً * قال محمد بن عمرو وقال أبو عاصم خائفاً

احتج العلماء بالآية وبما مر من قوله فيحل عليكم غضبي أن الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله تعالى لا تنزل في شيء من الأجسام وموعده موسى هو ما ذكرنا من أنهم وعدوه الاقامة على دينه الى أن يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق به والمجيء على أثره (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) بالحركات الثلاث أي بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا ولم نخلع ربقة طاعتك عن أعناقنا ما أخلفناك ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده والظاهر أن القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه فكأنهم قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم يقدروا وأيضاً على منعهم ولم يقدروا أيضاً على مخالفتهم حذراً من التفرقة وزيادة الفتنة

ثم ان القوم بنوا ذلك العذر المجمل فقالوا (ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم) أى أثقالا من حلى القبط كما مر فى الاعراف وقيل الأوزار الآثام وانها فى الحقيقة أثقال مخصوصة معنوية (٣) سموا بذلك لان المغانم لم تحل حينئذ أولأنهم كانوا مستأمنين فى دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى وقيل ان تلك الحلى كان القبط يتزينون بها فى مجامع الكفر ومجالس المعاصى فلذلك وصفت بأنها أوزار كما يقال فى آلات المعاصى (فقذفناها) أى فى الحفرة كان هرون أمرهم بجمع الحلى انتظارا لعود موسى أو فى موضع أمرهم السامرى بذلك بعد أن أوقد النار (فكذلك ألقى السامرى) مثل فعلنا أراهم أنه يلقى حليا فى يده مثل ما ألقوا وانما ألقى التربة التى أخذها من موطئ حافر فرس جبريل كما يجىء فى قوله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) قد مر فى الأعراف (فقالوا) أى السامرى ومن تبعه (هذا الهكم وإله موسى فنسى) موسى أن يطلبه ههنا فذهب يطلبه عند الطور أو فنسى السامرى وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر أو نسى الاستدلال على أن العجل لا يجوز أن يكون الها بقوله (أفلا يرون أن لا يرجع) أن مخففة من الثقيلة ولهذا لم تعمل وقرئ بالنصب على أنها الناصبة قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعى الالهية جائز لانه لا يحصل الالتباس وههنا كذلك فوجب أن لا يمتنع خلق الحياة فى صورة العجل وروى عكرمة عن ابن عباس أن هرون مر بالسامرى وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لى فقال اللهم أعطه ما سألك فلما مضى هرون قال السامرى اللهم انى أسألك أن يخور فخار وعلى هذا التقدير يكون معجزا للنبى لا السامرى ثم انه سبحانه أخبر أن هرون لم يأل نصحا وإشفاقا فى شأن نفسه وفى شأن القوم قبل أن يقول لهم السامرى ما قال أما شفقته على نفسه فهى أنه أدخلها فى زمرة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر أما الامتثال فانه امتثل فى نفسه وفى شأن القوم أمر أخيه حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كأنهم أول ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة فتنوا به واستحسنوه فقبل أن ينطق السامرى بادرهم هرون فزجرهم عن الباطل أولا بأن هذا من جملة الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله (وان ربكم الرحمن) ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام أنهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم ثم بين أن الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبى وطاعته فان

أو جائعا شك أبو عاصم وقال الحرث خائفا يترقب ولم يشك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقال خائفا يترقب ولم يشك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفتناك فتونا يقول ابتليناك بلاء حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وفتناك فتونا هو البلاء على اثر البلاء * وقال آخرون معنى ذلك أخلصناك ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفتناك فتونا أخلصناك اخلاصا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يعلى بن مسلم قال سمعت سعيد بن جبير يفسر هذا الحرف وفتناك فتونا قال أخلصناك اخلاصا * قال أبو جعفر وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المغنية عن الاعادة فى هذا الموضع وقوله فلبثت سنين فى أهل مدين وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عما حذف ومعنى الكلام وفتناك فتونا فخرجت خائفا الى أهل مدين فلبثت سنين فيهم وقوله ثم جئت على قدر يا موسى يقول جئت ثم أردته ثم جئت للوقت الذى أردنا ارسالك الى فرعون رسولا ولمقداره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم جئت على قدر يا موسى يقول لقد جئت لميقات يا موسى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال على قدر يا موسى قال موعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال على ذى موعد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله على قدر يا موسى قال قدر الرسالة والنبوة والعرب تقول جاء فلان على قدر اذا جاء لميقات الحاجة اليه ومنه قول الشاعر

نال الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واصطنعتك لنفسى اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى﴾ يقول تعالى ذكره واصطنعتك لنفسى أنعمت عليك يا موسى هذه النعم ومننت عليك هذه المنن اجتباء منى لك واختيارا لرسالتى والبلاغ عنى والقيام بأمرى ونهيى اذهب أنت وأخوك هرون بآياتى يقول بأدلتى وحجتى اذهبا الى فرعون انه تمرد فى ضلاله وغيه فابلغاه رسالاتى ولا تنيا فى ذكرى يقول ولا تضعفا فى أن تذكرانى فيما أمرتكما ونهيتكما

فقال (فاتبعونى وأطيعوا أمرى) وهذا ترتيب فى غاية الحسن واعلم أن الشفقة على خلق الله أصل عظيم فى الدين وقاعدة متينة روى النعمان ابن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من أراد أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال الهى وسيدى هذا رسولك يشهد على بانى من أهل النار وأنا أعلم أنه صادق فاذا كان الامر كذلك فأسألك أن تجعلنى فداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتشعل النار بى حتى يبر يمينه ولا تسفع النار أحدا فهبط جبريل وقال يا محمد بشر الشاب بأنى قد أنقذته من النار بتصديقه لك وفداء أمتك بنفسه وشفقته على الخلق قال أهل السنة ههنا ان الشيعة تمسكوا بقوله صلى الله عليه وسلم أنت منى بمنزلة هرون من موسى ثم ان هرون ما منعته التقية فى مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم على الخطا لكان يجب على على كرم الله وجهه أن يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف والشيعة أن يقولوا ان هرون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا عاتبه موسى عاتب فاعتذر بأن القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى وهكذا على رضى الله عنه امتنع أولا من البيعة فلما آل الامر الى ما آل أعطاهم ما سألوا وانما قلت هذا على سبيل البحث لا لأجل التعصب ثم ان القوم قابلوا أحسن موعظة هرون بالتقليد والجمود قائلين (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى) ولا يخفى ما فى هذا الكلام من أنواع التوكيد من جهة النفى بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الخبر ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله

فان ذكركما اياى يقوى عزائمكما ويثبت أقدامكما لأنكما اذا ذكرتمانى ذكرتما منى عليكما نعما جمة ومننا لا تحصى كثرة يقال منه ونى فلان فى هذا الأمر وعن هذا الأمر اذا ضعف وهو ينى ونى كما قال العجاج

فما ونى محمد مذ أن غفر * له الاله ما مضى وما غبر

* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولا تنيا يقول لا تبطئا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول ولا تضعفا فى ذكرى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تنيا فى ذكرى قال لا تضعفا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تنيا تضعفا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول لا تضعفا فى ذكرى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تنيا فى ذكرى قال لا تضعفا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تنيا فى ذكرى يقول لا تضعفا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنيا فى ذكرى قال الوانى هو الغافل المفرط ذلك الوانى

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ يقول تعالى ذكره لموسى وهرون فقولا لفرعون قولا لينا ذكر أن القول اللين الذى أمرهما الله أن يقولاه له هو أن يكنياه حدثنى جعفر ابن ابنة اسحق بن يوسف الازرق قال ثنا سعيد بن محمد الثقفى قال ثنا على بن صالح عن السدى فقولا له قولا لينا قال كنياه وقوله لعله يتذكر أو يخشى اختلف فى معنى قوله لعله فى هذا الموضع فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام كأنهم وجهوا معنى الكلام الى فقولا له قولا لينا فانظرا هل يتذكر وراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لعله يتذكر أو يخشى يقول هل يتذكر أو يخشى * وقال آخرون معنى لعل ههنا كى ووجهوا معنى الكلام الى اذهبا الى فرعون انه طغى فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى كما يقول القائل اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك بمعنى لتأخذ أجرك وافرغ من عملك لعلنا نتغدى بمعنى لنتغدى أو حتى نتغدى ولكلا هذين القولين وجه حسن ومذهب

(١٧ - (ابن جرير) - سادس عشر)

(ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) تقوله ما منعك ألا تسجد فى أن لا هذه مزيدة أم لا وقد مر فى الأعراف وفى هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس ما منعك من اتباعى عن أطاعك والحق بى وترك المقام بين أظهرهم وقال مقاتل أراد الاتباع فى وصيته كأنه قال هلا قاتلت من كفر بى من آمن ومالك لا تباشر الأمر كما كنت أباشره قال الاصوليون فى قوله (أفعصيت أمرى) دلالة على أن تارك المأمور به عاص والعاصى يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه أن الامر للوجوب واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بأن موسى عليه السلام هل أمر هرون باتباعه أم لا وعلى التقدير من فهرون اتبعه أم لا

فان لم يأمره أو أمره ولكن اتبعه فلامته لهرون من غير جرم تكون ذنبا وان أمره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وأيضا قوله أفعصيت استفهام بمعنى الإنكار فاما أن يكون موسى كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما أن يكون هرون عاصيا وأيضا أخذه بلحية هرون ورأسه ان كان بعد البحث والتفتيش فهرون عاص والا فموسى وأجيب بان كل ذلك أمور اجتهادية جائزة الخطأ أو هي من باب ترك الاولى وقدم في أوائل البقرة في قصة آدم ما يتعلق بهذه المسئلة قوله (ولم ترقب قولي) أي وصيتي لك بحفظ الدهماء واجتماع الكلمة يؤيده قوله (اني خشيت أن تقول فرقت) قال الامام أبو القاسم الانصاري (١٣٠) الهداية أنفع من الدلالة فان السحرة ماراوا الا آية واحدة فآمنوا وتحملوا في الدين ما تحملوا وأما قوم موسى فقد رأوا ذلك مع زيادة سائر الآيات التسع ومع ذلك اغتروا بصوت العجل وعكفوا على عبادته فعرفنا أن الغرض لا يحصل الا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى من عتاب هرون أقبل على السامري وعكن أن يكون بعد أيام حضر أو ذهب اليه موسى ليخاطبه قال جار الله الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيأ ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه (قال) أي السامري (بصرت بما لم يبصروا به) قال ابن عباس ورواه أبو عبيدة علمت علما لم يعلموا به من البصارة يعني العلم وقال الآخرون رأيت بعالم ترومة الباء للتعدية ترجح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبي صلى الله عليه وسلم والقبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على أن المراد بالرسول جبريل عليه السلام وأثره التراب الذي أخذه من موقع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحياة ومتى رآه الأكثرون على أنه رآه يوم فلق البحر كان جبريل على الرمكة وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبريل فتبعه فرس فرعون وعن علي رضي الله عنه في ان جبريل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور أبصره السامري من بين الناس وكان راكب حيزوم فقال ان لهذا شأنا فقبض من تربة موطئه فعنى الآية فقبضت من أثر فرس المرسل اليك يوم حاول الميعاد ثم من المفسرين من جوز أن السامري لم يعرف أنه جبريل ومنهم من قال انه عرفه عن ابن عباس انما عرفه لانه ربا في صغره وحفظه من القتل حين أمر فرعون بقتل أولاد بني اسرائيل فكانت المرأة تلقي ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فتأخذ الملائكة الولدان فيربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري أخذه

صحيح وقوله قالا ربنا انا نخاف أن يفرط علينا يقول تعالى ذكره قال موسى وهرون ربنا انا نخاف فرعون ان نحن دعوناه الى ما أمرتنا أن ندعوه اليه أن يعجل علينا بالعقوبة وهو من قولهم فرط مني الى فلان أمر اذا سبق منه ذلك اليه ومنه فارط القوم وهو المتعجل المتقدم أمامهم الى الماء أو المنزل كما قال الراجز * قد فرط العلج علينا وعجل * وأما الافراط فهو الاسراف والاشطاط والتعدي يقال منه أفرطت في قولك اذا أسرف فيه وتعدى وأما التفريط فانه التواني يقال منه فرطت في هذا الامر حتى فات اذا توانى فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن يفرط علينا قال عقوبة منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال نخاف أن يعجل علينا اذ نبلغه كلامك أو أمرك يفرط ويعجل وقرأ لا تخافا انني معكما أسمع وأرى * القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى﴾ يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى وهرون لا تخافا فرعون انني معكما أعينكما عليه وأبصر كما أسمع ما يجري بينكما وبينه فأفهمكما ما تحاورانه به وأرى ما تفعلان ويفعل لا يخفى علي من ذلك شئ فأتياه فقولا له انا رسولا ربك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى ما يجاوبكما فأوحى اليهما فجاوباه وقوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك أرسلنا اليك يا مرلك أن ترسل معنا بني اسرائيل فأرسلهم معنا ولا تعذبهم بما تكلفهم من الاعمال الرديئة قد جئناك بآية معجزة من ربك على أنه أرسلنا اليك بذلك ان أنت لم تصدقنا فيما نقول لك أريناكها والسلام على من اتبع الهدى يقول والسلامة لمن اتبع هدى الله وهو بيانه يقال السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع بمعنى واحد * القول في تأويل قوله تعالى ﴿انا قد أوحي الينا أن العذاب على من كذب وتولى قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى﴾ يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهرون قولا لفرعون انا قد أوحي الينا ربك أن عذابه الذي لا نفاد له ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه اليه من توحيد الله وطاعته واجابة رسله وتولى يقول وأدبر معرضا عما جئناه به من الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أن العذاب على من كذب وتولى كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله وقوله قال فمن ربكما يا موسى

جبريل ويجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه وقال أبو مسلم اطلاق الرسول على جبريل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب وأيضا تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبريل وبمعرفة خاصية تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه فلقائل أن يقول لعل موسى اطلع على شئ آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى أن يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون اطلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا به مكذبا وأراد بأثره سنته ورسمه من قولهم فلان يقفو أثر فلان أي عرفت أن الذي عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيأ من سنتك فطرحتها فعلى قول العامة يكون قوله (وكذلك سولت لي نفسي) اشارة الى ما أوحى اليه وليه الشيطان أن تلك التربة اذا نبذت على الجماد صار حيوانا وعلى قول أبي مسلم يشير الى أن اتباع أثر ذلك كان من تسويلات النفس الأمارة فلذلك تركته ثم بين موسى أن له عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة وروى أنه أراد أن يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه سخي وفي قوله (لا مساس) وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس لانه اذا اتفق أن هناك مماسة فأحدهم الماس والثاني الممسوس فلذلك اذا رأى أحدا صاح لا مساس ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى الآن الثاني أن المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى أخرجه من محلة بني اسرائيل وقال له اخرج أنت وأهلك طريدا الى البراري أعترض الواحدي عليه بأن الرجل اذا صار مهجورا فلا يقول هو لا مساس وانما يقال له ذلك وأجيب بأن هذا على الحكاية أي أجعلك يا سامري بحيث اذا أخبرت عن حالك لم تقل الا لا مساس والثالث قول أبي مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبر بأنه لا يمكن له مماسة المرأة أي مجامعتها وأما حاله في الآخرة فذلك قوله (وان لك موعدا لن تخلفه) قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من أخلفت الموعد اذا وجدته خلفا ثم بين ما آل حال الهه فقال (وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا) أي ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا (لنحرقنه) من الاحراق ففيه دليل على أنه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار ونسفه في اليم قال السدي أمر موسى بذبحه فسال منه الدم ثم أحرق ثم نسف والنسف النقض ومن جعله من الحرق أي لنبردنه بالمبرد ففيه دلالة على أنه لم ينقلب حيوانا الا اذا أريد برد عظامه ومن جعله من التحريق فانه يحتمل الوجهين والمراد اهدار السامري وابطال كيده ومحق صنيعه والله خير الماكرين ثم ختم الكلام ببيان الدين الحق فقال (انما الهكم) أي المستحق للعبادة

في هذا الكلام متروك تركذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو قوله فأتياه فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته فقال فرعون لهما فمن ربكما يا موسى فخاطب موسى وحده بقوله يا موسى وقد وجه الكلام قبل ذلك الى موسى وأخيه وانما فعل ذلك لان المجاوبة انما تكون من الواحد وان كان الخطاب لجماعة لا من الجميع وذلك نظير قوله نسيا حوتهما وكان الذي يحمل الحوت واحدا وهو فتى موسى يدل على ذلك قوله انى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقوله قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه يعني نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم أعطاهم نظير خلقهم من الاناث أزواجا وكالذكور من البهائم أعطاها نظير خلقها وفي صورتها وهيئتها من الاناث أزواجا فلم يعط الانسان خلاف خلقه فيزوجه بالاناث من البهائم ولا البهائم بالاناث من الانس ثم هداهم للأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب وغير ذلك * وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يقول خلق لكل شئ زوجة ثم هداه لنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يقول أعطى كل دابة خلقها وجائم هدى للنكاح * وقال آخرون معنى قوله ثم هدى أنه هداهم الى الألفة والاجتماع والمناكحة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى يعني هدى بعضهم الى بعض ألف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوج بعضهم بعضا * وقال آخرون معنى ذلك أعطى كل شئ صورته وهي خلقه الذي خلقه به ثم هداه فيما يصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد في قوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال أعطى كل شئ صورته ثم هدى كل شئ الى معيشته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال سوى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها فعلمها اياه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال سوى خلق كل دابة ثم هداها لما يصلحها وعلمها اياه ولم يجعل

والتعظيم (الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما) قدم مثله فى الانعام قال مقاتل أى يعلم من يعبده وحين فرغ من قصة موسى شرع فى تثبيت رسوله صلى الله عليه وسلم فقال (كذلك) أى نحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامرى (نقص عليك من سائر أخبار الرسل مع أممهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شأن القرآن بقوله (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) أى ما ذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف فى دينه وفى دنياه والوزر العقوبة الثقيلة التى تنقض ظهر صاحبها أو المراد جزاء الوزر وهو الاثم (خالدين فيه) أى فى ذلك الوزر أو فى احتماله (وساء) فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف للقرينة أى ساء حملا وزرهم واللام فى (لهم) للبيان كما فى هيت لك ويجوز أن يكون ساء بمعنى قبح ويكون فيه ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز ولهم حال من حملا ولا أدرى لم أنكره صاحب الكشاف اللهم الا أن يمنع وقوع الحال من التمييز وفيه نظر قال ابن السكيت الحمل بالفتح ما كان فى بطن أو على رأس شجرة وبالكسر ما كان على ظهر أو رأس وفى الصور قولان أشهرهما أنه القرن يؤيده قوله فاذا نقر فى الناقور وانه تعالى يعرف أمور الآخرة بأمثال ما شوهد فى الدنيا ومن عادة الناس النفخ فى البوقات عند الأسفار وفى العساكر فجعل الله تعالى النفخ فى تلك الآلة علامة لخراب الدنيا ولاعادة الاموات وأقربهما من المعقول أن الصور جمع صورة يؤكده قراءة من قرأ بفتح الواو يقال صورة وصور كبدرة وبدر والنفخ نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه أن النفخ يتكرر لقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى والاحياء لا يتكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو مرادا من النفخة الاولى بالاتفاق (ونحشر المجرمين) عن ابن عباس هم أو الذين اتخذوا مع الله الها آخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة وفى الزرق وجوه قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة أبغض شئ من ألوان

الناس فى خلق البهائم ولا خلق البهائم فى خلق الناس ولكن خلق كل شئ فقدره تقديرا **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد أعطى كل شئ خلقه ثم هدى قال هداه الى حيلته ومعيشته * وقال آخرون بل معنى ذلك أعطى كل شئ ما يصلحه ثم هداه له ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله أعطى كل شئ خلقه قال أعطى كل شئ ما يصلحه ثم هداه له * قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لأنه جل ثناؤه أخبر أنه أعطى كل شئ خلقه ولا يعطى المعطى نفسه بل انما يعطى ما هو غيره لان العطية تقتضى المعطى والمعطى والعطية ولا تكون العطية هى المعطى واذا لم تكن هى هو وكانت غيره وكانت صورة كل خلق بعض أجزائه كان معلوما أنه اذا قيل أعطى الانسان صورته أنه انما يعنى أنه أعطى بعض المعانى التى به مع غيره دعى انسانا فكأن قائله قال أعطى كل خلق نفسه وليس ذلك اذا وجهه اليه الكلام بالمعروف من معانى العطية وان كان قد يحتمله الكلام فاذ كان ذلك كذلك فالأصوب من معانيه أن يكون موجها الى أن كل شئ أعطاه ربه مثل خلقه فزوجه به ثم هداه لما بينا ثم ترك ذكر مثل وقيل أعطى كل شئ خلقه كما يقال عبد الله مثل الاسد ثم يحذف مثل فيقول عبد الله الاسد ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون لموسى اذ وصف موسى ربه جل جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان وكثرة الانعام على خلقه والافضال فاشأن الامم الخالية من قبلنا لم تقر بما تقول ولم تصدق بما تدعو اليه ولم تخلص لها العبادة ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه ان كان الامر على ما تصف من أن الاشياء كلها خلقه وأنها فى نعمه تتقلب وفى مننه تتصرف فأجابه موسى فقال علم هذه الامم التى مضت من قبلنا فيما فعلت من ذلك عند ربى فى كتاب يعنى فى أم الكتاب لا علم لى بأمرها وما كان سبب ضلال من ضل منهم فذهب عن دين الله لا يضل ربى يقول لا يخطئ ربى فى تدبيره وأفعاله فان كان عذب تلك القرون فى عاجل وعجل هلاكها فالصواب ما فعل وان كان أخر عقابها الى القيامة فالحق ما فعل هو أعلم بما يفعل لا يخطئ فى فعله ولا ينسى فيترك فعل ما فعله حكمة وصواب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى يقول لا يخطئ ربى ولا ينسى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما بال القرون الاولى يقول فما أعمى القرون الاولى فوكلها انى الله موكلا فقال علمها عند ربى الآية يقول أى أعمارها وآجالها * وقال آخرون معنى قوله لا يضل ربى ولا ينسى واحد ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا يضل ربى ولا ينسى قال هما شئ واحد **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله والعرب تقول ضل فلان منزله اذا أخطأه يضله بغير ألف وكذلك ذلك فى كل ما كان من شئ ثابت لا يبرح فأخطأه مريده فانها تقول ضله ولا تقول أضله فاما اذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذى يتفلت منه فيذهب فانها تقول أضل فلان بعيره

العيون الى العرب لان الروم أعداؤهم وانهم زرق العيون ومن كلامهم فى صفة العدو أسود الكبد أصهب السبال أزرق العين وقال الكلبى زرقا أى عميا قال الزجاج يخرجون بصراء فى أول أمرهم لقوله ليوم تشخص فيه الابصار ولقوله اقرأ كتابك ثم يؤل حالهم الى العمى وان حدقة من يذهب نور بصره تزرق وقيل زرقا أى عطاشا لقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكأنهم من شدة العطش يتغير سوادعيونهم حكاه ثعلب عن ابن الاعرابى (يتخافتون) يتسارون (بينهم) من شدة خوفهم أو لأن صدورهم امتلأت رعبا وهؤلاء يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا اما لأنها أيام سرورهم وهن قصار واما لانها اذا انقضت والذاهب قليل وان طال ولاسيما بالنسبة الى الابد السرمدى كأن ظنينهم يقول قدر لبثنا فى الدنيا بالقياس الى لبثنا فى الآخرة كعشرة أيام فقال أعقلهم بل كاليوم الواحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل أراد عشر ساعات أى بعض يوم وعلى هذا فأفضلهم رد علمهم استقصارهم وتقالهم وقيل المراد لبثهم فى القبور قال أهل النظم كأن سائلا سأل كيف يصح التخافت بين الجمرمين والجبال حائلة مانعة فلذلك قال (ويسألونك عن الجبال) وقال الضحاك ان مشركى مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال يوم القيامة فنزلت ويحتمل أن يكون هذا جوابا شبهة تمسك بها منكر والبعث منهم جالينوس زعم أن الأفلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأت بالنقصان حتى تنتهى الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فأمر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يبين لهم هذه المسئلة الاصولية من غير

أوشاته أو ناقته بضله بالألف وقد بينا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى﴾ اختلف أهل التأويل فى قراءة قوله مهدا فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة الذى جعل لكم الارض مهادا بكسر الميم من المهاد والحاق ألف فيه بعد الهاء وكذلك عملهم ذلك فى كل القرآن وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك أنه انما اختاره من أجل أن المهاد اسم الموضع وأن المهد الفعل قال وهو مثل الفرش والفراش وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين مهدا بمعنى الذى مهد لكم الارض مهدا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار مشهورتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب فيها وقوله وسلك لكم فيها سبلا يقول وأنهج لكم فى الارض طرقا والهاء فى قوله فيها من ذكر الارض كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلك لكم فيها سبلا أى طرقا وقوله وأنزل من السماء ماء يقول وأنزل من السماء مطرا فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن انعامه على خلقه بما يحدث لهم من الغيث الذى ينزله من سمائه الى أرضه بعد تناهى خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنائه على ربه بما هو أهله يقول جل ثناؤه فأخرجنا نحن أيها الناس بما ننزل من السماء من ماء أزواجا يعنى ألوانا من نبات شتى يعنى مختلفة الطعوم والأرايح والمنظر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من نبات شتى يقول مختلف ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى﴾ يقول تعالى ذكره كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بالغيث الذى أنزلناه من السماء الى الأرض من ثمار ذلك وطعامه وما هو من أقواتكم وغذائكم وارعوا فيما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم ان فى ذلك لآيات يقول ان فيما وصفت فى هذه الآية من قدرة ربكم وعظيم سلطانه لآيات يعنى لدلالات وعلامات تدل على وحدانية ربكم وأن لا اله لكم غيره أولى النهى يعنى أهل الحجى والعقول والنهى جمع نهية كما الكشى جمع كشية « قال أبو جعفر » والكشى شحمة تكون فى جوف الضب شبيهة بالسرة وخص تعالى ذكره بأن ذلك آيات لأولى النهى لانهم أهل التفكر والاعتبار وأهل التدبر والاتعاظ ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ يقول تعالى ذكره من الأرض خلقنا كم أيها الناس فأنشأنا كم أجساما ناطقة وفيها نعيدكم يقول وفى الأرض نعيدكم بعد مماتكم فنصيركم ترابا كما كنتم قبل انشائنا كم بشرا سويا ومنها نخرجكم يقول ومن الارض نخرجكم كما كنتم قبل مماتكم أحياء فننشئكم منها كما أنشأناكم أول مرة وقوله تارة أخرى يقول مرة أخرى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنها نخرجكم تارة أخرى يقول مرة أخرى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله تارة أخرى قال مرة أخرى الخلق الآخر * قال أبو جعفر فتأويل الكلام اذا من الأرض أخرجنا كم ولم تكونوا شيأ خلقا سويا وسنخرجكم منها بعد مماتكم مرة أخرى كما أخرجنا كم منها أول مرة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ولقد أريناه آياتنا كلها

تأخير ولهذا أدخل فاء التعقيب فى الجواب والنسف القلع وقال الخليل التطيير والاذهاب كأنه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها وحاصل الجواب أن كل بطلان لا يلزم أن يكون ذو ليا بل قد يكون رفعيا والضمير فى (فيذرها) للمضاف المحذوف أى فيدع مقارها ومراكزها

وهو للارض للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها والقاع المستوى من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء والصفصف الارض المستوية وقيل التى لا نبات فيها والأمت النتو اليسير وقيل التلال الصغار قالوا العوج بالكسر فى المعانى وكأنه سبحانه نفى العوج الذى يدق عن الاحساس ولا يدرك الا بالقياس الهندسى واذا كان هذا النوع من العوج الاعتبارى منتفيا فكيف بالعوج الحسى وقد يستدل بالآية على أن الارض يومئذ تكون لزة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مستترة كقعوج الامتداد القائم عليها هنالك ثم انه تعالى وصف ذلك اليوم بان الخلائق فيه (يتبعون الداعى) قيل هو النفخ فى الصور وقوله (لا عوج له) أى لا يعدل عن أحد يدعائه بل يحشر الكل وقيل ان اسرافيل أو ملكا آخر يقوم على صخرة بيت المقدس ينادى أيها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومى الى ربك للحساب والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون صوته من غير انحراف (وخشعت الاصوات للرحمن) خفضت من شدة الفزع (فلا تسمع) أيها السامع (الا همسا) وهو الصوت الخفى وذلك أن الجن والانس علموا أن لا مالك لهم سواه وحق لمن كان الله محاسبه أن يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله ويطول غمه وعن ابن عباس والحسن وعكرمة وابن زيد الهمس وطء الاقدام الى المحشر قوله (الا من أذن له الرحمن) يصلح أن يكون من منتصبا على المفعولية وأن يكون مرفوعا على البدلية بتقدير حذف المضاف أى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن (ورضى له) أى لأجله (قولا) قال الامام فخر الدين الرازى الاحتمال الاول أولى لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تسلم ولا تحصل الا لمن أذن له فيها وكان قوله عند الله مرضيا فلو حملنا الآية على ذلك كان من ايضاح الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع وأقول الاحتمالان متقاربان متلازمان

فكذب وأبى﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرينا فرعون آياتنا يعنى أدلتنا وحججنا على حقيقة ما أرسلنا به رسولنا موسى وهرون اليه كلها فكذب وأبى أن يقبل من موسى وهرون ما جاآه به من عند ربهما من الحق استكبارا وعتوا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها الرسولنا موسى أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذى جئتنا به فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لانتعداه لنجىء بسحر مثل الذى جئت به فننظر أينا يغلب صاحبه لا نخلف ذلك الموعد نحن ولا أنت مكانا سوى يقول بمكان عدل بيننا وبينك ونصف وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين مكانا سوى بكسر السين وقرأته عامة قراء الكوفة مكانا سوى بضمها « قال أبو جعفر » والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما لغتان أعنى الكسر والضم فى السين من سوى مشهورتان فى العرب وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القراء مع اتفاق معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وللعرب فى ذلك اذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هى أشهر من الكسر والضم وهو الفتح كما قال جل ثناؤه تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم واذا فتحت السين منه مددت واذا كسرت أو ضممت قصرت كما قال الشاعر

فان أبانا كان حل ببلدة ٭ سوى بين قيس قيس عيلان والفزر

ونظير ذلك من الأسماء طوى وطوى وبنى وبنى وعدى وعدى ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مكانا سوى قال منصفا بينهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مكانا سوى أى عادلا بيننا وبينك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله مكانا سوى قال نصفا بيننا وبينك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال يقول عدلا وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مكانا سوى قال مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه لا يكون صوب ولا شئ فيغيب بعض ذلك عن بعض مستوحين يرى ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لفرعون حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع موعدكم للاجتماع يوم الزينة يعنى يوم عيد كان لهم أو سوق كانوا يتزينون فيه وأن يحشر الناس يقول وأن يساق الناس من كل فج وناحية ضحى فذلك موعدما بينى وبينك للاجتماع ٭ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

لان المشفوع لا تقبل الشفاعة في حقه الا اذا أذن الرحمن لأجله فيعود الى الثاني قالت المعتزلة الفاسق غير مرضي عند الله تعالى فوجب أن لا ينتفع بشفاعة الرسول وأجيب بأنه قد رضي لأجله قولا واحدا من أقواله وهو (١٣٥) كلمة الشهادة قالوا هب أن الفاسق قد رضي الله قولا لأجله فلم قلتم ان الاذن حاصل للشافع في حقه والجواب أنا أيضا نمنع من أن الاذن غير حاصل في حقه على أنه قال في موضع آخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الأحد القيدين ثم أخبر عن نهاية علمه بقوله (يعلم ما بين أيديهم) الضمير للذين يتبعون الداعي أي يعلم ما يقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه (ولا يحيطون) بمعلومه (علما) وقال الكلبي ومقاتل الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر في آية الكرسي وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له أي يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان منهم بعد خلقهم من أمر الآخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيأ من ذلك فكيف يصلحون للعبودية ثم ذكر غاية قدرته فقال (وعنت الوجوه) أي ذلت رقاب الملكات منقادين لأمره كالاساري عنا يعنو عنوا اذا صار أسيرا وقيل أراد وجوه العصاة في القيامة كقوله سيئت وجوه الذين كفروا ولعله خص الوجوه بالذكر لان أثر الذل والانكسار فيها أبين وأظهر قال جار الله (وقد خاب) وما بعده اعتراض أي كل من ظلم فهو خائب خاسر ولأهل السنة أن يخصوا الظلم ههنا بالشرك أو يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد من قرأ فلا يخاف بالرفع فعلى الاستئناف أي فهو لا يخاف كقوله فيذرهم الله منه ومن قرأ فلا يخف فعناه فليأمن له لان النهي عن الخوف أمر بالامن من فسر الظلم بأنه الأخذ فوق حقه والهضم بالنقص من حقه كصفة المنفقين فيقدر مضاف وتأخذوا أي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لأنه لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بأنه العقاب لا على جريمة والهضم بأنه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال أبو مسلم الظلم أن ينقص من

قوله قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فانه يوم زينة يجتمع الناس اليه ويحشر الناس له **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال موعدكم يوم الزينة قال يوم زينتهم ويوم عيدهم وأن يحشر الناس ضحى الى عيدهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد يوم الزينة قال يوم السوق **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم الزينة موعدهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله **حدثني** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال موسى موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى وذلك يوم عيدهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال موعدكم يوم الزينة يوم عيد كان لهم وقوله وأن يحشر الناس ضحى يجتمعون لذلك الميعاد الذي وعدوه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قال موعدكم يوم الزينة قال يوم العيد يوم يتفرغ الناس من الأعمال وينهدون ويحضرون ويرون **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال موعدكم يوم الزينة يوم عيد كان فرعون يخرج له وأن يحشر الناس ضحى حتى يحضروا أمره وأمرله وأن من قوله وأن يحشر الناس ضحى رفع بالعطف على قوله يوم الزينة وذكر عن أبي نهيك في ذلك ما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن قال سمعت أبا نهيك يقول وأن يحشر الناس ضحى يعني فرعون يحشر قومه وقوله فتولى فرعون يقول تعالى ذكره فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحق فجمع كيده يقول فجمع مكره وذلك جمعه سحرته بعد أخذها اياهم بتعلمه ثم أتى يقول ثم جاء للموعد الذي وعد موسى وجاء بسحرته ⁂ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة لما جاءهم فرعون ويلكم لا تفتروا على الله كذبا يقول لا تختلقوا على الله كذبا ولا تتقولوه فيسحتكم بعذاب فيستأصلكم يهلاك فيبيدكم وللعرب فيه لغتان سحت وأسحت وسحت أكثر من أسحت يقال منه سحت الدهر (٣) وأسحت مال فلان اذا أهلكه فهو يسحته سحتا وأسحته يسخته اسحاتا ومن الاسحات قول الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ٭ من المال الا مسحتا أو مجلف

ويروى الا مسحت أو مجلف ٭ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فيسحتكم بعذاب يقول فيهلككم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيسحتكم بعذاب يقول يستأصلكم بعذاب **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فيسحتكم بعذاب قال فيستأصلكم بعذاب فيهلككم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فيسحتكم بعذاب قال يهلككم هلاكا ليس فيه بقية قال والذي يسحت ليس فيه بقية **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فيسحتكم بعذاب يقول يهلككم بعذاب ⁂ واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة

الثواب والهضم أن لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال جار الله (وكذلك) عطف على قوله كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه وكما أنزلنا عليك هؤلاء الآيات المضمنة للوعيد أنزلنا القرآن كله عربيا لان العرب أصل وغيرهم تبع لأن النبى عربى (وصرفنا فيه من الوعيد) كررناه وفصلناه ويدخل فى ضمنه الفرائض والمحارم لأن الوعيد يتعلق بترك أحدهما وبفعل الآخر (لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا) حمل جار الله الأول على ارادة ترك المعاصى والثانى على فعل الخير والطاعة لأن الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة قلت لا ريب أن القرآن ينفر عن السيئات ويبعث على الطاعات من حيث ان فهم معانيه يؤدى الى ذلك وانما قدم الاول على الثانى لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل أن تكون التقوى عبارة عن فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان أى ان نسوا شيأ من التروك والافعال أحدث لهم ذكرا اذا تأملوا معانيه وكلمة أو على الاول للتخيير والاباحة لا للتناقى وعلى الثانى يجوز أن تكون للتناقى وقيل أراد أنزلنا القرآن ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا أقل من أن يوجب القرآن لهم ذكرا أى شرفا ومنسبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقديرين يكون فى انزال القرآن نفع ثم عظم شأن القرآن من وجه آخر وهو عظمة شأن منزله قائلا (فتعالى الله الملك الحق) ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين أنزل القرآن ليحترزوا عما لا ينبغى وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد عرف فى البسملة قال جار الله فيه استعظام له ولما يصرف عليه عباده من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك كما يجرى عليه أمر ملكوته قال أبو مسلم ان من قوله ويسئلونك عن الجبال الى ههنا كلام تام وقوله (ولا تعجل) خطاب

وبعض أهل الكوفة فيسحتكم بفتح الياء من سحت يسحت وقرأته عامة قراء الكوفة فيسحتكم بضم الياء من أسحت يسحت * قال أبو جعفر والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الفتح فيها أعجب الى لانها لغة أهل العالية وهى أفصح والأخرى وهى الضم فى نجد وقوله وقد خاب من افترى يقول ولم يظفر من يخلق كذبا ويقوله بكذبه ذلك بحاجته التى طلبها به ورجا ادراكها به * القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ يقول تعالى ذكره فتنازع السحرة أمرهم بينهم وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قال السحرة بينهم ان كان هذا ساحرا فانا نغلبه وان كان من السماء فله أمر * وقال آخرون بل هو أن بعضهم قال لبعض ما هذا القول بقول ساحر ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال جمع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى المجمع وفرعون فى مجلسه معه أشراف أهل مملكته قد استكف له الناس فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتراد السحرة بينهم وقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر وقوله وأسروا النجوى يقول تعالى ذكره وأسروا السحرة المناجاة بينهم ثم اختلف أهل العلم فى السرار الذى أسروه فقال بعضهم هو قول بعضهم لبعض ان كان هذا ساحرا فانا نغلبه وان كان من أمر السماء فانه سيغلبنا * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب ابن منبه قال أشار بعضهم الى بعض بتناجح ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى من دون موسى وهرون قالوا فى نجواهم ان هذين لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قالوا ان هذان لساحران يعنون بقولهم ان هذان موسى وهرون لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما موسى وهرون صلى الله عليهما * وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله ان هذان لساحران فقرأته عامة قراء الأمصار ان هذان بتشديد ان وبالالف فى هذان وقالوا قرأنا ذلك كذلك وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول ان خفيفة فى معنى ثقيلة وهى لغة لقوم يرفعون بها ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التى تكون فى معنى ما وقال بعض نحويى الكوفة ذلك على وجهين أحدهما على لغة بنى الحرث بن كعب ومن جاورهم يجعلون الاثنين فى رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف وقد أنشدنى رجل من الاسد عن بعض بنى الحرث بن كعب

فأطرق اطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما

قال وحكى عنه أيضا هذا خط يدا أخى أعرفه قال وذلك وان كان قليلا أقيس لأن العرب قالوا

مستأنف وقال آخرون انه صلى الله عليه وآله كان يخاف أن يفوته شئ فيقرأ مع الملك فانه تعالى حين شرح كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين أنه سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصي وأنه موصوف بالملك الدائم والعز الباقي وكل من كان كذلك

مسلمون فعلوا الواو تابعة للضمة لانها لا تعرب ثم قالوا رأيت المسلمين فعلوا الياء تابعة لكسرة الميم قالوا فلما رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها وثبت مفتوحا تركوا الالف تتبعه فقالوا رجلان في كل حال قال وقد اجتمعت العرب على اثبات الالف في كلا الرجلين في الرفع والنصب والخفض وهما اثنان الا بني كنانة فانهم يقولون رأيت كلى الرجلين ومررت بكلى الرجلين وهي قبيحة قليلة مضوا على القياس قال والوجه الآخر أن تقول وجدت الالف من هذا دعامة وليست بلام فعل فلما بنيت زدت عليها نونا ثم تركت الالف ثابتة على حالها لا تزول بكل حال كما قالت العرب الذى ثم زادوا نونا تدل على الجمع فقالوا الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه قال وكان القياس أن يقولوا الذون وقال آخرون هم ذلك من الجزم المرسل ولو نصب لخرج الى الانبساط وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس ان هذين لساحران في اللفظ وكتب هذان كما يريدون الكتاب واللفظ صواب قال وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم يرفعون الاثنين في موضع الجر والنصب قال وقال بشر بن هلال ان معنى الابتداء والايجاب ألا ترى أنها تعمل فيما يليها ولا تعمل فيما بعد الذى بعدها فترفع الخبر ولا تنصبه كما نصبت الاسم فكان يجاز ان هذان لساحران يجاز كلامين مخرجه انه اى نعم ثم قلت هذان ساحران ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابئ

فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فاني وقيارها لغريب

وقوله ان السيوف غدوها ورواحها * تركت هوازن مثل قرن الأعضب

قال ويقول بعضهم ان الله وملائكته يصلون على النبي فيرفعون على شركة الابتداء ولا يعملون فيه ان قال وقد سمعت الفصحاء من المحرمين يقولون ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال وقرأها قوم على تخفيف نون ان واسكانها قال ويجوز لانهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فصل قال * أم الحليس لعجوز شهربه * قال وزعم قوم أنه لا يجوز لانه اذا خفف نون ان فلا بد له من أن يدخل الا فيقول ان هذان الا ساحران * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا ان بتشديد نونها وهذان بالالف لاجماع الحجة من القراء عليه وأنه كذلك هو في خط المصحف ووجهه اذا قرئ كذلك مشابهته الذين اذ زادوا على الذى النون وأقروا في جميع الاحوال الاعراب على حالة واحدة فكذلك ان هذان زيدت على هذا نون وأقرت في جميع أحوال الاعراب على حال واحدة وهي لغة لبلحرث بن كعب وخثعم وزبيد ومن وليهم من قبائل اليمن وقوله ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول ويغلبا على سادا تكم وأشرافكم يقال هو طريقة قومه وتطورة قومه ونظيرتهم اذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور اليه يقال ذلك للواحد والجمع وربما جمعوا فقالوا هؤلاء طرائق قومهم ومنه قول الله تبارك وتعالى كنا طرائق قددا وهؤلاء نظائر قومهم وأما قوله المثلى فانها تأنيث الامثل يقال للمؤنث خذ المثلى منهما وفي المذكر خذ الأمثل منهما ووحدت المثلى وهي صفة ونعت للجماعة كما قيل له الاسماء الحسنى وقد يحتمل أن يكون المثلى أنث لتأنيث الطريقة * وبنحو ما قلنا في معنى قوله بطريقتكم المثلى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى

وجب أن يصون رسوله عن السهو والنسيان في أمر الوحي وما يتعلق بصلاح العباد في المعاش والمعاد قال ولا تعجل بالقرآن لانه حصل لك الأمان من السهو والنسيان (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أي من قبل أن تتم قراءة جبريل ونحوه قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به قاله مقاتل والسدى وابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة أراد ولا تعجل بالقرآن فتقرأ على أصحابك من قبل أن يوحى اليك بيان معانيه أي لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك البيان وقال الضحاك ان أهل مكة وأسقف نجران قالوا يا محمد أخبرنا عن كذا وكذا وقد ضربنا لك أجلا ثلاثة أيام فأبطأ الوحي عليه وفشت المقالة أن اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الآية أي لا تعجل بنزول القرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبرائيل ومنه اليك وعن الحسن أن امرأة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الآية فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص فانما نشأت هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقرآن يحتمل التعجيل بقراءته في نفسه أو في تأديته الى غيره أو في اعتقاد ظاهره أو كيفية تعريف الغير ما يقتضيه الظاهر وقوله من قبل أن يقضى اليك وحيه احتمل أن يراد من قبل أن يقضى اليك تمامه أو من قبل أن يقضى اليك بيانه فقد يجوز أن يحصل عقيبه استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصصات والمبينات ويؤكد هذه المعاني قوله (وقل رب زدني علما) لان معرفة البيان علم زائد على

معرفة الاجمال والظاهر أن هذا الاستعجال كان أمر اجتهاديا وكان الأولى تركه فلذلك نهى عنه قال جار الله هذا الأمر متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم أى علمتنى يارب لطيفة فى باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندى فزدنى علما الى علم ومن

يقول أمثلكم وهم بنو اسرائيل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال أولى العقل والشرف والأنساب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال أولى العقول والاشراف والانساب حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وطريقتهم المثلى يومئذ كانت بنو اسرائيل وكانوا أكثر القوم عددا وأموالا وأولادا قال عدو الله انما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بطريقتكم المثلى قال بنى اسرائيل حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ويذهبا بطريقتكم المثلى يقول يذهبا بأشراف قومكم * وقال آخرون معنى ذلك وبغيرا سنتكم ودينكم الذى أنتم عليه من قولهم فلان حسن الطريقة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى قال يذهبا بالذى أنتم عليه بغيرا ما أنتم عليه وقرأ ذروني أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد قال هذا قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وقال يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة فاذا غيرت ذهبت هذه الطريقة * وروى عن على فى معنى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى ما حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الرحمن بن اسحق عن القاسم عن على بن أبى طالب قال يصرفان وجوه الناس اليهما * قال أبو جعفر وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى قوله ويذهبا بطريقتكم المثلى وان كان قولا له وجه يحتمله الكلام فان تأويل أهل التأويل خلافه فلا أستجيز لذلك القول به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله فأجمعوا كيدكم فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة فأجمعوا كيدكم بهمز الألف من فأجمعوا ووجهوا معنى ذلك الى فأحكموا كيدكم واعزموا عليه من قولهم أجمع فلان الخروج وأجمع على الخروج كما يقال أزمع عليه ومنه قول الشاعر

ياليت شعرى والمنى لاتنفع * هل أغدون يوما وأمرى مجمع

يعنى بقوله مجمع قد أحكم وعزم عليه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم من لم يجمع على الصوم من الليل فلا صوم له وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة فاجمعوا كيدكم بوصل الألف وترك همزها من جمعت الشئ كأنه وجهه الى معنى فلا تدعوا من كيدكم شيأ الا جئتم به وكان بعض قارئى هذه القراءة يعتل فيما ذكر لى لقراءته ذلك كذلك بقوله فتولى فرعون فجمع كيده * قال أبو جعفر والصواب فى قراءة ذلك عندنا همز الالف من أجمع لاجماع الحجة من القراء عليه وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين فلا وجه لان يقال لهم اجمعوا ما دعيتم له مما أنتم به عالمون لان المرء انما يجمع ما لم يكن عنده الى ما عنده ولم يكن ذلك يوم تزيى فى علمهم عما كانوا يعلمونه من السحر بل كان يوم اظهاره أو كان متفرقا فما هو عنده بعضه الى بعض ولم يكن السحر متفرقا عندهم فيجمعونه وأما قوله فجمع كيده

فصل

قيل خاطبه بذلك ليذكره قول الملائكة يا ابن النساء الحيض ما التراب ورب الأرباب

فغير

فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها فيه أن الكرامة لأهل الكرامة كرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها فى الباطل

والطبيعة لا فى الحق والحقيقة قوله لاساس فيه معارضة بنقيض مقصود من أراد الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعدت بالتفرد والتوحش والنفار عن الخلق زرقا ان الوجه أشرف أعضاء الانسان والعين أشرف أعضاء الوجه وزرق العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان أشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا الاخلاق التابعة للامزجة وعنت الوجوه أى كل جهة بها يستند الممكن الى الواجب يتبعون الداعى لان كل ناس تدعى بامامهم فيتبعونه البتة وأهل الله لا يفرون الا الى الله فى قوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله المستعان ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة

فغير شبيه المعنى بقوله فأجمعوا كيدكم وذلك أن فرعون كان هو الذى يجمع و يحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا فقيل فتولى فرعون فجمع كيده وقوله ثم ائتوا صفا يقول احضروا وجيئوا صفا والصف ههنا مصدر ولذلك وحد ومعناه ثم ائتوا صفوفا والصف فى كلام العرب موضع آخر وهو قول العرب أتيت الصف اليوم يعنى به المصلى الذى يصلى فيه وقوله وقد أفلح اليوم من استعلى يقول قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال جمع فرعون الناس لذلك الجمع ثم أمر السحرة فقال ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من استعلى أى قد أفلح من أفلج اليوم على صاحبه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ﴾ يقول تعالى ذكره فأجمعت السحرة كيدهم ثم أتوا صفا فقالوا لموسى يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه واختلف فى مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذ صفا فقال بعضهم كانوا سبعين ألف ساحر مع كل ساحر منهم حبل وعصا ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا القاسم بن أبى بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر فألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا فألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فاغر به فاه فابتلع حبالهم وعصيهم فألقى السحرة عند ذلك سجدا فصاروا فعوارا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما فعند ذلك قالوا ان نؤثرك على ما جاءنا من البينات * وقال آخرون بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل الا ومعه حبل وعصا * وقال آخرون بل كانوا خمسة عشر ألفا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه * وقال آخرون كانوا تسعمائة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال كان السحرة ثلثمائة من العريش وثلثمائة من فيوم و يشكون فى ثلثمائة من الاسكندرية فقالوا لموسى اما أن تلقى ما معك فبلنا واما أن نلقى ما معنا قبلك وذلك قوله واما أن نكون أول من ألقى وأن فى قوله اما أن فى موضع نصب وذلك أن معنى الكلام اختر يا موسى أحد هذين الامرين اما أن تلقى قبلنا واما أن نكون أول من ألقى ولو قال قائل هو رفع كان مذهبا كأنه وجهه الى أنه خير كقول القائل

فسيرا فاما حاجة تقضيانها * واما مقيل صالح وصديق

وقوله قال بل ألقوا يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة بل ألقوا أنتم ما معكم قبلى وقوله فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى وفى هذا الكلام متروك وهو فألقوا اما معهم من الحبال والعصى فاذا حبالهم ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذى ذكر عليه عنه وذكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبل أن يلقوا حبالهم وعصيهم فخيل حينئذ الى موسى أنها تسعى

الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى ۞ القراآت وانك بالكسر أبو بكر وحماد والخراز ونافع الباقون بالفتح عطفا على أن لا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه أعمى بالامالة حمزة وعلى وخلف حيث تأتى الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير ترضى مبنيا للمفعول على وأبو بكر وحماد والمفضل زهرة بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب الآخرون بسكونها وقرأ حمزة وعلى وخلف هذه السورة وكل سورة آياتها على الياء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر ۞ الوقوف عزما ○ الا ابليس ط أبى ○ فتشقى ○ ولا تعرى ○ لمن قرأ وانك بالكسر ولا تضحى ○ لا يبلى ○ الجنة ز لنوع عدول عن ذكر حال اثنين الى بيان فعل من هو المقصود فغوى ○ ص وهدى ○ عدو ج لابتداء الشرط مع الفاء ولا يشقى ○ يوم القيامة أعمى ○ بصيرا ○ فنسيتها ج لعطف المختلفتين تنسى ○ بآيات ربه ط وأبقى ○ مساكنهم ط النهى ○ سمى ○ ط غروبها ج لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى ○ لنفتنهم فيه ط وأبقى ○ عليها ط رزقا ط نرزقك ط للتقوى ○ من ربه ط الاولى ○ وتخزى ○ فتربصوا ج ولسين التهديد مع الفاء اهتدى ○ ۞ التفسير في تعلق قصة آدم بما قبلها وجوه

كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصى والحبال فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا * واختلفت القراء في قراءة قوله يخيل اليه فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يخيل اليه بالياء بمعنى يخيل اليهم سعيها واذا قرئ ذلك كذلك كانت أن في موضع رفع وروى عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه تخيل بالتاء بمعنى تخيل حبالهم وعصيهم بأنها تسعى ومن قرأ ذلك كذلك كانت أن في موضع نصب لتعلق تخيل بها وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه تخيل اليه بمعنى تتخيل اليه واذا قرئ ذلك كذلك أيضا فأن في موضع نصب بمعنى تتخيل بالسعي لهم والقراءة التي لا يجوز عندي في ذلك غيرها يخيل بالياء لاجماع الحجة من القراء عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فأوجس في نفسه خوفا موسى فوجده وقوله قلنا لا تخف انك أنت الأعلى يقول تعالى ذكره قلنا لموسى اذ أوجس في نفسه خيفة لا تخف انك أنت الأعلى على هؤلاء السحرة وعلى فرعون وجنده والقاهر لهم وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا يقول وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى خيل اليك أنها تسعى وقوله انما صنعوا كيد ساحر اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة انما صنعوا كيد ساحر برفع كيد وبالألف في ساحر بمعنى ان الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة انما صنعوا كيد سحر برفع الكيد وبغير الالف في السحر بمعنى ان الذي صنعوه كيد سحر والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة فالساحر ماكر وخدعته من سحره يسحره ومكر السحر وخدعته تخيله الى المسحور على خلاف ما هو به في حقيقته فالساحر كائد بالسحر والسحر كائن بالتخييل فالى أيهما أضفت الكيد فهو صواب وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأ كيد سحر بنصب كيد ومن قرأ ذلك كذلك جعل انما حرفا واحدا وأعمل صنعوا في كيد « قال أبو جعفر » وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لاجماع الحجة من القراء على خلافها وقوله ولا يفلح الساحر حيث أتى يقول ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان وقد ذكر عن بعضهم أنه كان يقول معنى ذلك أن الساحر يقتل حيث وجد وذكر بعض نحويي البصرة أن ذلك في حرف ابن مسعود ولا يفلح الساحر أين أتى وقال العرب تقول جئتك من حيث لا تعلم ومن أين لا تعلم وقال غيره من أهل العربية الاول جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال أما قول العرب جئتك من حيث لا تعلم ومن أين لا تعلم فانما هو جواب لم يفهم فاستفهم كما قالوا أين الماء والعشب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى﴾ وفي هذا الكلام متروك قد استغني بدلالة ما ترك عليه وهو فألقى موسى عصاه فلقفت ما صنعوا فألقي السحرة سجدا قالوا

منها أنه لما قال كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق ثم عظم شأن القرآن وبالغ فيه ذكر عقيبه القصة انجاز للوعد ومنها أنه لما قال وصرفنا

فيه من الوعيد أردفه بهذه القصة ليعلم أن طاعة بني آدم للشيطان أمر قديم وخلة مورثة وذلك أنه عهد الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرف لأجلهم الوعيد فنسي وترك العهد ومنها أن قوله ولا تعجل بالقرآن دليل على أنه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب في رعاية أمر الدين وكان مفرطا في أداء الرسالة وحفظ ما أمر به فناسب أن يعطف عليه قصة آدم لأنه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى واذا كان أول الأنبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فما ظنك بغيرهما ومن هنا يعرف أفضلية الخاتم فانه سعى في طلب الكمال الى أن عوتب بالخروج عن حد الاعتدال وآدم توسط في حيز النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها أن محمدا صلى الله عليه وآله أمر بأن يقول رب زدني علما ثم ذكر عقيبه قصة آدم تنبيها على أن بني آدم مفتقرون في جميع أحوالهم الى التضرع واللجأ الى الله حتى يتفتح عليهم أبواب التيسير في العلم والعمل ومعنى (عهدنا الى آدم) أمرناه ووصيناه (من قبل) أي من قبل محمد والقرآن وفي النسيان قولان أحدهما أنه نقيض الذكر عن الحسن والله ما عصى قط الا بنسيان والثاني أن معناه الترك وعلى هذا يحتمل أن يقال أقدم على الأكل من غير تأويل وأن يقال أقدم عليه بتأويل قدمر في البقرة قال أهل الاشارة عهدنا اليه أن لا يعلق نوره فانقاد للشيطان وهو النسيان والعزم أيضا فيه أقوال أحدها عزما على الذنب لأنه أخطأ ولم يتعمد وثانيها عزما في العود الى الذنب ثانيا وثالثها رأيا وصبرا أي لم يكن من أهل العزيمة والثبات اذ كان من حقه أن يتصلب في المأمور

آمنا برب هرون وموسى وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحول ثعبانا فالتقم كل ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصي ذكر الرواية عمن قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر خيل اليه من سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين قال فتحت فمها مثل الدحل ثم وضعت مشفرها على الارض ورفعتها الآخر ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر ثم جاء اليها فقبض عليها فاذا هي عصا فلما رأت السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف قال فكان أول من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون ولأصلبنكم في جذوع النخل قال فكان أول من صلب في جذوع النخل فرعون حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فأوجس في نفسه خيفة موسى فأوحى الله اليه لا تخف وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون فألقى عصاه فاذا كانت كل حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب هرون وموسى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه فأوجس في نفسه خيفة موسى لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصي خيل اليه أنها تسعى وقال والله ان كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما تعدو عصاي هذه أو كما حدث نفسه فأوحى الله اليه أن ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى وفرح موسى فألقى عصاه من يده فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى فجعلت تلقفها ابتلاعها حية حية حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا ثم أخذها موسى فاذا هي عصا في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى لو كان هذا سحرا لما غلبنا وقوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم يقول جل ثناؤه وقال فرعون للسحرة أصدقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم اليه من قبل أن أطلق ذلك لكم انه لكبيركم يقول ان موسى لعظيمكم الذي علمكم السحر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه قال لما قالت السحرة آمنا برب هرون وموسى قال لهم فرعون وأسف ورأى الغلبة البينة آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر أي لعظيم السحار الذي علمكم وقوله فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف يقول فلأقطعن أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين أو يسرى اليدين ويمنى الرجلين فيكون ذلك قطعا من خلاف وكان فيما ذكر أول من فعل ذلك فرعون وقد ذكرنا الرواية بذلك وقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل يقول ولأصلبنكم على جذوع النخل كما قال الشاعر

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة ... فلا عطست شيبان الا بأجدعا

يعني على جذع نخلة وانما قيل في جذوع لان المصلوب على الخشبة يرفع في طولها ثم يصير عليها فيقال صلب عليها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولأصلبنكم في جذوع النخل لما رأى السحرة ما جاءه عرفوا أنه من الله فخروا سجدا وآمنوا عند ذلك قال

فصليا بوسوس الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز أن يكون بمعنى العلم ومفعولا له عزما وأن يكون بمعنى نقيض العدم كأنه قال وعدمنا له عزما قوله (واذ قلنا للملائكة) سلف في البقرة مستقصى قوله (ان هذا عدو لك) ذكر وا في سبب عداوته اياه أنه كان شابا عابدا

عدو الله فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف الآية حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال فرعون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل فقتلهم وقطعهم كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال كانوا فى أول النهار سحرة وفى آخر النهار شهداء وقوله ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى يقول ولتعلمن أيها السحرة أينا أشد عذابا بالكم وأدوم أنا أو موسى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى﴾ يقول تعالى ذكره قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعدهم به لن نؤثرك فنتبعك ونكذب من أجلك موسى على ما جاءنا من البينات يعنى من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم اليه موسى والذى فطرنا يقول قالوا لن نؤثرك على الذى جاءنا من البينات وعلى الذى فطرنا ويعنى بقوله فطرنا خلقنا فالذى من قوله والذى فطرنا مخفوض على قوله ما جاءنا وقد يحتمل أن يكون قوله والذى فطرنا مخفضا على القسم فيكون معنى الكلام لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والله وقوله فاقض ما أنت قاض يقول فاصنع ما أنت صانع واعمل بنا ما بدا لك انما تقضى هذه الحياة الدنيا يقول انما تقدر أن تعذبنا فى هذه الحياة الدنيا التى تفنى ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت انما حرفا واحدا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حدثت عن وهب بن منبه لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا أى على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة فاقض ما أنت قاض أى اصنع ما بدا لك انما تقضى هذه الحياة الدنيا أى ليس لك سلطان الا فيها ثم لا سلطان لك بعده وقوله انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا يقول تعالى ذكره انا أقررنا بتوحيد ربنا وصدقنا بوعده ووعيده وأن ما جاءه موسى حق ليغفر لنا خطايانا يقول ليعفو لنا عن ذنوبنا فيستر هاعلينا وما أكرهتنا عليه من السحر يقول ليغفر لنا ذنوبنا وتعلمنا ما تعلمنا من السحر وعملنا به الذى أكرهتنا على تعلمه والعمل به وذكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر ذكر من قال ذلك حدثنى موسى بن سهل قال ثنا نعيم ابن حماد قال ثنا سفيان بن عيينة عن أبى سعيد عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله تبارك وتعالى وما أكرهتنا عليه من السحر قال غلمان دفعهم فرعون الى السحرة تعلمهم السحر بالفرما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما أكرهتنا عليه من السحر قال أمرهم بتعلم السحر قال تركوا كتاب الله وأمروا قومهم بتعليم السحر وما أكرهتنا عليه من السحر قال أمرتنا أن نتعلمه وقوله والله خير وأبقى يقول والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله خير وأبقى خير منك ثوابا وأبقى عذابا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس فى قول الله والله خير وأبقى قالا خير اسنكا ان أطيع وأبقى منك عذابا ان عصى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى﴾ يقول تعالى

اقوله وعلم ادم الاسماء كلها وابليس كان شيخا جاهلا لانه أثبت فضله بفضيلة أصله والشيخ الجاهل أبدا يكون عدوا للشاب العالم وأيضا الماء والتراب ضدان للنار (فلا يخرجنكما) فلا يكون (١٤٣) سببا لاخراجكما لان الفاعل الحقيقى هو الله سبحانه (فتشقى) فتتعب فى طلب القوت وسائر ما يتعيش به الانسان أسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما فى الخروج لان الرجل أصل فى باب الانفاق والكسب والمرأة تابعة له ثم بين ذلك الشقاء بقوله (ان لك أن لا تجوع فيها) الى آخره والظمأ العطش وتقول ضحيت للشمس بالكسر أضحى ضحاء ممدودا اذا برزت لها والمراد به الكن مع أن الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها الضحاء نفى كون هذه الامور فى الجنة ليثبت حصولها فى غيرها ولا ريب أن أصول المتاعب فى الدنيا هى الشبع والرى والكسوة والكن وأما المنكوح فمشترك الا أن مؤن النكاح تختص بالدنيا وأنها أيضا ترجع الى المذكورات يروى أنه كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا فى أطراف الأصابع (فوسوس اليه الشيطان) أنهى اليه وسوسة كما مر فى الاعراف بيان الوسوسة أنه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أضافها الى الخلد وهو الخلود لان من أكل منها خلد برعمه كما قيل لخير يوم فرس الحياة لان من باشر أثره حى (وملك لا يبلى) أى لا ينقطع ولا يزول قال القاضى ليس فى الظاهر أنه قبل ذلك منه لانه لا بد أن يحصل بين هذا التكليف وبين الجزاء فصل بالموت والنبى يمتنع أن لا يعلم هذا القدر وأجيب بالمنع ولو سلم فلم لا يكفى الفصل بغشى أو نوم خفيف ولو سلم أنه لا يكفى فلم استحال أن يجهل النبى ذلك كما جهل عدم جواز الرؤية على زعمكم حين قال أرنى أنظر اليك ومما يدل على أن آدم قبل وسوسته ذكره

قوله تعالى (فأكلا) بالفاء والفاء مشعر بالعلية كقول الصحابى زنى ماعز فرجم وما فى الآية قد مر تفسيره فى الاعراف الا قوله (وعصى آدم ربه

ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون انه من يأت ربه من حلقه مجرما يقول مكنيا الكفر به فان له جهنم يقول فان له جهنم • أوى ومسكنا جزاء له على كفره لا يموت فيها فيستريح نفسه ولا يحيا فتستقر نفسه في مقرها فتطمئن ولكنها تتعلق بالحناجر منهم ومن يأته مؤمنا موحدا لا يشرك به قد عمل الصالحات يقول قد عمل ما أمر به ربه وانتهى عما نهاه عنه فأولئك لهم الدرجات العلى يقول فأولئك الذين لهم درجات الجنة العلى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى﴾ يقول تعالى ذكره ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي فقال هن جنات عدن يعني جنات اقامة لا ظعن عنها ولا انتقال لها ولا فناء تجري من تحتها الأنهار يقول تجري من تحت أشجارها الأنهار خالدين فيها يقول ماكثين فيها الى غير غاية محدودة فالجنات من قوله جنات عدن مرفوعة بالرد على الدرجات كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى قال عدن وقوله وذلك جزاء من تزكى يقول وهذه الدرجات العلى التي هي جنات عدن على ما وصف جل جلاله ثواب من تزكى يعني من تطهر من الذنوب فأطاع الله فيما أمره ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أوحينا الى نبينا موسى اذ تابعناه الحجج على فرعون فأبى أن يستجيب لأمر ربه وطغى وتمادى في طغيانه أن أسر ليلا بعبادي يعني بعبادي من بني اسرائيل فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا يقول فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا واليبس واليبس بجمع أيباس تقول وقفوا في أيباس من الارض واليبس المخفف بجمع يبوس * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يبسا قال يابسا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله لا تخاف دركا ولا تخشى فانه يعني لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك ولا تخشى غرقا من بين يديك ووحلا * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله لا تخاف دركا ولا تخشى يقول لا تخاف من آل فرعون دركا ولا تخشى من البحر غرقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تخاف دركا ولا تخشى يقول لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال أصحاب موسى هذا فرعون قد أدركنا وهذا البحر قد غشينا فأنزل الله لا تخاف دركا أصحاب فرعون ولا تخشى من البحر وحلا حدثني أحمد ابن الوليد الرملي قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن بعض أصحابه في قوله لا تخاف دركا ولا تخشى قال الوحل * واختلفت القراء في قراءة قوله لا تخاف دركا فقرأته عامة قراء الامصار غير الأعمش وحمزة لا تخاف دركا على الاستئناف بلا كما قال واصطبر عليها لا نسألك رزقا فرفع وأكثر

ان مخالفه عاص والا كان الأنبياء كلهم عصاة لانهم لا ينكفون عن ترك المندوب قالوا يقال أشرت اليه في أمر كذا فعصاني وأمرته بشرب الدواء فعصاني وأجيب بالمنع من أن هذا من مستعملات العرب العاربة ولو سلم فلعله انما يقال ذلك اذا عرف أن المشير لا بد له أن يفعل ذلك وحينئذ يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك الايجاب لم يصدر عن الشارع ومنهم من زعم أنه ذنب صغير وهم عامة المعتزلة ورد بأن العاصي اسم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغيرة وأجاب أبو مسلم الاصفهاني بأنه عصى في مصالح الدنيا لا فيما يتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى أي خاب من نعيم الجنة لأن الرشد هو أن يتوصل بشيء الى شيء فيصل الى المقصود والغي ضده وأنه سعى في طلب الخلود فنال ضد المقصود وعن بعضهم فغوى أي بشم من كثرة الاكل وزيفه جار الله ورد قول أبي مسلم بأن مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت في هذا نظر والأحوط في هذا الباب أن يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة بدليل قوله (ثم اجتباه ربه) أي اختاره للرسالة (وهدى) لحفظ أسباب العصمة أصل الاجتباء هو الجمع كما مر في آخر الاعراف يروى عن أبي أمامة

لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء فيه دليل على أنه لا مراد لقضائه وما قدره كائن لا محالة واذا جاء القضاء عمي البصر والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على أعقل الناس كما خفي على آدم عداوة ابليس وأنه

ما جاء في الامر الجواب مع لا بالرفع وقرأ ذلك الأعمش وحمزة لا تخف دركا فجزما لا تخاف على الجزاء ورفعا ولا تخشى على الاستئناف كما قال جل ثناؤه يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون فاستأنف بثم ولو نوى بقوله ولا تخشى الجزم وفيه الهاء كان جائزا كما قال الراجز * هزي اليك الجذع يجنيك الجنا * وأحب القراءتين الي أن أقرأ بهما الا تخاف على وجه الرفع لان ذلك أفصح اللغتين وان كانت الاخرى جائزة وكان بعض نحويي البصرة يقول معنى قوله لا تخاف دركا اضرب لهم طريقا لا تخاف فيه دركا قال وحذف فيه كما تقول زيدا أكرمت وأنت تريد أكرمته وكما تقول واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيأ أي لا تجزي فيه وأما نحويو الكوفة فانهم ينكرون حذف فيه الا في المواقيت لانه يصلح فيها أن يقال قمت اليوم وفي اليوم ولا يجيزون ذلك في الاسماء ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ يقول تعالى ذكره فسرى موسى ببني اسرائيل اذ أوحينا اليه أن أسر بهم فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر فغشي فرعون وجنده من اليم ما غشيهم فغرقوا جميعا فأضل فرعون قومه وما هدى يقول جل ثناؤه وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل وأخذ بهم على غير استقامة وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار بأمرهم بالكفر بالله وتكذيب رسله وما هدى يقول وما سلك بهم الطريق المستقيم وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى والتصديق به فأطاعوه فلم يهدهم بأمرهم اياهم بذلك ولم يهتدوا باتباعهم اياه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي﴾ يقول تعالى ذكره فلما نجا موسى بقومه من البحر وغشي فرعون وقومه من اليم ما غشيهم قلنا القوم موسى يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم فرعون وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن وقد بينا المن والسلوى باختلاف المختلفين فيهما وذكرنا الشواهد على الصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع * واختلفت القراء في قراءة قوله قد أنجيناكم فكانت عامة قراء المدينة والبصرة يقرؤونه قد أنجيناكم بالنون والالف وسائر الحروف الأخر معه كذلك وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة قد أنجيتكم بالتاء وكذلك سائر الحروف الأخر الا قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى فانهم وافقوا الآخرين في ذلك وقرؤوه بالنون والالف والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فصيب وقوله كلوا من طيبات ما رزقناكم يقول تعالى ذكره لهم كلوا يا بني اسرائيل من شهيات رزقنا الذي رزقناكم وحلاله الذي طيبناه لكم ولا تطغوا فيه يقول ولا تعتدوا فيه ولا تظلم فيه بعضكم بعضا كما حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تطغوا فيه يقول ولا تظلموا وقوله فيحل عليكم غضبي يقول فينزل عليكم عقوبتي كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فيحل عليكم غضبي يقول فينزل عليكم غضبي * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة فيحل عليكم بكسر الحاء ومن يحلل بكسر اللام ووجهوا معناه الى فيجب عليكم غضبي وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة فيحل عليكم بضم الحاء ووجهوا تأويله الى ما ذكرنا عن قتادة من أنه فيقع وينزل عليكم غضبي * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وقد حدث الله الذين قيل لهم هذا القول

تعرض لسخط الله في شأنه حين امتنع من سجوده فكيف قبل منه وسوسة لولا كتاب من الله سبق قال المحققون الأولى أن لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على آدم عليه السلام وان ورد في القرآن وعصى آدم ربه فغوى لأنه لم تصدر عنه الزلة الا مرة واحدة وصيغة اسم الفاعل تنبئ عن المزاولة ولان المسلم اذا تاب عن الشرب أو الزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز له أن يشتم عبده عاشاه وليس لغيره ذلك (قال اهبطا) قد مر تفسيره مثله في البقرة خاطبهما بالهبوط لانهما أصلا البشر ثم عم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما يأتينكم أما قوله (بعضكم لبعض عدو) فقد قال القاضي يكفي في توفية هذا الغاء حقه أن يكون ابليس والشياطين أعداء الناس والناس أعداء لهم فاذا انضاف الى ذلك عداوة بعض الفريقين لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والسبب فيه أن العقاب في الآخرة لأجل أنه فضل عن الدين في مدة التكليف واتباع كتاب الله يستلزم عدم

من بني اسرائيل وقوع بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم اياه ان هم عصوه وخوفهم وجوبه لهم فسواء قرئ ذلك بالوقوع أو بالوجوب لأنهم كانوا قد خوفوا المعنيين كليهما ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ يقول تعالى ذكره ومن يجب عليه غضبي فينزل به فقد هوى يقول فقد تردى فشقي كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فقد هوى يقول فقد شقي وقوله وانى لغفار لمن تاب يقول وانى لذو غفر لمن تاب من شركه فرجع منه الى الايمان بي وآمن بقول وأخلص لي الالوهية ولم يشرك في عبادتها يا غيري وعمل صالحا يقول وأدى فرائضي التي افترضتها عليه واجتنب معاصي ثم اهتدى يقول ثم لزم ذلك فاستقام ولم يضيع شيأ منه ﴿ وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وانى لغفار لمن تاب من الشرك وآمن يقول وحد الله وعمل صالحا يقول أدى فرائضي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانى لغفار لمن تاب من ذنبه وآمن به وعمل صالحا فيما بينه وبين الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع وانى لغفار لمن تاب من الشرك وآمن يقول وأخلص لله وعمل في اخلاصه واختلفوا في معنى قوله ثم اهتدى فقال بعضهم معناه لم يشكك في ايمانه ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم اهتدى يقول لم يشكك ﴿ وقال آخرون معنى ذلك ثم استقام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس ثم اهتدى قال أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ وقال آخرون بل معناه أصاب العمل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعمل صالحا ثم اهتدى قال أصاب العمل ﴿ وقال آخرون معنى ذلك عرف أمر مشيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن الكلبي وانى لغفار لمن تاب من الذنب وآمن من الشرك وعمل صالحا أدى ما افترضت عليه ثم اهتدى عرف مشيه ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ﴿ وقال آخرون بما حدثنا اسمعيل بن موسى الفزاري قال أخبرنا عمر بن شاكر قال سمعت ثابتا البناني يقول في قوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال الى ولاية أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ قال أبو جعفر وانما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى ولا معنى للاستقامة عليه الا وقد جمعه الايمان والعمل الصالح والتوبة فمن فعل ذلك وثبت عليه فلا شك في اهتدائه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت اليك رب لترضى﴾ يقول تعالى ذكره وما أعجلك وأي شيء أعجلك عن قومك يا موسى فتقدمتهم وخلفتهم وراءك ولم تكن معهم قال هم أولاء على أثري يقول قومي على أثري يلحقون بي وعجلت اليك رب لترضى يقول وعجلت أنا فسبقتهم رب كيما ترضى عني وانما قال الله تعالى ذكره لموسى ما أعجلك عن قومك لانه جل ثناؤه فيما بلغنا حين نجاه وبني اسرائيل من فرعون وقومه وقطع بهم البحر وعدهم جانب الطور الايمن فتعجل موسى الحرية وأقام هرون في بني اسرائيل يسير بهم على أثر موسى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا

الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب في الآخرة وأما الشقاء الذي قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لقصر مدته على أن الرضا بالقضاء يهون عليه مصائب الدنيا وآفاتها ثم ذكر وعيد من أعرض عن ذكره ظاهر الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى المذكور لان قوله ومن أعرض عن ذكري في مقابلة قوله لمن اتبع هداي وقد مر في أول البقرة أن المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر وصف به

سلمة عن ابن اسحق قال وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة تلقاه فيها بما شاء فاستخلف موسى هرون فى بنى اسرائيل ومعه السامرى يسيرهم على أثر موسى ليلحقهم به فلما كلم الله موسى قال له ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثرى وعجلت اليك رب لترضى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعجلت اليك رب لترضى قال لأرضيك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدى ﴾ يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى فانا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل وذلك كان فتنتهم من بعد موسى ويعنى بقوله من بعدك من بعد فراقك اياهم يقول الله تبارك وتعالى وأضلهم السامرى وكان اضلال السامرى اياهم دعاءه اياهم الى عبادة العجل وقوله فرجع موسى الى قومه يقول فانصرف موسى الى قومه من بنى اسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة غضبان أسفا متغيظا على قومه حزينا لما أحدثوا بعده من الكفر بالله كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله غضبان أسفا يقول حزينا وقال فى الزخرف فلما آسفونا يقول أغضبونا والأسف على وجهين الغضب والحزن حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى غضبان أسفا يقول حزينا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا أى حزينا على ما صنع قومه من بعده حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أسفا قال حزينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقوله قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا يقول ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ويعدكم جانب الطور الأيمن وينزل عليكم المن والسلوى فذلك وعد الله الحسن بنى اسرائيل الذى قال لهم موسى ألم يعدكموه ربكم وقوله أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم يقول أفطال عليكم العهد بى وبجميل نعم الله عندكم وأياديه لديكم أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم يقول أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل وكفركم بالله فأخلفتم موعدى وكان اخلافهم موعده عكوفهم على العجل وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذى كان الله وعدهم وقولهم لهرون اذ نهاهم عن عبادة العجل ودعاهم الى السير معه فى أثر موسى لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامرى فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم والله موسى فنسى ﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم موسى لموسى ما أخلفنا موعدك يعنون بموعده عهده الذى كان عهده اليهم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله موعدى قال عهدى وذلك العهد والموعد هو ما بيناه قبل وقوله ملكنا يخبر جل ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطا وقالوا انا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب ولم نملك أمرنا حتى وقعنا فى الذى وقعنا فيه من الفتنة * وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء

المدينة

ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك كأنه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لانقضائه وقصر مدته وكثرة شوائبه وانما العيش الواسع عيش الآخرة وهذا الضنك المتوعد به اما فى الدنيا أو فى القبر أو فى الآخرة مال الى كل طائفة أما الأول فلأن المسلم الراضى بقضاء ربه معه من التسليم والتوكل والقناعة ما يعيش به عيشا رافغا والمعرض عن الدين متول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض ولطموح ما ليس ينساله من الفراغ

المدينة بملكنا بفتح الميم وقرأته عامة قراء الكوفة بملكنا بضم الميم وقرأه بعض أهل البصرة بملكنا بالكسر فأما الفتح والضم فهما بمعنى واحد وهما بقدرتنا وطاقتنا غير أن أحدهما مصدر والآخر اسم وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشئ وكونه للمالك * واختلف أيضا أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه ما أخلفنا موعدك بأمرنا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبدالله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا يقول بأمرنا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بملكنا قال بأمرنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * وقال آخرون معناه بطاقتنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا أي بطاقتنا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا يقول بطاقتنا * وقال آخرون معناه ما أخلفنا موعدك بهوانا ولكنا لم نملك أنفسنا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما أخلفنا موعدك بملكنا قال يقول بهوانا قال ولكنه جاءت ثلاثة قال ومعهم حلي استعاروه من آل فرعون وثياب * قال أبو جعفر وكل هذه الاقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى لان من لم يملك نفسه لغلبة هواه على ما أمره فانه لا يمتنع في اللغة أن يقول فعل فلان هذا الامر وهو لا يملك نفسه وفعله وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه فاذا كان ذلك كذلك فسواء بأي القراآت الثلاث قرأ ذلك القارئ وذلك أن من كسر الميم من الملك فانما يوجه معنى الكلام الى ما أخلفناه موعدك ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا ايانا على خلافه وجعله من قول القائل هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات وأن من فتحها فانه يوجه معنى الكلام الى نحو ذلك غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل ملكت الشئ أملكه ملكا وملكة كما يقال غلبت فلانا أغلبه غلبا وغلبة وأن من ضمها فانه وجه معناه الى ما أخلفناه موعدك بسلطاننا وقدرتنا أي ونحن نقدر أن نمتنع منه لأن كل من قهر شيأ فقد صار له السلطان عليه وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضم فقال أي ملك كان يومئذ لبني اسرائيل وانما كانوا عصرا مستضعفين فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذي ظنه هذا المنكر عليهم ذلك وانما قصدوا الى أن معناه ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردها عما أتت لأن هواها غلبنا على اخلاف الموعد وقوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم يقول ولكنا حملنا أثقالا وأحمالا من زينة القوم يعنون من حلي آل فرعون وذلك أن بني اسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلا من مصر بأمر الله اياه بذلك أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم وقال ان الله مغنمكم ذلك ففعلوا واستعاروا من حلي نسائهم وأمتعتهم فذلك قولهم لموسى حين قال لهم أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ما أخلفناه موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فهو ما كان مع بني اسرائيل من حلي آل فرعون يقول خطونا عما أصبنا من حلي عدونا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني

والرفاغ الكلى فلا هم له الا هم الدنيا عن ابن عباس المعيشة الضنك هي أن يضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشئ منها ومن الكفرة من ضربت عليه الذلة والمسكنة وسئل الشبلي عن قوله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال أهل البلاء هم أهل الغفلات عن الله تعالى فعقوبتهم أن يردهم الله تعالى الى أنفسهم وأي معيشة أضيق وأشد من أن يرد الانسان الى نفسه قلت التحقيق أن بعض البليات من العقوبات فطلب العافية منها لازم وبعضها المزيد

الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أوزارا قال أثقالا وقوله من زينة القوم قال هي الحلي التي استعار وا من آل فرعون فهي الأثقال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولكنا حملنا أوزارا قال أثقالا من زينة القوم قال حليهم حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم يقول من حلي القبط حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم قال الحلي الذي استعاروه والثياب ليست من الذنوب في شيء لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها، فليست من الذنوب في شيء * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض المكيين حملنا بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض المكيين حملنا بتخفيف الحاء والميم وفتحهما بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد * قال أبو جعفر والقول عندي في تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى لأن القوم حملوا وأن موسى قد أمرهم بحمله فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب وقوله فقذفناها يقول فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة فكذلك ألقى السامري يقول فكما قذفنا نحن تلك الأثقال فكذلك ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فقذفناها قال فألقيناها فكذلك ألقى السامري كذلك صنع حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فقذفناها قال فألقيناها فكذلك ألقى السامري فكذلك صنع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقذفناها أي فنبذناها وقوله فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار يقول فأخرج لهم السامري مما قذفوه ومما ألقاه عجلا جسدا له خوار ويعني بالخوار الصوت وهو صوت البقر ثم اختلف أهل العلم في كيفية اخراج السامري العجل فقال بعضهم صاغه صياغة ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فمه فخار ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فكذلك ألقى السامري قال كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري انما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلي الذي كان معكم فهلموا وكانت حليا (١) تعيروها من آل فرعون فسار واوهي معهم فقذفوها اليه فصورها صورة بقرة وكان قد صر في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرئيل فقذفها مع الحلي والصورة فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فعل يخور خوار البقر فقال هذا الهكم وإله موسى حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامري انما احتبس عليكم لاجل ما عندكم من الحلي وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامري فصاغ منه عجلا ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس فرس الملك فنبذها في جوفه فاذا هو عجل جسد له خوار قالوا هذا الهكم وإله موسى ولكن موسى نسي ربه عندكم * وقال آخرون في ذلك بما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أخذ السامري من تربة الحافر حافر فرس جبرئيل فانطلق موسى واستخلف هرون على بني اسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة فأتمها الله بعشر قال لهم هرون يا بني

الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا فكثيرا ما يؤول أمر المبتلى الى الجزع والفزع فيحرم الثواب فتطلب العافية من هذا القسم أيضا خوفا من المآل وأما الثاني فعن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري ورفعه أبو هريرة الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس أن الآية نزلت في الاسود ابن عبد الله المخزومي والمراد ضغطة القبر تختلف فيه أضلاعه وأما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبي أنه ضيق في الآخرة وفي جهنم وأن طعامهم فيها الضريع والزقوم والحميم والغسلين فلا يموتون فيها

(١) لعله تعوروها أي استعاروها كما أورده في اللسان في قصة العجل من حديث ابن عباس تأمل اه كتبه مصححه

اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم وان حلى القبط انما هو غنيمة فاجمعوها جميعا فاحفروا لها حفرة فادفنوها فان جاء موسى فأحلها أخذتموها والا كان شيأ لم تأكلوه فجمعوا ذلك الحلى فى تلك الحفرة فجاء السامرى بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحلى عجلا جسدا له خوار وعدت بنو اسرائيل موعد موسى فعدوا الليلة يوما واليوم يوما فلما كان العشرين خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامرى هذا الهكم واله موسى فنسى فعكفوا عليه يعبدونه وكان يخور ويمشى فكذلك ألقى السامرى ذلك حين قال لهم هرون احفروا لهذا الحلى حفرة واطرحوه فيها فطرحوه فقذف السامرى تربته وقوله فقال هذا الهكم واله موسى يقول فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل هذا معبودكم ومعبود موسى وقوله فنسى يقول فضل وترك ثم اختلف أهل التأويل فى قوله فنسى من قائله ومن الذى وصف به وما معناه فقال بعضهم هذا من الله خبر عن السامرى والسامرى هو الموصوف به وقالوا معناه أنه ترك الدين الذى بعث الله به موسى وهو الاسلام ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال يقول الله فنسى أى ترك ما كان عليه من الاسلام يعنى السامرى ◦ وقال آخرون بل هذا خبر من الله عن السامرى أنه قال لبنى اسرائيل وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه فأضل موضعه وهو هذا العجل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فقذفناها يعنى زينة القوم حين أمرنا السامرى لما قبض قبضة من أثر جبرائيل عليه السلام فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى الذى انطلق يطلبه فنسى يعنى نسى موسى ضل عنه فلم يهتد له

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنسى يقول طلب هذا موسى فخالفه الطريق

حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فنسى يقول قال السامرى موسى نسى ربه عندكم

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فنسى موسى قال هم يقولونه أخطأ الرب العجل

حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فنسى قال نسى موسى أخطأ الرب العجل قوم موسى يقولونه

حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فنسى يقول ترك موسى الهه ههنا وذهب يطلبه

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا الهكم واله موسى فنسى قال يقول فنسى حيث وعده ربه ههنا ولكنه نسى

حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله هذا الهكم واله موسى فنسى يقول نسى موسى ربه فأخطأه وهذا العجل اله موسى ◦ قال أبو جعفر والذى هو أولى بتأويل ذلك القول الذى ذكرناه عن هؤلاء وهو أن ذلك خبر من الله عز ذكره عن السامرى أنه وصف موسى بأنه نسى ربه وأن ربه الذى ذهب يريده هو العجل الذى أخرجه السامرى لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه وأنه عقيب ذكر موسى وهو أن يكون خبرا من السامرى عنه بذلك أشبه من غيره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى﴾ يقول تعالى ذكره موبخا عبدة العجل والقائلين له هذا الهكم واله موسى فنسى وعابهم بذلك وسفه أحلامهم

ولا يحيون أما قوله (ونحشره يوم القيامة أعمى) كقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فمن فسر الزرق بالعمى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى قال الجبائى أراد أنه لا يهتدى يوم القيامة الى طريق ينال منه خيرا كالأعمى وعن مجاهد والضحاك ومقاتل أنه أراد أعمى عن الحجة وهى رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضى هذا القول ضعيف لانه لا بد فى القيامة أن يعلمهم الله تعالى بطلان ما كانوا عليه بتمييزه لهم الحق من الباطل

عما فعلوا ونالوا منه أفلا يرون أن العجل الذي زعموا أنه الههم واله موسى لا يكلمهم وان كلموه لم يرد عليهم جوابا ولا يقدر على ضر ولا نفع فكيف يكون ما كانت هذه صفته الها كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى ح وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرجع اليهم قولا العجل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أفلا يرون ألا يرجع اليهم قولا قال العجل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله أفلا يرون ألا يرجع اليهم ذلك العجل الذي اتخذوه قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا وقوله ولقد قال لهم هرون من قبل يقول ولقد قال لعبدة العجل من بني اسرائيل هرون من قبل رجوع موسى اليهم وقبله لهم ما قال مما أخبر الله عنه انما فتنتم به يقول انما اختبر الله ايمانكم ومحافظتكم على دينكم بهذا العجل الذي أحدث فيه الخوار ليعلم به الصحيح الايمان منكم من المريض القلب الشاك في دينه كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال لهم هرون انما فتنتم به يقول انما ابتليتم به يقول بالعجل وقوله وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري يقول وان ربكم الرحمن الذي يعم جميع الخلق نعمه فاتبعوني على ما آمركم به من عبادة الله وترك عبادة العجل وأطيعوا أمري فيما آمركم به من طاعة الله وإخلاص العبادة له وقوله قالوا لن نبرح عليه عاكفين يقول قال عبدة العجل من قوم موسى لن نزال على العجل مقيمين نعبده حتى يرجع الينا موسى

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي﴾

يقول تعالى ذكره قال موسى لاخيه هرون لما فرغ من خطاب قومه ومراجعتهما اياهم على ما كان من خطا فعلهم يا هرون أي شيء منعك اذ رأيتهم ضلوا عن دينهم فكفروا بالله وعبدوا العجل أن لا تتبعني * واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه من تركه اتباعه فقال بعضهم عذله على تركه السير عن أطاعه في أثره على ما كان عهد اليه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قال القوم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى أقام هرون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يفتتن وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل وتخوف هرون ان سار عن معه من المسلمين أن يقول له موسى فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي وكان له هائبا مطيعا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني قال تدعهم * وقال آخرون بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعني قال أمر موسى هرون أن يصلح ولا يتبع سبيل المفسدين فذلك قوله أن لا تتبعني أفعصيت أمري بذلك وقوله قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه وهو ثم أخذ موسى بلحية أخيه هرون ورأسه يجره اليه فقال هرون يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقوله اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم الذي خشيه هرون فقال بعضهم كان هرون خاف أن يسير عن أطاعه وأقام على دينه في أثر موسى ويخلف عبدة العجل وقد قالوا له لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فيقول له موسى فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي بسيرك بطائفة وتركك

ومن هذه حاله لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان لكن قوله وقد كنت بصيرا ينافيه قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ومما يؤكد هذا الاعتراض أنه تعالى علل ذلك العمى بأن المكلف نسي الدلائل في الدنيا فلو كان العمى الحاصل في الآخرة عين ذلك النسيان لم يكن للمكلف بسبب ذلك ضرر كما في الدنيا قال والتحقيق في الجواب عن الاعتراض هو أن النفوس الجاهلة في الدنيا اذا فارقت أبدانها تبقى على جهالتها في الآخرة فتصير تلك الجهالة سببا لأعظم الآلام الروحانية وأقول على القاضي

منهم طائفة وراءك ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله تعالى ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفاني * وقال آخرون بل معني ذلك خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفاني * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عذل أخاه هرون على تركه اتباع أمره عن اتبعه من أهل الايمان فقال له هرون اني خشيت أن تقول فرقت بين جماعتهم فتركت بعضهم وراءك وجئت ببعضهم وذلك بين في قول هرون للقوم يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري وفي جواب القوم له وقيلهم لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى وقوله ولم ترقب قولي يقول ولم تنظر قولي وتحفظه من مراقبة الرجل الشئ وهي مناظرته يحفظه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ولم ترقب قولي قال لم تحفظ قولي ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قال فما خطبك يا سامري قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فما خطبك يا سامري قال موسى للسامري فما شأنك يا سامري وما الذي دعاك الى ما فعلته كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فما خطبك يا سامري قال ما أمرك ما شأنك ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ما خطبك يا سامري قال ما لك يا سامري وقوله قال بصرت بما لم يبصروا به يقول قال السامري علمت ما لم يعلموه وهو فعلت من البصيرة أي صرت بما عملت بصيرا عالما ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لما قتل فرعون الولدان قالت أم السامري لو نحيته عني حتى لا أراه ولا أدري فتله فجعلته في غار فأتى جبرئيل فجعل كف نفسه في فيه فجعل يرضعه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى عرفه فلما عرفته اياه حين قال فقبضت قبضة من أثر الرسول * وقال آخرون هي بمعنى أبصرت ما لم يبصروه وقالوا يقال بصرت بالشئ وأبصرته كما يقال أسرعت وسرعت ما شئت ذكر من قال هو بمعنى أبصرت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال بصرت بما لم يبصروا به يعني فرس جبرئيل عليه السلام وقوله فقبضت قبضة من أثر الرسول يقول قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قذفت بنو اسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار وتكسرت ورأى السامري أثر فرس جبرئيل عليه السلام فأخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل الى النار فقذفه فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان البلاء والفتنة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قبض قبضة من أثر جبرئيل فألقى القبضة على حليهم فصار عجلا جسدا له خوار فقال هذا الهكم وإله موسى حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها قال من

يحتمل أن يكون مجازا باعتبار الغاية فقد ينفي الشئ باعتبار عدم غايته وثمرته فلا ينافي كونه أعمى في الآخرة بهذا الاعتبار اعلام الله تعالى اياه الحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه أعمى في الآخرة بالاعتبار المذكور لأن المعرض عن الدليل يشبه أن يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ والالزام يؤيده قوله تعالى في جوابه (كذلك) أي مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر ذلك بقوله (أتتك آياتنا) أي دلائلنا واضحة مستنيرة (فنسيتها) أي تركت العمل بها والقيام بموجبها (وكذلك اليوم

في اليم قال في البحر وقوله انما الهكم الله الذي لا اله الا هو يقول ما لكم أيها القوم معبود الا الذي له عبادة جميع الخلق لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغي أن تكون الا له وسع كل شيء علما يقول أحاط بكل شيء علما فعلمه فلا يخفى عليه منه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك يقال منه فلان يسع لهذا الامر اذا أطاقه وقوي عليه ولا يسع له اذا عجز عنه فلم يطقه ولم يقو عليه وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسع كل شيء علما يقول ملأ كل شيء علما تبارك وتعالى ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما قصصنا عليك يا محمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبار بني اسرائيل مع موسى كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق يقول كذلك نخبرك بأنباء الأشياء التي قد سبقت من قبلك فلم تشاهدها ولم تعاينها وقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يتذكر به ويتعظ به أهل العقل والفهم وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه فجعله ذكرى للعالمين وقوله من أعرض عنه يقول تعالى ذكره من ولى عنه فأدبر فلم يصدق به ولم يقر فانه يحمل يوم القيامة وزرا يقول فانه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملا ثقيلا وذلك الاثم العظيم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يوم القيامة وزرا قال اثما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا﴾ يقول تعالى ذكره خالدين في وزرهم فأخرج الخبر جل ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم والمعنى أنهم خالدون في النار بأوزارهم ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفى بما ذكر عما لم يذكر وقوله وساء لهم يوم القيامة حملا يقول تعالى ذكره وساء ذلك الحمل والثقل من الاثم يوم القيامة حملا وحق لهم أن يسوءهم ذلك وقد أوردهم مهلكة لا منجى منها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وساء لهم يوم القيامة حملا يقول بئسما حملوا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وساء لهم يوم القيامة حملا يعني بذلك ذنوبهم وقوله يوم ينفخ في الصور يقول تعالى ذكره وساء لهم يوم القيامة يوم ينفخ في الصور فقوله يوم ينفخ في الصور رد على يوم القيامة وقد بينا معنى النفخ في الصور وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور والصحيح في ذلك من القول عندنا بشواهده المغنية عن اعادته في هذا الموضع قبل * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار يوم ينفخ في الصور بالياء وضمها على ما لم يسم فاعله يعني يوم يأمر الله اسرافيل فينفخ في الصور وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك يوم ننفخ في الصور بالنون يعني يوم ننفخ نحن في الصور وكأن الذي دعاه الى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله ونحشر المجرمين اذ كان لا خلاف بين القراء في نحشر أنها بالنون * قال أبو جعفر والذي أختار في ذلك من القراءة يوم ينفخ بالياء على وجه ما لم يسم فاعله لأن ذلك هو القراءة التي عليها قراء الامصار وان كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد وقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يقول تعالى ذكره

بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن أعرض عن ذكري وهناك كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها وبعد ذلك أورد قصة موسى فناسب الاستئناف بالواو وأما حذف من ههنا واثباته هناك فلما مر من أن من تفيد الاستيعاب وهناك قد زاد في القرون بشرح قصة بني اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وأنكر البصريون مثل هذا لان

ونسوق أهل الكفر بالله يومئذ الى موقف القيامة زرقا فقيل عنى بالزرق فى هذا الموضع ما يظهر فى أعينهم من شدة العطش الذى يكون بهم عند الحشر لرأى العين من الزرق وقيل أريد بذلك أنهم يحشرون عميا كالذى قال الله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وقوله يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا يقول تعالى ذكره يتهامسون بينهم ويسر بعضهم الى بعض ان لبثتم فى الدنيا يعنى أنهم يقول بعضهم لبعض ما لبثتم فى الدنيا الا عشرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يتخافتون بينهم يقول يتسارون بينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يتخافتون بينهم أى يتسارون بينهم ان لبثتم الا عشرا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿نحن أعلم بما يقولون اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما﴾ يقول تعالى ذكره نحن أعلم منهم عند اسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم ان لبثتم الا عشرا بما يقولون لا يخفى علينا ما يتسارونه بينهم شئ اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما يقول تعالى ذكره حين يقول أوفاهم عقلا وأعلمهم فيهم ان لبثتم فى الدنيا الا يوما * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن شعبة فى قوله اذ يقول أمثلهم طريقة يقول أعلمهم فى أنفسهم ان لبثتم الا يوما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله أمثلهم طريقة أوفاهم عقلا وانما عنى جل ثناؤه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذ اعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة وشدة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه فى الدنيا من النعيم واللذات ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان حتى يخيل الى أعقلهم فيهم وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها الا يوما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا﴾ يقول تعالى ذكره ويسألك يا محمد قومك عن الجبال فقل لهم ينذرها ربى تذرية ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها ودكك بعضها على بعض وتصييره اياها هباء منبثا فيذرها قاعا صفصفا يقول تعالى ذكره فيدع أماكنها من الارض اذا نسفها نسفا قاعا يعنى أرضا ملساء صفصفا يعنى مستويا لا نبات فيه ولا نشز ولا ارتفاع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قاعا صفصفا يقول مستويا لا نبات فيه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيذرها قاعا صفصفا قال مستويا الصفصف المستوى حدثنى يونس قال أخبرنا عبد الله بن يوسف قال ثنا عبد الله بن لهيعة قال ثنا أبو الاسود عن عروة قال كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب ان الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة فقال كذب كعب انما الصخرة جبل من الجبال ان الله يقول ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فسكت عبد الملك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله صفصفا قال مستويا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول القاع مستنقع الماء والصفصف الذى لا نبات فيه وقوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول لا ترى فى الارض عوجا ولا أمتا * واختلف أهل التأويل فى معنى العوج والأمت فقال بعضهم عنى بالعوج فى هذا

الجملة لا تقع فاعلا فلهذا قال يريد أو لم يهد لهم هذا المعنى أو مضمون هذا الكلام قال الفضل جعل كثرة ما أهلك من القرون مبينا لهم وقال الزجاج أراد أو لم نبين لهم ما يهدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله أو الرسول والجملة بعده تفسره يريد أن قريشا يتقلبون فى بلاد عاد وثمود ويمشون فى مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والنهى العقول وقد مر فى السورة قال بعض أهل اللغة ان للنبية مزية على العقل فلا يقال الا لمن له عقل ينتهى به

الموضع الأودية وبالأمت الروابى والنشوز ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول وديا ولا أمتا يقول رابية **حدثني** محمد بن عبد الله المخرمى قال ثنا أبو عامر العقدى عن عبد الواحد ابن صفوان مولى عثمان قال سمعت عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال هى الارض البيضاء أو قال الملساء التى ليس فيها البنة مرتفعة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال ارتفاعا ولا انخفاضا **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال لا تعادى الأمت التعادى * وقال آخرون بل عنى بالعوج فى هذا الموضع الصدوع وبالأمت الارتفاع من الآكام وأشباهها ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله لا ترى فيها عوجا قال صدعا ولا أمتا يقول ولا أكمة * وقال آخرون عنى بالعوج الميل وبالأمت الاثر ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يقول لا ترى فيها ميلا والأمت الأثر مثل الشراك * وقال آخرون الأمت الجبال والاحداب ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الأمت الحدب * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بالعوج الميل وذلك أن ذلك هو المعروف فى كلام العرب فان قال قائل وهل فى الارض اليوم من عوج فيقال لا ترى فيها يومئذ عوجا قيل ان معنى ذلك ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أخذ فى بعض سبلها الى الاخذ أحيانا يمينا وأحيانا شمالا لما فيها من الجبال والأودية والحجار وأما الأمت فانه عند العرب الانثناء والضعف مسموع منهم مدحبله حتى ما ترك فيه أمتا أى انثناء وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتا ومنه قول الراجز

* ما فى انجذاب سيره من أمت * يعنى من وهن وضعف فالواجب اذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال فى تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض لان الانخفاض لم يكن الا عن ارتفاع فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام لا ترى فيها ميلا عن الاستواء ولا ارتفاعا ولا انخفاضا ولكنها مستوية ملساء كما قال جل ثناؤه قاعا صفصفا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يومئذ يتبعون الداعى لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا﴾ يقول تعالى ذكره يومئذ يتبع الناس صوت داعى الله الذى يدعوهم الى موقف القيامة فيحشرهم اليه لا عوج له يقول لا عوج لهم عنه ولا انحراف ولكنهم سراعا اليه يحشرون وقيل لا عوج له والمعنى لا عوج لهم عنه لان معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه ولكنهم يؤمونه ويأتونه كما يقال فى الكلام دعانى فلان دعوة لا عوج لى عنها أى لا أعوج عنها وقوله وخشعت الأصوات للرحمن يقول تعالى ذكره وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الاصوات بالخشوع والمعنى لاهلها انهم خضع جميعهم لربهم فلا تسمع لناطق منهم منطقا الا من أذن له الرحمن كما **حدثني** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وخشعت الأصوات للرحمن يقول سكنت وقوله فلا تسمع الا همسا يقول انه وطء الاقدام الى المحشر وأصله الصوت الخفى يقال همس فلان الى فلان بحديثه اذا أسره اليه وأخفاه ومنه قول الراجز

عن القبائح فقوله أولى النهى كقوله أولى العزم والحزم ومن هذا فسره بعضهم بأهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذى لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال (ولولا كلمة) هى العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة كتبها فى اللوح المحفوظ وأخبرهم بها ملائكته ورسله لأن فيهم أو فى نسلهم من يؤمن أو لمصلحة أخرى خفية قال أهل السنة انه يحكم المالكية له أن يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل

وهن

وهن يمشين بنا هميسا * ان يصدق الطير ننك لميسا

يعني بالهمس صوت أخفاف الابل في سيرها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا علي بن عابس عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا قال وطء الأقدام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يعني هدوس الأقدام وهو الوطء حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فلا تسمع الا همسا يقول الصوت الخفي حدثنا اسمعيل بن موسى السدي قال أخبرنا شريك عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن عكرمة فلا تسمع الا همسا قال وطء الأقدام حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمان قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن فلا تسمع الا همسا قال همس الأقدام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا تسمع الا همسا قال قتادة كان الحسن يقول وقع أقدام القوم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فلا تسمع الا همسا قال تهافتا وقال تخافت الكلام حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله همسا قال خفض الصوت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال خفض الصوت قال وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كلام الانسان لا تسمع تحرك شفتيه ولسانه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تسمع الا همسا يقول لا تسمع الا مشيا قال المشي الهمس وطء الاقدام ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما ﴾ يقول تعالى ذكره يومئذ لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من أذن له الرحمن أن يشفع ورضي له قولا وأدخل في الكلام له دليلا على اضافة القول الى كناية من وذلك كقول القائل لآخر رضيت لك عملك ورضيته منك وموضع من من قوله الا من أذن له نصب لأنه خلاف الشفاعة وقوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول تعالى ذكره يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة وما الذي يصيرون اليه من الثواب والعقاب وما خلفهم يقول ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يعلم ما بين أيديهم من أمر الساعة وما خلفهم من أمر الدنيا وقوله ولا يحيطون به علما يقول تعالى ذكره ولا يحيط خلقه به علما ومعنى الكلام أنه محيط بعباده علما ولا يحيط عباده به علما وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيديهم أنفسهم وما خلفهم وقال انما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها موبخهم بذلك ومقرعهم بأن من كان كذلك فكيف يعبد وأن العبادة انما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما ﴾ يقول تعالى ذكره استأسرت وجوه الخلق واستسلمت للحي الذي لا يموت القيوم على خلقه بتدبيرها اياهم وتصريفهم لما شاؤا وأصل العنو الذل يقال منه عنا وجهه لربه يعنو عنوا يعني خضع له وذل وكذلك قيل للاسير عان لذلة الاسر فأما قولهم أخذت الشيء عنوة فانه يكون وان كان معناه يؤول الى هذا أن يكون أخذه غلبة ويكون

فعال لما يفعل به فهو بمعنى ملزم كأنه آلة اللزوم أي (لكان) الاخذ العاجل (لزاما وأجل مسمى) وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف أن يكون معطوفا على الضمير في كان ولعله انما جوز ذلك للفصل أي لكان الاخذ العاجل وأجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الأجل المسمى دون الاخذ العاجل وحين بين أنه لا يهلكهم بعذاب الاستئصال أمره بالصبر على ما يقولون من التكذيب

أخذه عن تسليم وطاعة كما قال الشاعر

هل أنت مطيعي أيها القلب عنوة * ولم تلح نفس لم تلم في اختيالها

وقال آخر

فما أخذوها عنوة عن مودة * ولكن بضرب المشرفي استقالها

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وعنت الوجوه للحي القيوم يقول ذلت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعنت الوجوه للحي القيوم يعني بعنت استسلموا لي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وعنت الوجوه قال خشعت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعنت الوجوه للحي القيوم أي ذلت الوجوه للحي القيوم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال ذلت الوجوه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال قال طلق اذا سجد الرجل فقد عنا وجهه أو قال عنا حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في هذه الآية وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو وضع الرجل رأسه ويديه وأطراف قدميه حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ليث عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك في السجود حدثنا خلاد ابن أسلم قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال وضع الجبهة والانف على الارض حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عمرو بن مرة عن طلق بن حبيب في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال هو السجود على الجبهة والراحتين والركبتين والقدمين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعنت الوجوه للحي القيوم قال استأسرت الوجوه للحي القيوم صاروا أسارى كلهم له قال والعاني الاسير وقد بينا معنى الحي القيوم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله وقد خاب من حمل ظلما يقول تعالى ذكره ولم يظفر بحاجته وطلبته من حمل الى موقف القيامة شركا بالله وكفرا به وعملا بمعصيته * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وقد خاب من حمل ظلما قال من حمل شركا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقد خاب من حمل ظلما قال من حمل شركا الظلم ههنا الشرك ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾ يقول تعالى ذكره وتقدست أسماؤه ومن يعمل من صالحات الأعمال وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده وهو مؤمن يقول وهو مصدق بالله وأنه مجاز أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم فلا يخاف ظلما يقول فلا يخاف من الله أن يظلمه فيحمل عليه سيئات غيره فيعاقبه عليها ولا هضما يقول لا يخاف أن يهضمه حسناته فينقصه ثوابها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر

وسائر الاذيات زعم الكلبي ومقاتل أنها منسوخة بآية القتال وليس بذاك فان كلا منهما معمول بها في موضعها (وسبح بحمد ربك) أي متلبسا بحمده على أن وفقك للتسبيح وأعانك عليه والأكثرون أنها بمعنى الصلاة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلاة ولانه بين أوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلاة الفجر وقبل غروبها صلاة الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار (ومن آناء الليل فسبح) المغرب والعتمة

من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن وانما يقبل الله من العمل ما كان في ايمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن قال زعموا أنها نزلت في أرض * ذكر من قال ما قلنا في معنى قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما حدثنا أبو كريب وسليمان ابن عبد الجبار قالا ثنا ابن عطية عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس لا يخاف ظلما ولا هضما قال هضما غصبا حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال لا يخاف ظلما ولا هضما قال لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم فيزاد عليه في سيئاته ولا يظلم فيهضم من حسناته حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما يقول أنا قاهر لكم اليوم آخذكم بقوتي وشدتي وأنا قادر على قهركم وهضمكم وانما بيني وبينكم العدل وذلك يوم القيامة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما أما هضما فهو أن يقهر الرجل الرجل بقوته يقول الله يوم القيامة لا آخذكم بقوتي وشدتي ولكن العدل بيني وبينكم ولا أظلم عليكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هضما قال انتقاص شئ من حق عمله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا أبو أسامة عن مسعر قال سمعت حبيب بن أبي ثابت يقول في قوله ولا هضما قال الهضم الانتقاص حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ظلما أن يزاد في سيئاته ولا يهضم من حسناته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يخاف ظلما ولا هضما قال لا يخاف أن يظلم فلا يجزى بعمله ولا يخاف أن ينتقص من حقه فلا يوفى عمله حدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا سلام بن مسكين عن ميمون بن سياه عن الحسن في قول الله تعالى فلا يخاف ظلما ولا هضما قال لا ينتقص الله من حسناته شيأ ولا يحمل عليه ذنب مسيء وأصل الهضم النقص يقال هضمني فلان حقي ومنه امرأة هضيم أي ضامرة البطن ومنه قولهم قد هضم الطعام اذا ذهب وهضمت لك من حقك أي حططتك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ﴾ يقول تعالى ذكره كما رغبنا أهل الايمان في صالحات الأعمال بوعدنا اياهم ما وعدناهم كذلك نحذرنا بالوعيد أهل الكفر بالمقام على معاصينا وكفرهم بآياتنا فأنزلنا هذا القرآن عربيا اذ كانوا عربا وصرفنا فيه من الوعيد فبينا ه يقول وخوفناهم فيه بضروب من الوعيد لعلهم يتقون يقول كي يتقونا بتصريفنا ما صرفنا فيه من الوعيد أو يحدث لهم ذكرا يقول أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة فيعتبرون ويتعظون بفعلنا بالأمم التي كذبت الرسل قبلها ويتزجرون عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون ما حذر وابه من أمر الله وعقابه ووقائعه بالامم قبلهم أو يحدث لهم القرآن ذكرا أي جدا وورعا حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله

وقوله (وأطراف النهار) أي في طرفيه جمع للمبالغة وأمن الالباس أولان أقل الجمع اثنان أو أراد طرفي كل نهار تكرار الصلاتي الفجر والعصر لا المغرب على ما طن اعتناء بشأنهما كقوله والصلاة الوسطى وآناء جمع انى وهو الساعة وقد مر في آل عمران وانما قدم آناء الليل وأدخل الفاء في فسبح المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها تنبيها على زيادة الاهتمام بشأن صلاة الليل لان الليل وقت السكون والراحة وهدو الاصوات

أو يحدث لهم ذكرا قال جدا وورعا وقد قال بعضهم فى أو يحدث لهم ذكرا ان معناه أو يحدث لهم شرفا بايمانهم به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقل رب زدنى علما ﴾ يقول تعالى ذكره فارتفع الذى له العبادة من جميع خلقه الملك الذى قهر سلطانه كل ملك وجبار الحق عما يصفه به المشركون من خلقه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجل يا محمد بالقرآن فتقرئه أصحابك أو تقرأه عليهم من قبل أن يوحى اليك بيان معانيه فعوتب على اكتابه واملائه ما كان الله ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك من قبل أن يبين له معانيه وقيل لا تتله على أحد ولا تمله عليه حتى نبينه لك ◦ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه قال لا تتله على أحد حتى نبينه لك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال يقول لا تتله على أحد حتى نتمه لك هكذا قال القاسم حتى نتمه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه يعنى لا تعجل حتى نبينه لك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه أى بيانه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه قال تبيانه حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة من قبل أن يقضى اليك وحيه من قبل أن يبين لك بيانه وقوله وقل رب زدنى علما يقول تعالى ذكره وقل يا محمد رب زدنى علما الى ما علمتنى أمره بمسئلته من فوائد العلم ما لا يعلم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما ﴾ يقول تعالى ذكره وان يضيع يا محمد هؤلاء الذين نصرف لهم فى هذا القرآن من الوعيد عهدى ويخالفوا أمرى ويتركوا طاعتى ويتبعوا أمر عدوهم ابليس ويطيعوه فى خلاف أمرى فقد عاما فعل ذلك أبوهم آدم ولقد عهدنا اليه يقول ولقد وصينا آدم وقلنا له ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فوسوس اليه الشيطان فأطاعه وخالف أمرى فحل به من عقوبتى ما حل وعنى جل ثناؤه بقوله من قبل هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد فى هذا القرآن وقوله فنسى يقول فترك عهدى كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى يقول فترك حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فنسى قال ترك أمر ربه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال قال له يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فقر أحتى بلغ لا تظمأ فيها ولا تضحى وقر أحتى بلغ وملك لا يبلى قال فنسى ما عهد اليه فى ذلك قال وهذا عهد الله اليه قال ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذى حسده وأبى أن يسجد له مع من سجد له ابليس وعصى الله الذى كرمه وشرفه وأمر ملائكته فسجدوا له حدثنا ابن المثنى وابن بشار قالا ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن ومؤمل قالوا ثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انما سمى الانسان لانه عهد اليه فنسى

قال الصلاة فيه أشق على النفس وأدخل فى الاخلاص وأقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات وبعضهم أخر ج من الآية صلاة الظهر لانه خصص قبل الغروب بصلاة العصر ومنهم من زاد فيها التوافل لان الصلاة فى الاوقات المذكورة تشملها والامر قد يكون للندب لا أقل من التغليب وقال أبو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كأنه لما أمره بالصبر على أذية القوم بعثه على الاشتغال بالتقديس والمواظبة

وقوله

وقوله ولم نجد له عزما اختلف أهل التأويل فى معنى العزم ههنا فقال بعضهم معناه الصبر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم نجد له عزما أى صبرا حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة ولم نجد له عزما قال صبرا حدثنا ابراهيم بن يعقوب الجوزجانى قال ثنا أبو النضر قال ثنا شعبة عن قتادة مثله * وقال آخرون بل معناه الحفظ قالوا ومعناه ولم نجد له حفظا لما عهدنا اليه ذكر من قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية ولم نجد له عزما قال حفظا لما أمرته حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم عن الأشجعى عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية فى قوله ولم نجد له عزما قال حفظا حدثنا عباد بن محمد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عمرو بن قيس عن عطية فى قوله ولم نجد له عزما قال حفظا لما أمرته به حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولم نجد له عزما يقول لم نجد له حفظا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولم نجد له عزما قال العزم المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله ولم نجد له عزما يقول لم نجعل له عزما حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا الحجاج ابن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبى أمامة قال لو أن أحلام بنى آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم الى يوم الساعة ووضعت فى كفة ميزان ووضع حلم آدم فى الكفة الأخرى لرجح حلمه بأحلامهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما * قال أبو جعفر وأصل العزم اعتقاد القلب على الشئ يقال منه عزم فلان على كذا اذا اعتقد عليه ونواه ومن اعتقاد القلب حفظ الشئ ومنه الصبر على الشئ لانه لا يجزع بعازع الامن خور قلبه وضعفه فاذا كان ذلك كذلك فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى وهو قوله ولم نجد له عزما فيكون تأويله ولم نجد له عزم قلب على الوفاء لله بعهده ولا على حفظ ما عهد اليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان من تضييع آدم عهده ومعرفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا فى ذلك على منهاجه الا من عصمه الله منهم واذكر يا محمد اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى أن يسجد له فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك ولذلك من شنآنه لم يسجد لك وخالف أمرى فى ذلك وعصانى فلا تطيعاه فيما يأمركما به فيخرجكما بمعصيتكما ربكما وطاعتكما له من الجنة فتشقى يقول فيكون عيشك من كد يدك ذلك تعاوره الذى حذره ربه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أهبط الى آدم نور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه فهو الذى قال الله تعالى ذكره فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فكان ذلك شقاءه وقال تعالى ذكره فتشقى ولم يقل فتشقيا وقد قال فلا يخرجنكما لان ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام فكان فى اعلامه العقوبة على معصيته اياه فيما نهاه عنه من أكل الشجرة الكفاية من ذكر المرأة اذ كان معلوما أن حكمها فى ذلك حكمه كما قال عن اليمين وعن الشمال قعيد اجتزئ بمعرفة السامعين معناه من ذكر فعل صاحبه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ يقول

عليه فى كل الاوقات وقوله (لعلك ترضى) كقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا ريب أن الاطماع من الكريم واجب الوقوع اللهم ارزقنا شفاعته ولما حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى الزخارف الدنيوية فقال (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك ومد النظر تطويله استحسانا للمنظور اليه وفيه أن النظر الغير الممدود معفو عنه كالو نظر فغض وقال أبو مسلم المنهى عنه فى الآية ليس هو التطويل وانما هو الأسف أى لا تأسف على ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قال أبو رافع

تعالى ذكره مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة ان لك يا آدم أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأن فى قوله أن لا تجوع فيها فى موضع نصب بان التى فى قوله ان لك وقوله وأنك لا تظمأ فيها اختلفت القراء فى قراءتها فقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة بالكسر وانك على العطف على قوله ان لك وقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة والبصرة وأنك بفتح ألفها عطفا بها على أن التى فى قوله أن لا تجوع فيها و وجهوا تأويل ذلك الى أن لك هذا وهذا فهذه القراءة أعجب القراءتين الىّ لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة فكون ذلك بأن يكون عطفا على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبرا مبتدأ وان كان الآخر غير بعيد من الصواب وعنى بقوله لا تظمأ فيها لا تعطش فى الجنة مادمت فيها ولا تضحى يقول لا تظهر للشمس فيؤذيك حرها كما قال ابن أبى ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت ✻ فيضحى وأما بالعشى فيخصر

✻ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى يقول لا يصيبك فيها عطش ولا حر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى يقول لا يصيبك حر ولا أذى حدثنى أحمد ابن عثمان بن حكيم الأودى قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنى أبى عن خصيف عن سعيد بن جبير لا تظمأ فيها ولا تضحى قال لا تصيبك الشمس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تضحى قال لا تصيبك شمس وقوله فوسوس اليه الشيطان يقول فألقى الى آدم الشيطان وحدثه فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد يقول قال له هل أدلك على شجرة ان أكلت منها خلدت فلم تمت وملكت ملكا لا ينقضى فيبلى كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ان أكلت منها كنت ملكا مثل الله أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى وتقدس ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ يقول تعالى ذكره فأكل آدم وحواء من الشجرة التى نهيا عن الأكل منها وأطاعا أمر ابليس وخالفا أمر ربهما فبدت لهما سوآتهما يقول فانكشفت لهما عوراتهما وكانت مستورة عن أعينهما كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال انما أراد يعنى ابليس بقوله هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ليبدى لهما ما توارى عنهما من سوآتهما بهتك لباسهما وكان قد علم أن لهما سوآت لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك وكان لباسهما الظفر فأبى آدم أن يأكل منها فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت يا آدم كل فانى قد أكلت فلم يضرنى فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما وقوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا يشدان عليهما من ورق الجنة كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا يغطيان عليهما بورق التين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول يوصلان عليهما من ورق الجنة وقوله وعصى آدم ربه فغوى يقول وخالف أمر ربه فتعدى الى ما لم يكن له أن يتعدى اليه من الأكل من الشجرة التى نهاه عن الأكل منها وقوله ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى يقول اصطفاه ربه من بعد معصيته

نزل ضيف بالنبى صلى الله عليه وسلم فبعثنى الى يهودى يستقرضه فقال لا أقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لأمين فى السماء وانى لأمين فى الارض احمل اليه درعى الحديد فنزلت والأزواج الاصناف وقيل أى أشكالا وأشباها من الكفار لأنهم أشكال فى الذهاب عن الصواب وقد مر فى آخر الحجر ولقد شدد العلماء المتقون فى وجوب غض البصر عن أبنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم لأنهم اتخذوها العيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم على اتخاذها قال جار الله انتصب

اياه فرزقه الرجوع الى ما يرضى عنه والعمل بطاعته وذلك هو كانت توبته التى تاب بها عليه وقوله وهدى يقول وهداه للتوبة فوفقه لها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى﴾ يقول تعالى ذكره قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا جميعا الى الارض بعضكم لبعض عدو يقول أنتما عدو ابليس وذريته وابليس عدو كما وعدو ذريتكما وقوله فاما يأتينكم منى هدى يقول فان يأتكم يا آدم وحواء وابليس منى هدى يقول بيان لسبيلى وما أختاره لخلقى من دين فمن اتبع هداى يقول فمن اتبع بيانى ذلك وعمل به ولم يزغ عنه فلا يضل يقول فلا يزول عن محجة الحق ولكنه يرشد فى الدنيا ويهتدى ولا يشقى فى الآخرة بعقاب الله لان الله يدخله الجنة وينجيه من عذابه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا أبو خالد الأحمر عن عمرو بن قيس الملائى عن عكرمة عن ابن عباس قال تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا هذه الآية فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى حدثنى نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا حكام الرازى عن أيوب بن موسى عن عمرو الملائى عن ابن عباس أنه قال ان الله قد ضمن فذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب (٣) بن يسار أبى عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن رجل عن ابن عباس بنحوه حدثنا على بن سهل الرملى قال ثنا أحمد بن محمد النسائى عن أبى سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه عصمه الله من الضلالة ووقاه أظنه أنا قال من هول يوم القيامة وذلك أنه قال فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ يقول تعالى ذكره ومن أعرض عن ذكرى الذى أذكره به فتولى عنه ولم يقبله ولم يستجب له ولم يتعظ به فيزجر عما هو عليه مقيم من خلاف أمر ربه فان له معيشة ضنكا يقول وان له معيشة ضيقة والضنك من المنازل والاماكن والمعايش الشديد يقال هذا منزل ضنك اذا كان ضيقا وعيش ضنك الذكر والأنثى والواحد والاثنان والجميع بلفظ واحد ومنه قول عنترة * وان نزلوا بضنك فانزل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فان له معيشة ضنكا يقول الشقاء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ضنكا قال ضيقة حدثنا الحسن قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة فى قوله فان له معيشة ضنكا قال الضنك الضيق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله فان له معيشة ضنكا يقول ضيقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله * واختلف أهل التأويل فى الموضع الذى جعل الله لهؤلاء المعرضين عن ذكره العيشة الضنك والحال التى جعلهم فيها فقال بعضهم جعل ذلك لهم فى الآخرة فى جهنم وذلك أنهم جعل طعامهم فيها الضريع والزقوم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو بن على بن مقدم قال ثنا يحيى ابن سعيد عن عوف عن الحسن فى قوله فان له معيشة ضنكا قال فى جهنم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا فقر أحتى

زهرة على الذم أو على تضمين متعنا بمعنى خولنا وأعطينا أو على ابداله من محل به أو على ابداله من أزواجا والتقدير ذوى زهرة وهى الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فمعناه أيضا أو هى جمع زاهر كأنهم لصفاء ألوانهم وظهور آثار النعومة عليهم زاهر وهذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصلحاء من شحوب الألوان والتقشف فى الثياب وقوله (لنفتنهم) أى لنبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبى ومقاتل

بلغ ولم يؤمن بآيات ربه قال هؤلاء أهل الكفر قال ومعيشة ضنكا في النار شوك من نار وزقوم وغسلين والضريع شوك من نار وليس في القبر ولا في الدنيا معيشة ما المعيشة والحياة الا في الآخرة وقرأ قول الله عز وجل يا ليتني قدمت لحياتي قال لمعيشتي قال والغسلين والزقوم شيء لا يعرفه أهل الدنيا **حدثنا** الحسن قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال له معيشة ضنكا قال في النار * وقال آخرون بل عنى بذلك فان له معيشة في الدنيا حراما قال ووصف الله جل وعز معيشتهم بالضنك لان الحرام وان اتسع فهو ضنك ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة في قوله معيشة ضنكا قال هي المعيشة التي أوسع الله عليه من الحرام **حدثني** داود بن سليمان بن يزيد المكتب من أهل البصرة قال ثنا عمرو بن جرير البجلي عن اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم في قول الله معيشة ضنكا قال رزقا في معصيته **حدثني** عبد الأعلى بن واصل قال ثنا يعلى بن عبيد قال ثنا أبو بسطام عن الضحاك فان له معيشة ضنكا قال الكسب الخبيث **حدثني** يونس بن اسمعيل الصراري قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا أبو اليقظان عمار بن محمد عن هرون بن محمد التيمي عن الضحاك في قوله فان له معيشة ضنكا قال العمل الخبيث والرزق السيء * وقال آخرون ممن قال عنى أن لهؤلاء القوم المعيشة الضنك في الدنيا انما قيل لها ضنك وان كانت واسعة لانهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم على تكذيب منهم بالخلف من الله وايأس من فضل الله وسوء ظن منهم بربهم فتشتد لذلك عليهم معيشتهم وتضيق ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا يقول كل مال أعطيته عبدا من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه لا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ويقال ان قوما ضلالا أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عز وجل ليس بمخلف لهم ما عاشوهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب به فاذا كان العبد يكذب بالله ويسيء الظن به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك * وقال آخرون بل عنى بذلك أن ذلك لهم في البرزخ وهو عذاب القبر ذكر من قال ذلك **حدثني** يزيد بن مخلد الواسطي قال ثنا خالد بن عبد الله عن عبد الرحمن ابن اسحق عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري قال في قول الله معيشة ضنكا قال عذاب القبر **حدثني** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الرحمن بن اسحق عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري قال ان المعيشة الضنك التي قال الله عذاب القبر **حدثني** حوثرة بن محمد المنقري قال ثنا سفيان عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد الخدري فان له معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه **حدثني** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبي وشعيب بن الليث عن الليث قال ثنا خالد بن يزيد عن ابن أبي هلال عن أبي حازم عن أبي سعيد أنه كان يقول المعيشة الضنك عذاب القبر انه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يبعث وكان يقال لو أن تنينا منها نفخ الارض لم تنبت زرعا **حدثنا** مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه وهي المعيشة الضنك التي قال الله معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح والسدي في قوله معيشة

لنشدد عليهم في التكليف لان الاجتناب عن المعاصي مع القدرة يكون أشق على النفس (ورزق ربك) هو ثواب الآخرة أو ما رزقت من الاسلام والنبوة (خير وأبقى) وقيل أراد به الحلال الطيب الذي يحق أن ينسب الى الرب لك خير من أموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وأبقى بركة ونماء وحسن عاقبة (وأمر أهلك) في سورة مريم وكان يأمر أهله بالصلاة أي أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله ومن السلف من كان اذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله

ضنكا قال عذاب القبر حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثني عبد الرحمن بن الأسود قال ثنا محمد بن ربيعة قال ثنا أبو عميس عن عبد الله بن مخارق عن أبيه عن عبد الله في قوله معيشة ضنكا قال عذاب القبر حدثني عبد الرحيم البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا محمد بن جعفر وابن أبي حازم قالا ثنا أبو حازم عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد الخدري معيشة ضنكا قال عذاب القبر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال هو عذاب القبر الذي حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني عمرو بن الحرث عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون فيم أنزلت هذه الآية فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى أتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده انه ليسلط عليه تسعة وتسعون تنينا أتدرون ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه الى يوم القيامة وان الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى معنى مفهوم لأن ذلك ان لم يكن تقدمه عذاب لهم قبل الآخرة حتى يكون الذي في الآخرة أشد منه بطل معنى قوله ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فاذ كان ذلك كذلك فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا أو في قبورهم قبل البعث اذ كان لا وجه لأن تكون في الآخرة لما قد بينا فان كانت لهم في حياتهم الدنيا فقد يجب أن يكون كل من أعرض عن ذكر الله من الكفار فان معيشته فيها ضنك وفي وجودنا كثيرا منهم أوسع معيشة من كثير من المقبلين على ذكر الله تبارك وتعالى القابلين له المؤمنين في ذلك ما يدل على أن ذلك ليس كذلك واذ خلا القول في ذلك من هذين الوجهين صح الوجه الثالث وهو أن ذلك في البرزخ وقوله ونحشره يوم القيامة أعمى اختلف أهل التأويل في صفة العمى الذي ذكر الله في هذه الآية أنه يبعث هؤلاء الكفار يوم القيامة به فقال بعضهم ذلك عمى عن الحجة لا عمى البصر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن اسمعيل الاحمسي قال ثنا محمد بن عبيد قال ثنا سفيان الثوري عن اسمعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال ليس له حجة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ونحشره يوم القيامة أعمى قال عن الحجة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وقيل يحشر أعمى البصر * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك ما قال الله تعالى ذكره وهو أنه يحشر أعمى عن الحجة ورؤية الشئ كما أخبر جل ثناؤه فعم ولم يخصص وقوله قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم في ذلك ما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال رب لم حشرتني أعمى لا حجة لي وقوله وقد كنت بصيرا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وقد كنت بصيرا بحجتي ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقد كنت بصيرا قال عالما بحجتي * وقال آخرون بل معناه وقد كنت ذا بصر أبصر به الاشياء

رسوله ثم يتلو هذه الآية وعن عروة ابن الزبير أنه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية يذهب الى فاطمة وعلي كل صباح ويقول الصلاة وكان يفعل ذلك شهرا وقوله (واصطبر عليها) أراد أنك كما تأمرهم بها فحافظ عليها فان الوعظ بلسان الفعل أنجع منه بلسان القول (لا نسألك رزقا) كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خراجا من عبيدهم (بل نحن نرزقك) كقوله وما أريد أن

لزاما يقول موتا * وقال آخرون بل معناه لكان قتلا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لكان لزاما واللزام القتل وقوله فاصبر على ما يقولون يقول جل ثناؤه لنبيه فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذبون بآيات الله من قومك لك انك ساحر وانك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول وسبح بحمد ربك يقول وصل بثنائك على ربك وقال بحمد ربك والمعنى بحمدك ربك كما تقول أعجبني ضرب زيد والمعنى ضرب زيدا وقوله قبل طلوع الشمس وذلك صلاة الصبح وقبل غروبها وهي العصر ومن آناء الليل وهي ساعات الليل واحدها انى على تقدير حمل ومنه قول المخبل السعدي

حلو ومر كعطف القدح مرته * في كل انى قضاه الليل ينتعل

ويعني بقوله ومن آناء الليل فسبح صلاة العشاء الآخرة لانها تصلى بعد مضي آناء من الليل وقوله وأطراف النهار يعني صلاة الظهر والمغرب وقيل أطراف النهار والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرنا لان صلاة الظهر في آخر طرف النهار الاول وفي أول طرف النهار الآخر فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك تصلى المغرب فلذلك قيل أطراف وقد يحتمل أن يقال أريد به طرفا النهار وقيل أطراف كما قيل صغت قلوبكما بجمع والمراد قلبان فيكون ذلك أول طرف النهار الآخر وآخر طرفه الآخر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن ابن أبي زيد عن ابن عباس فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال الصلاة المكتوبة حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا اسمعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم تلا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قال ابن جريج العصر وأطراف النهار قال المكتوبة حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس قال هي صلاة الفجر وقبل غروبها قال صلاة العصر ومن آناء الليل قال صلاة المغرب والعشاء وأطراف النهار قال صلاة الظهر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار قال من آناء الليل العتمة وأطراف النهار المغرب والصبح ونصب قوله وأطراف النهار عطفا على قوله قبل طلوع الشمس لان معنى ذلك فسبح بحمد ربك آخر الليل وأطراف النهار * وبنحو الذي قلنا في معنى آناء الليل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ومن آناء الليل قال المصلي من الليل كله حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن قرأ ومن آناء الليل قال من أوله وأوسطه وآخره حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله ومن آناء الليل فسبح قال آناء الليل جوف الليل وقوله لعلك ترضى يقول كي ترضى * وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق لعلك ترضى بفتح التاء وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك لعلك ترضى بضم التاء وروي ذلك عن أبي عبد الرحمن السلمي وكأن الذين قرؤا ذلك بالفتح ذهبوا الى معنى ان الله يعطيك

وصف القرآن بكونه بينة ما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول القرآن فقال (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي من قبل البرهان المذكور الدال عليه البينة (لقالوا) أي في القيامة لأن الهالك لا قول له في الدنيا وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول والا كنت أطوع خلقك وثلاثة قوله لولا أرسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي

حتى ترضى عطيته وثوابه اياك وكذلك تأوله أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لعلك ترضى قال الثواب ترضى بما يثيبك الله على ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج لعلك ترضى قال عما تعطى وكأن الذين قرؤا ذلك بالضم وجهوا معنى الكلام الى لعل الله يرضيك من عبادتك اياه وطاعتك له والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء وهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الامصار متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك أن الله تعالى ذكره اذا أرضاه فلا شك أنه يرضى وأنه اذا رضي فقد أرضاه الله فكل واحدة منهما تدل على معنى الأخرى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تنظر الى ما جعلنا الضرباء هؤلاء المعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم متعة في حياتهم الدنيا يتمتعون بها من زهرة عاجل الدنيا ونضرتها لنفتنهم فيه يقول لنختبرهم فيما متعناهم به من ذلك ونبتليهم فان ذلك فان زائل وغرور وخدع تضمحل ورزق ربك الذي وعد لك أن يرزقكه في الآخرة حتى ترضى وهو ثوابه اياك خير لك مما متعناهم به من زهرة الحياة الدنيا وأبقى يقول وأدوم لانه لا انقطاع له ولا نفاد وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى يهودي يستسلف منه طعاما فأبى أن يسلفه الا برهن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى ابن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع قال أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهودي يستسلفه فأبى أن يعطيه الا برهن فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن كثير عن عبد الله بن واقد عن يعقوب بن يزيد عن أبي رافع قال نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فأرسلني الى يهودي بالمدينة يستسلفه فأتيته فقال لا أسلفه الا برهن فأخبرته بذلك فقال اني لأمين في أهل السماء وفي أهل الارض فاحمل درعي اليه فنزلت ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم وقوله ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الى قوله والعاقبة للتقوى يعني بقوله أزواجا منهم رجالا منهم أشكالا وزهرة الحياة الدنيا زينة الحياة الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله زهرة الحياة الدنيا أي زينة الحياة الدنيا ونصب زهرة الحياة الدنيا على الخروج من الهاء التي في قوله به من معناه كما يقال مررت به الشريف الكريم فتنصب الشريف الكريم على فعل مررت وكذلك قوله الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا تنصب على الفعل بمعنى متعناهم به زهرة في الحياة الدنيا وزينة لهم فيها وذكر الفراء أن بعض بني فقعس أنشده

أبعد الذي بالسفح سفح كواكب * رهينة رمس من تراب وجندل

فنصب رهينة على الفعل من قوله أبعد الذي بالسفح وهذا الا شك أنه أضعف في العمل نصبا من قوله متعناه أزواجا منهم لان العامل في الاسم وهو رهينة حرف خافض لا ناصب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لنفتنهم فيه قال لنبتليهم فيه ورزق ربك خير وأبقى مما متعناه هؤلاء من هذه الدنيا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك

عقلا أنتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا أعقل فيرفع لهم نارا ويقال لهم ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله أنه سعيد ويتلكأ من كان في علمه أنه شقي فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسولي لو أتاكم وطعن المعتزلة في هذا الخبر قالوا لا يحسن العقاب على ما لم يفعل وقال الجبائي في الآية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد أنه يجب أن يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان لهم أن يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال

والعاقبة للتقوى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمر يا محمد أهلك بالصلاة واصطبر عليها يقول واصطبر على القيام بها وأدائها بحدودها أنت لا نسئلك رزقا يقول لا نسئلك مالا بل نكلفك عملا بدنك نؤتيك عليه أجرا عظيما ونوابا جزيلا نحن نرزقك يقول نحن نعطيك المال ونكسبك ولا نسألكه وقوله والعاقبة للتقوى يقول والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقابا ولا يرجو له ثوابا * وبنحو الذي قلنا في قوله وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة قال كان عروة اذا رأى ما عند السلاطين دخل داره فقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ثم ينادي الصلاة الصلاة يرحمكم الله حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان اذا رأى شيأ من الدنيا جاء الى أهله فقال الصلاة وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه قال كان بيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه اناويرفا وكانت له من الليل ساعة يصليها فاذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياما وكان اذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم مثله

القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى﴾

يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل هلا يأتينا محمد بآية من ربه كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى باحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص يقول الله جل ثناؤه أولم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجلنا لهم العذاب وأنزلنا بهم بأسنا بكفرهم بها يقول فما الذي يؤمنهم ان أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى قال التوراة والانجيل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى الكتب التي خلت من الامم التي يمشون في مساكنهم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ يقول تعالى ذكره ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم الى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم يكفرهم بالله لقالوا يوم القيامة اذ وردوا علينا فأردنا عقابهم ربنا هلا أرسلت الينا رسولا يدعونا الى طاعتك فنتبع آياتك يقول فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذل بتعذيبك ايانا ونخزى به كما حدثني الفضل ابن اسحق قال ثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة الهالك في الفترة والمغلوب

الكعبي فيما أوضح دليل على أنه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لا نسئل عما يفعل أن الجور منه يكون عدلا بل تأويله أنه لا يفعل منه الا العدل واذا ثبت أنه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما أمروا به لكان لهم فيه أعظم حجة واستدل أهل السنة بها على أن الوجوب لا يتحقق الا بالشرع والا لكان العقاب حاصلا قبل مجيئه ثم ختم السورة بوعيد اجمالي فقال (قل كل) أي كل منا ومنكم

على عقله والصبي الصغير فيقول المغلوب على عقله لم تجعل لي عقلا أنتفع به ويقول الهالك في الفترة لم يأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك لك وقرأ لولا أرسلت الينا رسولا ويقول الصبي الصغير كنت صغيرا لا أعقل قال فترفع لهم نار ويقال لهم ردوها قال فيردها من كان في علم الله أنه سعيد وتلكأ عنها من كان في علم الله أنه شقي فيقول اياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم

القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول منتظر لمن يكون الفلاح والى ما يئول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان فتربصوا يقول فترقبوا وانتظروا فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه اذا جاء أمر الله وقامت القيامة أنحن أم أنتم ومن اهتدى يقول وستعلمون حينئذ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم وفي من من قوله فستعلمون من أصحاب الصراط السوي والثانية من قوله ومن اهتدى وجهان الرفع وترك اعمال تعلمون فيهما كما قال جل ثناؤه لنعلم أي الحزبين أحصى والنصب على اعمال تعلمون فيهما كما قال جل ثناؤه والله يعلم المفسد من المصلح

(تم)

﴿تم الجزء السادس عشر من تفسير ابن جرير الطبري ويليه الجزء السابع عشر أوله (سورة الانبياء)﴾

(متربص) عاقبة أمره وهذا الانتظار اما قبل الموت بسبب الأمر بالجهاد أو ظهور الدولة والغلبة أو بالموت فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه وامه بعد الموت وهو ظهور أثر الثواب والعقاب وتمييز المحق والمبطل ويؤيده قوله (فستعلمون) الى آخره وهذا من كلام المنصف وبالله المستعان

(تم)